

مَجَلَّة مِغْنَمُ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

علمية نصف سنوية محكمة ، تُعني بالتعريف بالمخطوطات العربية ، وفهرستها ، ونشر النصوص المحققة ، والدراسات القائمة عليها ، والمتابعات النقدية الموضوعية لها .

المدير المسؤول : كمال الدين عفيفي
رئيس التحرير : فيصل عبد السلام الحفيان

* الأفكار الواردة لاتعبر بالضرورة عن رأي
المنظمة والمعهد ، وترتيب البحوث يخضع
لاعتبارات فنية ، ولا علاقة له بمكانة الكاتب .

* يسمح بالنقل عن المجلة بشرط الإشارة ،
وقواعد النشر وثمن النسخة في آخر المجلة .

المجلد ٣٥ - الجزء ١ ، ٢ - جمادى الآخرة - ذوالحجة ١٤١٢ هـ / يناير - يوليو ١٩٩١ م

مِغْنَمُ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة معهد المخطوطات العربية / معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) - مج ٣٥ ، الجزآن الأول والثاني ، جمادى الآخرة - ذوالحجة ١٤١٢ هـ / يناير - يوليو ١٩٩١ م .

ط / ١٩٩٢ / ١٠ / ٠٠٤

ردمء ٢٢٠٩ - ١١١٠

I.S.S. 1110 - 2209

مءلة
معها المءطوءا العربنة

الفهرس

* تعاريف :

- د. عبد الإله نبهان رسالة الملائكة للمعري
فهارس الشواهد (الآيات القرآنية،
الأحاديث، الأمثال، الشعر) ٥٩- ٩

* نصوص :

- د. زكريا سعيد علي الفوائد المشوق هو مقدمة تفسير ابن
النقيب ! ٨٦- ٦١
د. مصطفى الحدري من أمالي ابن ناصر الدين
جزء فيه :
٩٦- ٨٧ جواب عن بيت شعر

* دراسات :

- أمين محمد ميدان الشعر التغلبي وعلماء العربية ١١٢- ٩٧
* متابعات :
د. محمد أحمد الدالي وقفات مع: «الديباج لأبي عبيدة» ١٣٢- ١١٣
الشيخ حمد الجاسر تعليقات على المواضع في : شعر
الأحوص الأنصاري (٢) ١٦١- ١٣٣

* رسائل :

- د. يوسف زيدان النصير الطوسي وكتابه «التجريد»
١٩٦- ١٦٣ (للباحث عباس سليمان)

* أعلام :

- عصام محمد الشنطي صلاح الدين المنجد والمخطوطات
والتغريب ٢١٢- ١٩٧
د. أحمد عبد الحليم عطية أبو ريذة: جهوده في التراث والفلسفة ٢٤٦- ٢١٣



ضوء

التراث مسؤولية ، تسعى هذه المجلة التي تعد الوعاء القومي له للقيام ببعضها . ولأن المسؤولية عظيمة فإن العين معلقة باستمرار عليها ، تتعاورها شكلاً ومحتوى ، في محاولة دائبة للاقترب بها نحو الكمال . هذا المجلد فيه أكثر من جديد : جديد الشكل والإخراج والعناوين الثابتة . وجديد المحتوى . وفيه بابان مستحدثان :

باب لعرض الرسائل الجامعية المتميزة . وكانت الفكرة ناضجة منذ ولادتها ، فقد طرحناها على د. يوسف زيدان ، على أن يكون العرض : عرضاً وتحليلاً ونقداً حتى تتحقق الغاية في أكمل صورها . وكانت الثمرة بحثاً بعنوان «النصير الطوسي وكتابه: التجريد» . وباب للأعلام .. أعلام التراث ؛ القدماء والحديثين . والعلم التراثي ، ليس هو ذلك الذي رحل عن عالمنا ، فهناك رجال مازالوا يعيشون بيننا ، يعطون الكثير لتراثهم وأمتهم . ومن واجبنا أن نعرف الأجيال بهم وبجهودهم . ومن حقهم أن يعيشوا الاعتراف بما قدموه . وليس من الإنصاف أن ننتظر حتى يرحلوا لنكرم الوراثة ، ونقيم حفلات التأبين ، ونلقي كلمات الذكرى .

على صفحات هذا المجلد علمان : أحدهما لا يزال حياً ، متعه الله بالصحة : د. صلاح الدين المنجد ، أحد المديرين المتقدمين لمعهد المخطوطات العربية . والآخر رحل قبل وقت قصير هو : د. محمد عبد الهادي أبو ريذة أحد رواد الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث .

وللقديم أيضاً نصيب من التجديد ففي باب التعريف بالمخطوطات وفهرستها الذي أطلقنا عليه (تعاريف) أدخلنا : فهرسة المطبوع من كتب التراث . فالمطبوع دون فهرسة (شاملة) أقرب إلى المخطوط في عدم الاستفادة منه إلا بقدر . وفقنا الله لخدمة هذا التراث ، وأعاننا على خدمته .

رئيس التحرير





نُشرت رسالة الملائكة ، لأبي العلاء
المعري ، بتأملها لأول مرة ، على يد محمد
سليم الجندي عضو مجمع اللغة العربية
بدمشق . وقد صنع لها فهرس للأبواب
والأعلام والأماكن والقبائل .

وبقيت شواهدا : الآيات القرآنية
والأحاديث ، والأمثال ، والأشعار ،
دون فهرسة !
د. عبد الإله نيهان نهد للمهمة ،
فكانت هذه الفهارس .

رسالة الملائكة للمعري
فهارس الشواهد
(الآيات القرآنية ، الأحاديث ،
الأمثال ، الشعر)
د. عبد الإله نيهان*

« المجلة »

* عضو هيئة تدريس كلية الآداب بجامعة البعث - سورية . حقق مجموعة من كتب التراث في اللغة والنحو ، ونشر
المعهد له « غوامض الصحاح » للصفدي .

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري (٣٦٣ - ٥٤٤٩ هـ) صنف طائفة من نفيس الرسائل ، اشتهر منها رسالة الغفران . وكان من رسائله الأخرى « رسالة الملائكة » وهي رسالة كتبها أبو العلاء جواباً عن ستة عشر سؤالاً وجهها إليه أبو القاسم علي بن محمد بن همام المعري . وقدم قبل إجابته مقدّمة ذكر فيها إحدى وعشرين مادة لغوية ، بحث في أصولها وأوزانها وأحكامها وما يتعلق بها . وهذه المواد هي : ملك ، عزرائيل ، منكر ونكير ، موسى ، إرزبة ، الحدث ، الريم ، الزبانية ، غسلين ، جهنم ، سقر ، مخاطبة الواحد بصيغة المثنى ، يارخو ، الكمثرى ، سفرجل ، سندس ، طوى ، الحيوان ، الحور ، الإستبرق ، العبقري .

وبعد هذه المباحث بدأ الإجابة على مسائل أبي القاسم ، وهذه المسائل هي : « القول في إياك ، القول في آية وغاية وثاية ، القول في « اسم » . القول في اثنين واثنين ، القول في سيد وميت ، القول في ترك إمالة (يا) إذا كان حرف نداء ، القول في قول الراجز « أين الشظاظان وأين المربعة » ، القول في قراءة ابن عامر على ماحكي في بعض الروايات : أفيدة ، القول في مسألتين ذكرهما النحاة ، القول في مسألة : هذا هذا هذا هذا ، القول في قول الراجز : يأياها الضب الخذوذان ، القول في مهيمن ، القول في اللفظ المنقول من كتاب المراغي ، القول في يأجوج ومأجوج ، القول في السّمهي ، القول في الحديث : أنا فرط القاصفين » .

واشتملت رسالة الملائكة المطبوعة على اثنتي عشرة مسألة تامة ، وعلى قسم من المسألة الثالثة عشرة ، والباقي غير موجود ، بمعنى أنه ساقط من النسخة المخطوطة الوحيدة التي حُقت عليها الرسالة .

وسميت هذه الرسالة بـ « رسالة الملائكة » لأن أول بحث فيها كان عن لفظ (مَلَك) ثم ذكر بعده جملة من أسماء الملائكة .

احتج أبو العلاء في بحثه اللغوي الصرفي في رسالة الملائكة بطائفة من الشواهد الشعرية ، كنت فهرستها لنفسي ليسهل عليّ تتبع المسائل بوساطتها ، وشاءت المصادفة أن أطلع أخي الأستاذ فيصل عبد السلام الحفيان على هذا الفهرس ، فرغب

إلّي بإعداده للنشر لتعمّ فائدته ، وأشار أن تقترن فهرسة الأبيات بتخريج لها ، ولم يكن لي إلا أن أستجيب ، وكانت رحلة ممتعة شاقّة ، لا يدري مشقّتها إلا من حُشر في مضائقها ، فكان هذا الفهرس ، ولا أكتم إخواني الباحثين في التراث بأنه قد فاتني تخريج أبيات معدودة ، على الرغم مما بذلته من جهد ، فتركت أمرها للمصادفات . وبعد إعداد هذا الفهرس رأيت أن أصدّره بفهرس للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث والأمثال ، ليغدو الفهرس إلى التمام أقرب ، ففهرست الآيات بحسب ورودها في السور ، وخرّجت قراءاتها .

أما ترتيب فهرس الشعر فكان على القوافي ، بدءاً بالهمزة وانتهاءً بالياء ، وتم الترتيب في كل حرف بحسب حركة الروي : المضموم فالفتوح فال مكسور فالساكن ، وفي كل روي كان الترتيب يتم بحسب التسلسل المعروف لبحور الشعر ، وتم الترتيب في كل بحر بحسب تنالي أضربه مع مراعاة تقديم القوافي المجردة على المؤسسة والمردوفة في كل ضرب .

نُشرت هذه الرسالة بتأامها لأول مرة على يد الأستاذ المرحوم محمد سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق . وكان ما طبع قبل ذلك باسم رسالة الملائكة على يد العلامة المرحوم عبد العزيز الميمني أو على يد المستشرق إغناطيوس كراتشكوفسكي أو بعناية الأستاذ كامل كيلاني ، إنما هو مقدمة هذه الرسالة فقط .

وقد عُني المرحوم الجندي بضبطها والتعليق على مواضع منها ، وصنع فهرساً لأبوابها ، وآخر لأعلامها وأسماء الأماكن والقبائل فيها ، ولم يصنع فهرساً لشواهدا ، فندبت نفسي لهذه المهمة ، خدمة لهذه الرسالة .

وأرجو أن يكون لهذا الفهرس الفائدة المتوخاة منه ، وآمل أن يلقي القبول لدى أهل العربية والباحثين في اللغة ، ولدى المنقبين في العلائيات على وجه أخص . والله من وراء القصد .

استخدمنا بعض الرموز في التعليقات ، هي :

ق = قصيدة .

ب = بيت .

ط = طبعة .

تح = تحقيق .

الفهارس

١ - الآيات منسوقة على السور

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدًى ^(١) فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٣٨	البقرة	١٨٢
﴿ وَفَوْمَهَا ^(٢) وَعَدْسُهَا وَيَصْلُهَا ﴾	٦١	البقرة	١٦
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنً ^(٣) ﴾	٨٣	البقرة	٣٤
﴿ مَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ ^(٤) وَزَوْجِهِ ﴾	١٠٢	البقرة	١٦٠
﴿ فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ إِضْطَرَّهُ ^(٥) ﴾	١٢٦	البقرة	١٢٦
﴿ الْأَنْجِيلَ ^(٦) ﴾	٣	آل عمران	٢٠٣
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ ^(٧) ﴾	٩٧	آل عمران	١٩٠
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ ^(٨) ﴾	١٠٦	آل عمران	١٢٧
﴿ فَلَا مُمْسِكَ ^(٩) السِّلْسِلُ ﴾	١١	النساء	١٣٥
﴿ إِنْ تَكُونُوا تِلْمِيزُونَ ^(١٠) ﴾	١٠٤	النساء	١٢٧
﴿ مُهَيِّمِينَ ^(١١) ﴾	٥١	المائدة	٢٣٠
﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ^(١٢) ﴾	٣٤	الأعراف	٩
﴿ أَتَأْتِلَمُّ إِلَى الْأَرْضِ ^(١٣) ﴾	٣٨	التوبة	٩٢-٩١
﴿ بِسْمِ اللَّهِ جِجْرَاهَا وَمِرْسَاهَا ^(١٤) ﴾	٤١	هود	٢٤٠
﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمْسَكُوا النَّارَ ^(١٥) ﴾	١١٣	هود	١٢٧
﴿ وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَكًا ^(١٦) ﴾	٣١	يوسف	٢١٧
﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ^(١٧) ﴾	٨٢	يوسف	٢٢٢
﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ^(١٨) ﴾	٩٠	يوسف	٢٠٤
﴿ طَبِيبِي ^(١٩) لَهُمْ وَحَسَنَ مَا بَ ^(٢٠) ﴾	٢٩	الرعد	٧٧
﴿ أَفْقِيدُهُ ^(٢١) ﴾	٣٧	إبراهيم	٢٠٢
﴿ أَفْقِدُهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ^(٢٢) ﴾	٣٧	إبراهيم	٢٢٢
﴿ إِمَّا أَنْ تَعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنً ^(٢٣) ﴾	٨٦	الكهف	٣٤
﴿ أَلَا يَسْجُدُوا ^(٢٤) ﴾	٢٥	الحمل	١٩٥
﴿ قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَمَنْ مَعَكَ ^(٢٥) ﴾	٤٧	الحمل	٩١
﴿ فَذَانِكَ بِرَهَانَانِ ^(٢٦) ﴾	٣٢	القصاص	٢٠٤
﴿ رَبِّ أَرْجِعُونِ ^(٢٧) ﴾	٩٩	المؤمنون	٢٢٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ (٢٧)	٥٥-٥٦	يس	٤٤
﴿ ساق ﴾ يوم يكشف عن ساق ﴾ (٢٨)	٣٣	ص	١٢-١٣
﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ (٢٩)	٢١	ق	٢٤
﴿ وقال قرينه هذا مالذي عتيد ، ألقياً ﴾ (٣٠) في جهنم كل كفار عتيد ﴾	٢٣-٢٤	ق	٢٥
﴿ في بطون إمهاتكم ﴾ (٣١)	٣٢	النجم	١٣٥
﴿ عاداً لولى ﴾ (٣٢)	٥٠	النجم	٩٣
﴿ غسلين ﴾ (٣٣)	٣٦	الحاقة	٢٥٦
﴿ أقت ﴾ ﴿ وُقَّت ﴾ ﴿ وإذا الرسل أقت ﴾ (٣٤)	١١	المرسلات	١٣٠
﴿ أرأيت ﴾ (٣٥) إن كذب وتولى ﴾	١٣	العلق	٥٩
﴿ أرأيت ﴾ (٣٦) الذي يكذب بالدين ﴾	١	الماعون	٥٩
﴿ أَلِله ﴾ (٣٧)			٢٦١

٢ - الأحاديث

- ١ - وفي الحديث أن يهوديًا رأى عليًا عليه السلام يتناح جهازا فقال له : بمن تزوجت ؟ فقال : بفاطمة بنت محمد ﷺ . فقال اليهودي : لقد تزوجت بامرأة^(١) ... ص ١٦١
- ٢ - وفي الحديث أنه مرّ بقوم يرتبعون حجرا . وفي رواية أخرى : يرتبعون حجرا ... ص ١٩٩

٣ - الأمثال وما جرى مجراها

الصفحة	نص المثل
٥٤	أجهل من صعل الدوّ
٥١	أحير من ضب ^(١)
٥	أطرق كرا ^(٢)
٣٢	حياك الله وبيّاك ^(٣)
٤٨	خيل لو كان لها فوارس
٥٤	دهدرين سعدُ القين ^(٤)
٤٧	شكاة فأين الحارث بن كلدة
٤٨	الصيف ضيعت اللبن ^(٥)
٤٧	قضية ولا أبا حسن لها ^(٦)
٤٧	لا هيّم الليلة للمطّي ^(٧)
٤٩	لا يكذب الرائدُ أهله ^(٨)
٤٩	لو كان معي ملء السماء لسلكت في الأرض القاء
٤٩	من شب إلى دبّ

٤ - الأشعار منسوقة على القوافي (أ)

الوافر :

وَأَنَيْتُ الْعِشَاءَ إِلَى سُهَيْلٍ أَوْ الشَّعْرَى فَطَالَ بِي الْأَنَاءُ^(١)
[أَصْلُكَ مَصْلَمُ الْأَذْنَيْنِ أَجْنَى] لَهُ بِالسِّيِّ تَنَوَّمَ وَأَءُ^(٢)
« زهير » ١١٢
لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ أَيَّ لَدٍّ فَمَجَّوْا النَّصْحَ ثُمَّ ثَنَّوْا فَقَاؤُوا
فَلَا وَاللَّهِ لَا يُرْجَى لَمَّا بِي وَلَا لِلْمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءُ^(٣)
« مسلم بن معبد » ١٩٤

(أ)

الكامل :

يَاغُثُّمُ أَدْرَكْنِي فَإِنَّ رَكِيَّتِي صَلَدْتُ فَأُعَيْتُ أَنْ تَبْضَ بِمَائِهَا^(٤)
« أبو زيد » ٢٧

(ب)

الطويل :

سَوَاسِيَّةٌ سَوْدُ الْوَجْهِ كَأَنَّمَا يَطُونُهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الزَّادِ أُوطُبُ^(٥)
فَهْذِي سَيُوفٌ يَأْصُدِّي بِنَ مَالِكٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ أَيْنَ بِالسَّيْفِ ضَارِبُ^(٦)
لَقَدْ مَنَّتْ الْخَذَوَاءُ مِنَّا عَلَيْهِمْ وَشَيْطَانُ إِذْ يَدْعُوهُمْ وَيَشْرِبُ^(٧)
فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِلْأَكْ « طِفِيلُ الْغَنَوِيِّ » ٢٥٠
تَنْزَلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٨)
« علقمة » ٦

(ب)

الكامل :

يَلْدَسُنَ جَنْدَلٌ حَائِرٌ لْجَنُوبِهِ فَكَأَنَّمَا تَنْفِي سَنَابِكُهَا حَبَا^(٩)
« أبو دؤاد » ٢٧٩

الرجز :

- إِنَّا بَذَلْنَا دُونَهَا الضَّرَابَا لَمَّا وَجَدْنَا مَاءَهَا طَيِّبًا^(١٠)
 ١٧٢ « ؟ »
 أَمَّ الحُلَيْسِ لِعَجُوزٍ شَهْرَبَةٍ^(١١)
 ١٩٣ « رُؤْبَةٌ »

(ب)

الطويل :

- وَمِنَّا لَقِيطٌ وَابْنَاهُ وَقَعْنَبُ مُوَزَّتْ نِيرَانِ المَكَارِمِ لَا الْمُخْبِي^(١٢)
 ١٥٥ « الكَمِيتِ »
 خَلِيلِي مَرَّا بِي عَلَى أَمِّ جُنْدَبِ لِأَقْضِي حَاجَاتِ الفُؤَادِ المَعْدَبِ^(١٣)
 أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ
 ٢٦ « امْرُؤُ القَيْسِ »
 فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفَنَّا ظَهُورَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مَشْطَبِ^(١٤)
 ١٠٧ « امْرُؤُ القَيْسِ »
 وَمَاشَنَ مِنْ وَادِي الْفَتَيْنِ مَشْرِقًا فَهِنْيَانِهِ لَمْ تَرَعَهُ أَمَّ كَاسِبِ^(١٥)
 ٢٥٨ « ؟ »

البسيط :

- وَلِيَّ حَيْثُمَا وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَعَاقِبِ^(١٦)
 ٢٦٧ « سَلَامَةٌ »

الرجز :

- يَالَيْتَ أُمَّ العَمْرُو كَانَتْ صَاحِبِي مَكَانَ مَنْ أُنْشَأَ عَلَى الرِّكَائِبِ^(١٧)
 وَرَابَعَتِي تَحْتَ لَيْلٍ ضَارِبِ بِسَاعِدِ قَعْمٍ وَكَفِّ خَاضِبِ
 ٢٠٠ « ؟ »

(ب)

الرجز :

- جَاءَ بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبِ أَزْيِيقُ الْعَيْنَيْنِ طَوَالَ الذَّنَبِ^(١٨)
 ١٧٢ « ؟ »
 أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ آلِ الْعُقْرَابِ الْمَصْفِيَاتِ الشَّايِلَاتِ الْأُذْنَابِ^(١٩)
 ٢١٥ « ؟ »

(ت)

الكامل :

- زَعَمْتُ ثُمَاضُ أُنْتِي إِمَّا أُمْتُ يَسُدُّدُ أَيْبُوهَا الْأَصَاغُرُ خَلَّتِي
 ١٤٦ « عِلْبَاءُ »

(ج)

الرجز :

إذا أخذت النهب فالتجأ النجا أخشى عليك طالبا سفتجا^(٢١)
من طلل أقفر ثم أنهجا^(٢٢)
٢٦٣

(ح)

الطويل :

وقد كنت تخفي حُبَّ سمراء حقبة فَبَحْ لَانَ منها بالذي أنت بائح^(٢٣)
« عنترة » ٩٤

(ح)

الوافر :

فقلت لصاحبي : لاتحسانا بنزع أصوله واجتزَّ شيجا^(٢٤)
وما إن زال طيفك لي غنيقا إلى أن خيمَل الداعي صباحا^(٢٥)
« مضرس أو يزيد » ٢٦
٢٧٠

(ح)

الوافر :

[وأنت من الغوائل حين تُرمي] وعن شتم الرجال مُنتزاح^(٢٦)
« ابن هرمة » ٢١٧

(د)

الطويل :

[يلوموني في حب ليلى عواذلي] ولكنني من واحدٍ لكميد^(٢٧)
١٩٣

البيسط :

حتى كأنَّ حزونَ القَفِّ ألبسها من وشي عبقر تجليلٍ وتنجيد^(٢٨)
« ذو الرسة » ٤٣

الوافر :

أحبُّ المؤقدين إليَّ مُوسى وحزرةً لو أضاء لي الوقود^(٢٩)
« جرير » ١٢

(د)

الطويل :

دعائي من نجدٍ فإنَّ سنيَّه ليعنَ بنا شيئا وشيننا مُردا^(٣٠)
« الصمة » ٢٥٧

البيسط :

وللقسى أزاميلٌ وغنمعةٌ حسَّ الشمالِ تسوقُ الماءَ والبردا^(٣١)
يا أمَّ طلحةَ إنَّ البينَ قد أفدا « عبد مناف الهذلي » ٢٠٩
[قل الثواءَ لئن كان الرحيلُ غدا]^(٣٢)
تنفي الحصى زيمًا أطرافَ سُنبيها « عمر بن أبي ربيعة » ٢٢٤
نفى الغرابِ بأعلى أنفه العردة^(٣٣)
« ؟ » ٢٣٧

الوافر :

.....
« ؟ » ٢٤٠

الكامل :

يَدَيانَ بَيْضَاوانَ عندَ محرقٍ قد تمنعناك أن تُضامَ وتضهدا^(٣٤)
« ؟ » ١٦٨
قد أصبحوا لا يمنعونك نقرة حتى تمدَّ إليهم كَفَّ اليدا^(٣٥)
« ؟ » ١٦٦

الرجز :

ياربِّ سارٍ بائٍ ماتوسدا إلا ذراع العنُس أو ظهر اليدا^(٣٦)
« ؟ » ١٦٧
لو أن عمرا هم أن يرقودا^(٣٨)
« ؟ » ٢٢٠

(هـ)

الطويل :

وذى نَحواتٍ طامحِ الطرفِ جاذبت حبالِي فلَوِّى من عِلايَّه مدِّي^(٣٩)
فكنت كمهريق الذي في سِقائه « دوسر » ١٥
لرقراق آل فوقَ رابيةٍ صلَّد^(٤٠)
« العدِيل بن الفرخ » ٢٤٤
أقبا الكُشوح أهُضمانِ كلامها كعالية الخطي واري الأزانَد^(٤١)
« أبو ذؤيب » ٢١٠

(د)

الوافر :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد^(٤٢)
أقول لها وضوء الصبح باد: ألم تحزنك حيلة المنادي^(٤٣)
« قيس بن زهير » ٢٠٦
« ؟ » ٢٧٠

(ذ)

الرميل :

وشباب حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد^(٤٤)
« أبو دود » ١٥٥

(ر)

الطويل :

فقلت اصطبحها أو لغيري فاهديها فما أنا بعد الشيب وبيك والخمر^(٤٥)
تجاللت عنها في السنين التي مضت فكيف التصابي بعدما كلاً العمر
[ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه] كضب الكدى آدمى أنامله الحفر^(٤٦)
« الأقيشر » ٥
وأخرى أتت من دون ناعم ومثلها نهى ذا النهى لو ترعوي أو تفكر^(٤٧)
« خالد بن الطيفان » ٢٢٩
وكنث أرجي بعد نعمان جابرًا فلوأ بالعينين والأنف جابر^(٤٨)
« ؟ » ٢١٩
رأت رجلًا أيما إذا الشمس عارضت فيضحى وأيما بالعشي فيخصر^(٤٩)
« عمر بن أبي ربيعة » ٢٦٩
إلى السلف الماضي وآخر واقف إلى ربّ حير حسان جاذره^(٥٠)
« ؟ » ٣٩
وما حمل البختي عام غيابه عليه الوسوق برها وشعرها^(٥١)
أنى قرية كانت كثيرًا طعامها كرفغ التراب كل شيء يمرها
فقيل: تحمل فوق طوقك إنها مطبعة من يأتها لا يضيها
« أبو ذؤيب » ٢٠٠

الكامل :

تمشي الدفقى من مخافة شذقم يمشي العجيلي والخنيف ويضبر^(٥٢)

٢٤٣

(ر)

الكامل :

إنّا لنضرب جعفرًا بسيوفنا ضرب الغرية تركب الآسار^(٥٣)

١٣٦

(ر)

الطويل :

لقيت ابنة البكري زينب عن عُفر
فقبلتها ثنتين كالثلج منهما
ونحن حرامٌ مُسي عاشرة العشر^(٥٤)
وأخرى على لوحٍ أحرّ من الجمر

« أبو العميل » ١٤٢

وكت إذا جاري دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق مئزري^(٥٥)

« أبو جندب » ٧٣

أبوهم أُنَى والأمهات أمهاتنا
فانعم ومتعني نفيس بن جَحَدَر^(٥٦)

« حاتم الطائي » ١٣٤

البسيط :

يالجنةُ الله والأقوام كلهم
والصالحين على سماع من جار^(٥٧)

١٩٦

الوافر :

أطعتُ الأمرين بصرم سلمى
فطاروا في عضاه يستعور^(٥٨)

« عروة بن الورد » ٢٤٦

الكامل :

والسترُ دون الفاحشات ولا
يلقاك دق الخير من ستر^(٥٩)

« زهير » ٥٥

الخفيف :

وسواعيذُ يُختَلَيْنَ اختلاءً
كالغالي يطرن كل مطير^(٦٠)

« عمرو بن الأهم » ٢٠٧

(ر)

الطويل :

بخاني قطارٍ مدّ أعناقها السفر^(٦١)

« ؟ » ٢٨٥

الكامل :

قَفْ بالديار وقوفَ زائرٍ وتأيّ إنك غيرُ صاغِرٍ^(٦٢)
« الكميت » ٧٥

الرجز :

هل تعرف الدار بأعلى ذي القوزِ قد درست غير رماحٍ مكفورٍ^(٦٣)
مكتئب اللون مريحٍ ممطورٍ أزمانَ عیناء سرور المسرور
حوراء عیناء من العین الحیر

« منظور بن مرثد » ٣٩

المقارب :

لنا صرخة ثم إصماتة كما طرقت بنفاسٍ بكِرٍ
« أوس بن حجر » ٢١٥

(س)

الطويل :

هنيئاً لأرباب البيوت يبوئهم وللعزب المسكين مايتلمس^(٦٥)
« أبو الفطريف » ٧١

الوافر :

فغار الزاجرون فغار منهم يقرأنا وصادفه ضبيس^(٦٦)
« أبو زيد » ٩٢

(س)

الطويل :

وداويتها حتى شئت حبشية كأن عليها سندساً وسُدوساً^(٦٧)
« يزيد بن خذاق » ٣٠

(س)

المنسرح :

فنهزة من لقوا حسبهم أشهى إليه من بارد الدبسر^(٦٨)
« أبو زيد » ٢١٤

(س)

السريع :

إما تري رأسي أزرى به مأسُ زمانٍ ذي انتكاسٍ مؤوس^(٦٩)
« الأفوه » ١٣

(ص)

الطويل :

[كَأَن سِرَاتِهِ وَجُدَّةَ ظَهْرِهِ] كَنَائِنُ يَجْرِي فَوْقَهُن دَلِيسُ^(٧٠)
« امرؤ القيس » ٢٤١

(ص)

الكامل :

كَنَائِنَةُ الزُّغَرِيِّ جُلُ — لَلَّهَا مِنَ الذَّهَبِ الدُّلَامِصُ^(٧١)
« أبو دواد » ٢٤١

(ط)

الوافر :

أَبِيتُ عَلَى مَعَارِي فَاحِرَاتٍ بَيْنَ مُلَوَّبٍ كَدَمِ الْعِصَاطِ^(٧٢)
« المتنخل » ٢١٢

(غ)

الطويل :

كَأَنَّ الْحَالِ الْغَرَّ فِي حَجَرَاتِهَا عِذَارَى عَلَى طَايَاتِ مِصْرَ تَطْلَعُ^(٧٣)
« ؟ » ١٢٠

الكامل :

تَرَكُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهِمُ فُخِرَمُوا وَلَكَلَّ جَنْبِ مِصْرُ^(٧٤)
« أبو ذؤيب » ١٨٣

(غ)

الطويل :

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَابْنَ عِفَانِ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَدْعَانِي أَحْمِرْ عَرْضًا مَمْنَعًا^(٧٥)
« سويد » ٢٥

الوافر :

أَنَا ابْنُ التَّارِكِ الْبَكْرِ بَشِيرٍ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وَقَوْعَا^(٧٦)
« المرَّاز » ١٨٤

الرجز :

أَيِّنَ الشَّظَاظَانِ وَأَيِّنَ الْمُرْبَعَةِ وَأَيِّنَ وَسْقِ النَّاقَةِ الْجَلْنَفَةِ^(٧٧)
١٩٧

(ف)

الطويل :

يشبهها الرأي المشبه بيضة غدا في الندى عنها الظلم المهجف^(٧٨)
« جران العود » ٢٢

(ف)

البيط :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف^(٧٩)
« الفرزدق » ٢١٠

(ق)

الطويل :

إني بما قد كلفتنى عشيرتي من الدب عن أعراضها لحقيق^(٨٠)
« غيلان بن حريث » ١٠٩

(ق)

البيط :

حلت عليه إياة الشمس أوراقا^(٨١)
« أبو دواد » ٧٦

الرملى :

فلئن قوم أصابوا غرة وأصينا من زمان رقا^(٨٢)
للقد كنا لدى أرحنا لصنيعين لباس وتقى
« ؟ » ١٩٤

(ق)

البيط :

طيف ابنة الحر إذ كنا نواصلها ثم اجتنبت بها بعد التفراق^(٨٣)
« تأبط شرا » ٩٢

الوافر :

حسبت بغم راحلتي عناقا وماهو وب غيرك بالعناق^(٨٤)
« ذو الخرق الطهوي » ٢٢٣

(ق)

الرجز :

إذا العجوز غضبت فطلَّقْ ولا ترضَّها ولا تُملِّقْ^(٨٥)
« رؤية » ٢١٨

(ك)

الرجز :

والله سماك سَمًا مِباركا آثرك الله به إيثارك^(٨٦)
دار لسعدى إذِهِ من هواك^(٨٧) « أبو خالد القناني » ١٢٩
يايتا علك أو عساک^(٨٨) « ؟ » ١٩٨
« رؤية » ٢٦٣

(ك)

الطويل :

أقول وقد ناءت بهم غربة النوى نوى خيتعور لاتشيط ديارك^(٨٩)
٨

(ل)

الطويل :

يَحْيَلُ عليها جَنَّةٌ عبقرية جديرون يومًا أن ينالوا ويستعلوا^(٩٠)
عليهن فرسان كرام لباسهم سوابيع زغف لاتخرقها النبيل^(٩١) « زهير » ٤٣
لقد بسملت ليل غداة لقيتها فياحبذا ذاك الحبيب المبسل^(٩٢) « زهير » ٢٠٧
بأني امرءًا والشام بيني وبينه أتنني ببشرى بُردَه ورسائله^(٩٣) « عمر بن أبي ربيعة » ٢٧٠
وكائن ترى من يلعمي محظرب ومن مرثعن في الأمور مواكل^(٩٤) « طرفة » ٩٧
وليس له عند العزائم جُول وهو بسنل المضلات نبيل

البيط :

أبلغ يزيد بني شيان مالكة أبا ثبيت أما تنفك تأتكل^(٩٥)
« الأعشى » ٧

إذ هي أحوى من الرُبْعِي حاجبه والعين بالإحمد الحارّي مكحول^(٩٦)
« طفيل الغنوي » ٩٨

الوافر :

لقد لقيت قريظة ماسآها وحلّ بدارها ذلّ ذليل^(٩٧)
« كعب بن مالك » ١٣٦

(ل)

الطويل :

ألكني إلى قومي السلام رسالة بآية ماكانوا ضعافًا ولاعزلاً^(٩٨)
« عمرو بن شأس » ٧
خرجنا من النقبين لاحي مثلنا بآيتنا نزجي العتاق المطافلا^(٩٩)
« البرج بن مسهر » ٧٤

(ل)

الطويل :

كأني بفتحاء الجناحين لقوة دفوف من العقبان طأطأت شيمالي^(١٠٠)
« امرؤ القيس » ٢١٣
فإن شفائي عبدة مهراقة [فهل عند رسم دارس من معول^(١٠١)]
« امرؤ القيس » ٢٤٤
[إذا قامتا تضرّوع المسك منهما نسيم الصبا] جاءت برىا القرنفل^(١٠٢)
« امرؤ القيس » ٢٦٣
إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة مغيل^(١٠٣)
« ذو الرمة » ٢٣
فمت كمدا أو كل غير شهوة أفانين علقى مرة بأميل^(١٠٤)
٧٩

البسيط :

يأنى لحر فلا يغني به بدلا أب برئي وخال غير مجهول^(١٠٥)
« زهر » ١٣٩

الوافر :

كأن ملاءتي على هجف يُعن مع العشية للرائال^(١٠٦)
« الأعلام الهذلي » ٢٢

- فلا وأبيك لاينجو نَجائي
غداة لقيتهم بعضُ الرجال^(١٠٧)
هواءٌ مثلُ بعلك مستميتٌ
على ماني إعائك كالخيال
إذا اختصم الصبي والشيبُ عندي
فأفلجتُ الشبابَ فلا أبالي^(١٠٨)
حلولُ الشيبِ مالم أجن ذنباً
يكون سواه أتوَجِّلُ حلال
وجدت أُنِي قد آورته أبوه
«أبو صخر» ١٥٥
«؟» ٢٦١

الرجز :

بشيبة كشيبة المرجل^(١١٠)

«العجاج» ٢٣٩

الحفيف :

فإذا ساطنٌ عصاه عكاه
ثم يرتو عليه بالأغلال^(١١١)
«أمية» ٢٤٩

(ن)

الرجز :

رب ابن عمّ لسليمي مشمعلٌ
طباخ ساعات الكرى زاذ الكيل^(١١٢)
خودٌ أناة كالمهاة عطبول
«؟» ١٩٨
«؟» ٢١٩
«؟» ٢١٩

الرمل :

فتأبى بطريير مرهف
جفزة المحزم منه فسعل^(١١٤)
فتولوا فاتراً مشمهم
كروايا الطبع همت بالوَحْل^(١١٥)
«لييد» ٧٥
«لييد» ٢٠١

المنسرح :

لاعهد لي بالنـيضال
كأنني شيخٌ بال^(١١٦)
«؟» ٢١٣

(م)

الطويل :

فلا أعرفني الشيخ يصبح قاعدًا بأوحد لاملّ لديه ولا ابْنُم^(١١٧)
« ؟ » ١٥٦

الوافر :

ولا جثامة في الرخل مثلي ولا برم إذا أمسى نؤوم^(١١٨)
« الوليد بن عقبة » ٥٥

الرجز :

وعامنا أعجينا مقدمه يكنى أبا السمع وفرضاب سُمه^(١١٩)
١٢٩

الخفيف :

ورهنّت اليدين عنهم جميعًا كل كف لها جز مَقْسُوم^(١٢٠)
« حسان بن ثابت » ١٥٣
فهي شوهاء كالجوالق فوها مستجاف يضلّ فيه الشكيم^(١٢١)
« أبو ذؤاد » ١١٨

(م)

الطويل :

ولست أرى مرءًا تطول حياته فَبَقِيَ له الأيام خالًا ولاعمًا^(١٢٢)
« ؟ » ١٥٩

وماهاج هذا الشوق إلا حمامة دعث ساق خُرّ ترحة وترنما^(١٢٣)
من الأرقى حماء العلاطين باكرث عَسِيبَ أشياء مَطلع الشمس أسحما

« حميد بن ثور » ١١
فدع عنك ذكر اللهو واعمد بمدحة لخير معدّ كلّها حيث ماانتمى^(١٢٤)
لأجودها كفا وأكرمها أبا وأحسنها وجهًا وأرفعها سُمًا

١٢٩
[وهل لي أم غيرها إن ذكرتها] أئى الله إلا أن أكون لها ابنا^(١٢٥)

« المتلمس » ١٥٦
[فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا] ولكن على أعقابنا يقطر الدما^(١٢٦)

« الحصين بن الحمام » ١٦٤

فلن أذكر الثُعمانَ إلا بصالح
فإنَّ له عندي يدَيَا وأنعمَا (١٢٧)
« ضمرة بن ضمرة » ١٦٦

الرجز :

فإنه أهلٌ لأن يؤكرما (١٢٨)
« أبو حيان الفقعسي » ٢٥٩

الرمل :

كأطوم فقدت برغزها
أعقبها القُبسُ منه عدما (١٢٩)
غفلت ثم أتت تطلبه
فإذا هي بعظام ودمها
« ١٦٤ » ٩

(م)

الطويل :

أبا معقل إن كنت أشحت حلّة
أبا معقل فانظر بسهمك من ترمي (١٣٠)
لعمرُ أبي الطير المربة بالضحي
على خالدٍ أن قد وقعن على لحم (١٣١)
ألا ياسلمي ثم اسلمي ثم اسلمي
ثلاث تحياتٍ وإن لم تكلمي (١٣٢)
هجاؤك إلا أن ماكان قد مضى
عليّ كاثواب الحرام المهنيم (١٣٣)
أثافني سفعًا [في معرسٍ مرجل
ونؤيا كجذم الخوض لم يتلّم] (١٣٤)
« زهير » ٢٨٣

البسيط :

من كل أغبر كالراقود حُجزّه
إذا تعشّى عتيق التمر والثوم (١٣٥)
« الفرزدق » ١٧

الكامل :

قد كنت أحسبني كأغنى واحد
قدم المدينة عن زراعة قوم (١٣٦)
« أبو محجن » ١٧

الرجز :

وغيرُ سفع مثل يحام (١٣٧)
« غيلان بن حريث » ١١٠

..... ولم يُلَحِّها حَزَنٌ على آبنم (١٣٨)

« العجاج » ١٥٦

..... قواطئنا مكة من ورق الحمي (١٣٩)

« العجاج » ١٩٧

لو أنَّ عندي مائتي درهمٍ لايتعُتْ دارًا في بني حَرَامِ (١٤٠)
وعشْتُ عيشَ الملكِ الهمامِ وسرْتُ في الأرض بلا ختامِ

« ؟ » ٢١١

(نُ)

الطويل :

رويدَ عليًا جدَّ مائذي أمهم إينا ولكن ودَّهم متاين (١٤١)

« مالك بن خالد » ٥٩

هي البازل الكوماء لاشيء غيره وشيطانة قد جُنَّ منها جنونها (١٤٢)

« ؟ » ٢٥١

الرجز :

مثل القلات ضُربت قُلِينُها (١٤٣)

« ؟ » ٢٥٦

(نَ)

البيط :

لما استبدَّ بهم شيحانُ مبتجع بالبين عنك بهم يراك شنانا (١٤٤)

« ؟ » ٨٣

الوافر :

أتظلم جارتيك عقال بَكْرِ وقد أوتيت مالاً وابنينا (١٤٥)

« ؟ » ١٥٧

ولا تصَلِّي بمطروقي إذا ما سرى في القوم أصبح مستكينا (١٤٦)

« ابن أحر » ٢١٦

الكامل :

وأنت صواحبا قفلن : هذا الذي منح المودة غيرنا وجفانا (١٤٧)

« جميل » ٩٥

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلّاي قطينا (١٤٨)

« جرير » ٢٢٥

الكامل :

- بان الحمول فما شأونك نقرّة ولقد أراك تُشاء بالأطعمان^(١٥٩)
 بالرجال لحادث الأزمان ولنسوة من آل أبي سفيان^(١٦٠)
 تلقى الضيفّة من بنات مجاشع ولها إذا انحَلّ الإزارُ حران^(١٦١)
 درس المنابِ بمُتالعِ فابسان [بالحبس بين البيد والسُويان]^(١٦٢)
 [أفواها حذّة الجفير كأنها] أفواه أفرجة من النفران^(١٦٣)
 ٢٢١ « ؟ »

الرجز :

- نهتُ ميموئنا بأشمذين فقال لي وأنّ أُنثين^(١٦٤)
 أما ترى ماقد أصاب عيني من الشظاظ ومن الحنوتين
 قد تعلم العيسُ العتاق أني أحذو بها منقطعاً شسعي^(١٦٥)
 وأنت يابني فاعلم أنّي أحبّ منك موضع الوشن^(١٦٦)
 وموضع الإزار والقفن
 « دهلبن بن قريع » ٢٦٤

(ن)

الرجز :

- كأنما هو حبشي مائل عارٍ عليه من تلالٍ هذمان^(١٦٧)
 يالأيها الضبّ الخذّودان^(١٦٨) « النظار الأسدي » ٦٨
 ٢٢٩ « ؟ »

(ي)

الكامل :

- وكانها بين النساء سيكة تمشي بسدة بيتها فتعي^(١٦٩)
 ١٠٥ « ؟ »

الرجز :

- وقد تُرى إذ الحياةُ حَيٌّ وإذا زمانُ الناسِ دَغُفْلِي (١٧٠)
- تلقه الرياح والسُّمِّي (١٧١)
- « العجاج » ٧٣
- « العجاج » ١٣٧

(ي)

الطويل :

- إذا مَثُ فاعتادي القبورَ وسَلَمِي على الرِّيمِ أُسْقِيتِ السحابُ الفوادي (١٧٢)
- ذهبَ بمسواكي وغادرَ مذهبًا من الصوغِ في صُغرى بنانِ شمالي (١٧٣)
- « سحيم » ٣٤
- تُرِيدِينَ لِيَانِي وَأَنْتِ مَلِيَّةٌ وأُخْمِينُ يَأْذَاتِ الوشاحِ التفاضي (١٧٤)
- « ذو الرمة » ١٠٠
- جزائي يديَّي أَنَسِي كُنتَ رَمَا جفوتُ له في الزادِ بعضُ عيالي (١٧٥)
- ١٦٦
- وتضحكُ مني شِخْةٌ عَشْمِيَّةٌ كأنَ لم تَرى قبلي أُسِيرًا يَمَانِي (١٧٦)
- « عبد يغوث » ٢١٩
- فَيَازِيدُ عَلَلْنَا بِعَمْنٍ يَسْكُنُ الغضا وإنْ لم يَكُنْ يَازِيدُ إِلَّا أَمَانِي (١٧٧)
- ٢٨٢
- تَراغَيْتُمُ يَوْمَ الزَّيْبِرِ كَأَنَّكُمْ ضَبَاعُ بَذِي قَايِرٍ تَمْنَى الْأَمَانِي (١٧٨)
- « جرير » ٢٨٢
- [وَقَدِرْ كَرَأْلَ الصَّحْصَحَانِ وَثِيَّةٌ] نَصَبْتُ لَهَا بَعْدَ الْهَدَوِّ الْأَثَانِي (١٧٩)
- « الراعي » ٢٨٣

الوافر :

- أَلَا مَنْ مَبْلَغَ الْحَرَيْنِ عَنِّي مَغْلَغَلَةٌ وَخَصَّ بِهَا أُبَيَّا (١٨٠)
- يَطْوِفُ بِي عِكَبٌ فِي مَعْدُ وَيَطْعُنُ بِالصَّمَلَةِ فِي قَفْيَا
- « المنخل البشكري » ١٨٥

(ي)

الرجز :

لا هيئَمَ اللّيلةَ للمطَيِّ [ولا فتى مثل ابن خبيرى]^(١٨١)

٤٧

(ي)

الرجز :

إنّ بني يربوعَ أربابَ الشّوي قومٌ يلبّونَ السّويقَ بالمنى^(١٨٢)
مَنْ يشربِ المنيَّ يحبلُ بصبي

١١٦

١ - التعليقات على الآيات

- (١) احتج المعري بقراءتهم « هُدِّي » قال ابن عيني : إنها قراءة النبي ﷺ وأبي الطفيل وعبد الله بن أبي إسحاق وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفي . وقال : هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم ، أن يقلبوا الألف من آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم ياءً . انظر المحتسب ١ : ٧٦ والكشاف ١ : ٩٧ .
- (٢) أشار أبو العلاء هنا إلى القراءتين : وفومها ، وثومها . ذكر ابن خالويه في شواذه ص ٦ وثومها بالثناء عن ابن مسعود وابن عباس . وفي المحتسب ١ : ٨٨ يقال : الثوم والقوم بمعنى واحد كقولهم : جدت وجدف ... ويقال : القوم : الجنة .
- انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤١ والكشاف ١ : ١٠٨ وتفسير القرطبي ١ : ٤٥٠ وتفسير الفخر الرازي ١ : ٣٦٦ والبحر المحيط ١ : ٢٣٣ .
- (٣) احتج أبو العلاء بقراءتهم « حسنى » بغير تنوين . هي قراءة الحسن والأخفش وأبي وطلحة بن مصرف . انظر شواذ ابن خالويه ص ٧ والكشاف ١ : ١١٩ .
- (٤) الإشارة هاهنا إلى قراءة الحسن « المر » بالتخفيف ، ونسبها ابن جني إلى قتادة أيضاً ، وقال : إنها على التخفيف القياسي . المحتسب ١ : ١٠١ والبحر ١ : ٣٣٢ .
- (٥) الاحتجاج في هذا الموضع بقراءة يحيى بن وثاب « إضطره » بكسر الهمزة . انظر شواذ ابن خالويه ص ٩ والكشاف ١ : ١٣٩ ومعاني الفراء ١ : ٧٨ والبحر ١ : ٣٨٤ .
- (٦) الأنجيل - بفتح الهمزة - وهي قراءة الحسن . انظر شواذ ابن خالويه ص ١٩ والمحتسب ١ : ١٥٢ والقرطبي ٤ : ٦ والفخر الرازي ٢ : ٤١٢ والبحر ٢ : ٣٧٨ والإتحاف ٢٠٢ وقد وردت كلمة الإنجيل في طائفة من الآيات في السور ، فقد وردت في الآيات ٣ ، ٤٨ ، ٦٥ من آل عمران ، وفي الآيات ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٠ من المائدة وفي الآية ١٥٧ من الأعراف والآية ١١١ من التوبة والآية ٢٩ من الفتح والآية ٢٧ من الحديد .
- (٧) ذكر أبو العلاء هذه الآية في سياق الفكرة التي كان يناقشها وفحواها أن القراءة لا تحمل على ما يجوز في كلام العرب ، فهم لا يطالبون أن يقرأوا : « ولله على الناس حج البيت » .
- (٨) القراءة المشار إليها « تبيض .. وتسود » بكسرتاء المضارعة ، وهي قراءة يحيى بن وثاب . انظر الكشاف ١ : ٣٠٧ والقرطبي ٤ : ١٦٧ والبحر ٣ : ٢٢ .
- (٩) الإشارة إلى قراءتهم « فلامه » بكسر الهمزة . وهي قراءة حمزة والكسائي والأعمش انظر كتاب السبعة ٢٢٨ والتيسير ٩٤ والتبصرة ١٧٩ والحجة لابن خالويه ١٢٠ والكشاف ١ : ٣٧٣ وتلخيص العبارات ٨١ والقرطبي ٥ : ٧٢ والفخر ٣ : ١٥٨ والبحر ٣ : ١٨٤ .
- (١٠) تيلمون أصلها : تألمون . وتيلمون هي قراءة نسبت إلى يحيى بن وثاب . انظر المحتسب ١ : ١٩٨ . والكشاف ١ : ٤٣٥ .

(١١) في هذه الموضع فصل أبو العلاء القول في كلمة « مهيمن » وقد وردت هذه الكلمة مرة في المائدة وأخرى في سورة الحشر ، الآية ٥٩ .

(١٢) ذكرها وقد وردت على لسان أحد الملائكة .

(١٣) ذكرها ليدل بها على أن « أثاقلتم » أصلها : تثاقلتم .

(١٤) ذكرها ليتحدث صرفيًا عن كلمتي مجراها ومرساها .

(١٥) أشار في هذه الآية إلى القراءة بكسر تاء المضارع في « تركنوا .. ونمسمك » وهي قراءة يحيى بن وثاب قال ابن جنبي في المحتسب ١ : ٣٣٠ : ومن ذلك قراءة يحيى والأعمش وطلحة بخلاف ، ورواه إسحاق الأزرق عن حمزة « فتمسككم » بكسر التاء . وهذه لغة بني تميم . وذكر الزمخشري أن بني تميم يكسرون حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم . انظر الكشف ٢ : ٣٣٨ والبحر ٥ : ٢٦٩ .

(١٦) الاستشهاد ههنا بقراءة الحسن « متكآء » بزيادة الألف . انظر شواذ ابن خالويه ٦٣ والمحتسب ١ : ٣٣٩ والكشاف ٢ : ٣٦٢ والبحر ٥ : ٣٠٢ والإتحاف ٣١٦ .

(١٧) ذكرها شاهداً على حذف المضاف والتقدير : واسأل أصحاب القرية .

(١٨) « إله من يتقي » قراءة ابن كثير وقُبل . انظر كتاب السبعة ٣٥١ والتيسير ١٣١ والنشر والحجة لابن خالويه ١٩٨ والقرطبي ٩ : ٢٥٦ والفخر ١٨ : ٢٠٤ والبحر ٥ : ٣٤٢ والإتحاف ٣٢٠ .

(١٩) الاحتجاج هنا بقراءة مكوزة الأعرابي . وذكرها ابن خالويه في شواذه ٦٧ ونسبها إلى مكورة - بالرأ - وفي البحر ٥ : ٣٩٠ : بكرة الأعرابي وفي الكشف ٢ : ٤١٢ مكوزة . وانظر الفخر ١٩ : ٥١ .

(٢٠) أقيده . هذه قراءة ابن عامر . انظر التيسير ١٣٥ والنشر ٢ : ٢٨٨ والبحر ٥ : ٤٣٢ والإتحاف ٣٢٨ .

(٢١) ذكرها في معرض حديثه عن كلمة فؤاد وجمعها .

(٢٢) ذكر المعري أن بعض القراء قرأ « حسنى » بغير تنوين . وقد مرّ مثلها في التعليق رقم ٣ . ولم أجد نصاً عليها في الكهف في كتب القراءات التي رجعت إليها .

(٢٣) ذكر هذه الكلمة من الآية على أنها مما تركت فيه الإمامة . وقد قرأها الكسائي « ألا » بالتخفيف ولم يجعل فيها (أن) ووقف على « ألايا » ثم ابتدأ : اسجدوا . أما سائر القراء فقد شددوا اللام في « ألا » . كتاب السبعة : ٤٨٠ وانظر التبصرة ٢٨١ والنشر ٢ : ٣٢٣ وتلخيص العبارات ١٣١ والإتحاف ٤٠٨ .

(٢٤) استشهد بها ليدل على أن أصل : أطيرنا : تطيرنا .

(٢٥) الاحتجاج بقوله : فذانيك . وهي قراءة ابن كثير وابن مسعود وشعبة . انظر القرطبي ١٣ : ٢٨٥ والبحر ٧ : ١١٨ .

(٢٦) ذكر المعري هذه الآية شاهداً على خطاب المفرد (رب) بضمير الجمع « أرجعون » للتعظيم .

(٢٧) ذكر هذه الآية على لسان « رضوان » يصور نعيم أصحاب الجنة .

(٢٨) ذكر المعري أن بعض القراء قرأ (ساق) بالهمز . وهذا إشارة إلى قراءة ابن كثير ، قال ابن مجاهد :

(قرأ ابن كثير وحده « بالسوق » بهز الواو . وقرأ البزري بغير همز . وقال البزري : سمعت أبا الإخريط يهزها ويهز « عن ساقبها » [التمل ٤٤] وأنا لا أهز شيئاً من هذا . وقال علي بن نصر عن أبي عمرو : سمعت ابن كثير يقرأ : « بالسوق » بواو بعد الهمزة . كذا قال عبيد الله بإسناده عن أبي عمرو . كذا في أصله . ورواية أبي عمرو عن ابن كثير ، هذه هي الصواب من قبل أن الواو انضمت فهمزت والأولى لا وجه لها) . وانظر التيسير ١٦٨ والتبصرة ٢٨٢ والحجة لابن خالويه ٣٠٤ والكشاف ٤ : ٧٢ والبحر ٧ : ٣٩٧ والإتحاف ٤٥٥ . (٢٩) ذكر المعري هذه الآية ليبنى عليها مسألة .

(٣٠) ذكر شاهداً على مخاطبة الواحد بالتوحيد والتنثية ، فقد وُحِدَ في « قرينه » وثني في « ألقيا » . وقرأ الحسن : « ألقيا » بنونٍ خفيفة . قال ابن جني : هذا يؤكد قول أصحابنا في « ألقيا » أن أراد « ألقيا » وأجرى الوصل فيه مجرى الوقف كقوله - أي المحتاج - : يا حرسني اضربا عنقه . انظر المختص ٢ : ٢٨٤ وشواذ ابن خالويه ١٤٤ والقرطبي ١٧ : ١٦ والبحر ٨ : ١٢٦ .

(٣١) احتج بها دليلاً على أن العرب يكسرون همزة « أم » إذا وقعت قبلها كسرة أوياء . انظر التيسير ٩٤ والتبصرة ١٧٩ .

(٣٢) قال في كتاب السبعة ٦١٥ : قرأ نافع وأبو عمرو « عادًا لولي » موصولة مدغمة ، واختلف عن نافع في الهمزة ، فرويت عنه : عادًا لولي ، كما رويت عادًا لولي .. وانظر التيسير ٢٠٤ والتبصرة ٣٣٨ وتلخيص العبارات ١٥٤ والقرطبي ٧ : ١٢ والبحر ٨ : ١٦٩ .

(٣٣) وردت كلمة « غسلين » ليتحدث عنها حديثاً مفصلاً .

(٣٤) أشار المعري إلى القراءتين : وقتت وأقتت . جاء في كتاب السبعة ٦٦٦ : قرأ أبو عمرو وحده : وقتت بواو . وقرأ الباقر : أقتت . وانظر التبصرة ٣٦٨ والإتحاف ٥٣٠ .

(٣٥) ذكرها في معرض قوله : إن في مصحف ابن مسعود كافيًا زائدة في الخط في كل (أرأيت) في القرآن وانظر الحاشية التالية .

(٣٦) انظر ماسبق ، ونضيف أن الفراء ذكر في معاني القرآن ٣ : ٥٠ : أرئتك . وفي شواذ ابن خالويه أن قراءة ابن مسعود : أرئتك ص ١٨١ .

(٣٧) ذكرها مشيرًا إلى قراءة ورش . انظر النشر ١ : ٤٠٢ .

٢ - التعليقات على الأحاديث

- (١) الحديث في النهاية لمجد الدين بن الأثير « مرأ » ٤ : ٩٣ . وفسر قوله : « بامرأة » بقوله : يريد امرأة كاملة . كما يقال : فلان رجلٌ أي : كامل في الرجال .
- (٢) في الفائت للزمخشري ٢ : ٢٣ : النبي ﷺ مرّ يقوم يربعون حجراً ، ويروى : يرتبعون فقالوا : هذا حجر الأشداء . فقال : ألا أخبركم بأشدّكم ؟ : مَنْ ملك نفسه عند الغضب . قال الزمخشري :
- رُبْعُ الحجر وارتباعه وإجذاؤه : رفعه لإظهار القوة ، وسمي الحجر المربع : الربيعه والمُجذَى ... وهما من ربيع بالمكان وجذا فيه إذا وقف وثبت لأنه عند إشالته الحجر لا بدّ له من ثبات واستمكانٍ في موقعه . وانظر النهاية لابن الأثير « ربيع » ٢ : ٦٥ .

٣ - التعليقات على الأمثال

- (١) المثل في الدرة الفاخرة ١ : ١٥٩ وجمهرة الأمثال ١ : ٤٠٠ وجمع الأمثال ١ : ٢٢٧ والمستقصى ١ : ٩٠ .
- (٢) كتاب سيبويه ١ : ٣٢٦ ، ٢ : ١٩٩ والزاهر ٢ : ٣٧٦ .
- (٣) الأمثال لأبي عكرمة ٢٤ وإصلاح المنطق ٣١٦ والإتباع ٢٤ والزاهر ١ : ١٥٥ والصحاح واللسان : بيا .
- (٤) في كتاب الأمثال لأبي عبيد ٨٣ : قال الأصمعي : من أمثالهم في هذا : دُهْ دُرَيْن سَعْدُ الْقَيْنَ وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمُ الْبَاطِل . قال الأصمعي : ولا أدري ما أصله .
- وانظر : الدرة الفاخرة : ٥٠٦ وجمهرة الأمثال ١ : ٤٤٨ وجمع الأمثال ١ : ٢٦٦ وفصل المقال ١٠٦ واللسان : دهدر .
- (٥) الأمثال لأبي عبيد ٢٤٧ وللضبي ٧ والفاخر ١١١ وجمهرة الأمثال ١ : ٥٧٥ والزاهر ٢ : ٢٣٥ وجمع الأمثال ٢ : ٦٨ والمستقصى ١ : ٣٢٩ وفصل المقال ٣٥٧ والوسيط ٤٨ واللسان : صيف .
- (٦) كتاب سيبويه ١ : ٣٥٥ .
- (٧) انظره في فهرس الشعر (الحاشية ١٨١) .
- (٨) الأمثال لأبي عبيد ٤٩ وجمهرة الأمثال ١ : ٤٧٤ وجمع الأمثال ٢ : ٢٣٣ والمستقصى ٢ : ٢٧٤ واللسان : رود .

٤ - التعليقات على الأشعار

- (١) ديوان الخطيئة : ٩٨ ق ٧ ب ٥٠ والمقصود والمدود للفراء : ٣٩ وابن ولاد ٧١ وإصلاح المنطق ٢٤٣ برواية : وأكرت العشاء . وكذلك في المشوف المعلم ٢ : ٦٧٣ . وجمهرة اللغة ٣ : ٢٥٩ والزاهر ١ : ٣٩٧ و ٢ : ٢٢ ومعجم العين ٨ : ٤٠٢ وتهذيب اللغة ١٠ : ٣٤٣ و ١٥ : ٥٥٤ واللسان : كرا .
- (٢) ديوان زهير بشرح ثعلب : ٦٤ وفي شرح الأعلام ١٢٤ والمقصود لابن ولاد : ١٢ والمنصف ٣ : ٨٤ والمسائل الحلييات ٤١ وتهذيب اللغة ٩ : ٤٣٠ ، ١١ : ١٩٧ ، ١٤ : ٣٠٧ .
- (٣) روى الفراء هذين البيتين في معاني القرآن ١ : ٦٨ عن بعض بني أسد . وذكرهما البغدادي في الخزنة ١ : ٣٦٤ ضمن قصيدة لمعبد بن مسلم الوالبي . وانظر : الخصائص ٢ : ٢٨٢ والمحتسب ٢ : ٢٥٦ والمقرب ٥١ والإنصاف ٥٧١ وشرح المفصل ٧ : ١٨ ، ٨ : ٤٣ ، ٩ : ١٥ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤ : ١٤٣ وجمع الهوامع ٢ : ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٥٨ والدرر اللوامع ٢ : ٩٥ ، ١٦١ ، ٢٢١ والبيت الأول ورد في تهذيب اللغة ١٤ : ٦٨ نقلاً عن الفراء .
- (٤) البيت في الجمهرة ١ : ٣٣ واللسان : بضض .
- (٥) لم أقع على هذا البيت .
- (٦) أنشده ابن الأنباري عن أبي العباس ثعلب في كتابه المذكر والمؤنث : ١٨٢ وأنشده الفراء في معاني القرآن ١ : ١٦٤ ولم يعزه وكذلك ابن الشجري في أماليه ١ : ٢٦٧ .
- (٧) ديوان الطفيل الغنوي : ٤٩ ق ٣ ب ٣٧ والخدواء : اسم فرسه . وشيطان عو شيطان بن الحكم . وعجز البيت في الحيوان ١ : ١٤٦ وذكر البيت في نسب الخيل ٣٨ وفي الحلبة ٢٢٦ وفي أسماء خيل العرب للغندجاني ٨٥ وفي الفائق ١ : ١٨٠ واللسان : شطن وخذنو .
- (٨) ورد هذا البيت في قصيدة لعلقمة بن عبدة ، وهي المفضلية ١١٩ في شرح اختيارات المفضل للتبريزي ٣ : ١١٩ ولم يروه الأنباري في شرحه ولا صاحب الاختيارين ، ووضعه محققا الديوان في صلة الديوان : ١١٨ . ورجع التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق ١ : ١٢٦ أنه لعلقمة ... وقيل فيه كلام كثير . انظر كتاب سيبويه ٢ : ٣٧٩ والجمل ٦٠ والمنصف ٢ : ١٠٢ والأمالى الشجرية ٢ : ٢٠ ، ٢٩٢ وشرح شواهد الشافية ٢٨٧ ، ٢٩٠ والصحاح واللسان والتاج : صوب ، ملك . وإصلاح المنطق ٧١ . ونسبه العكبري في المشوف المعلم ٢ : ٧٣٦ إلى لبيد ؟! وانظر أيضاً : تفسير أرجوزة أبي نواس ١٦٠ والاشتقاق ٢٦ وسفر السعادة ٢ : ٩٢١ وشرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام ٣٠ وحاشية على شرح بانت سعاد للبغدادي ١ : ٥٩٣ والزاهر ٢ : ٢٦٧ .
- (٩) البيت في اللسان : حبجب غير معزو وروايته :

يُدرين جندل حائر لجنوبها فكأنما تذكي سناكبها الحُبا

(١٠) روي البيت في معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٩٨ وفي المختضب ٢ : ٢٣٠ وفيه : نحن بذلنا ، وعجز البيت روي في تهذيب اللغة ١٤ : ٤١ ، ٤٢ ، والبيت في اللسان : طيب . ولم تنسبه هذه المصادر إلى أحد .

(١١) ديوان رؤية ١٧٠ وهو في الأصول لابن السراج ١ : ٢٧٤ وشرح المفصل لابن يعيش : ٣ : ١٣٠ ، ٧ : ٥٧ ، ٨ : ٢٣ ورصف المباني ٢٣٦ واللسان : شهرب . وشرح أبيات المعني ٤ : ٣٤٥ وخزانة الأدب ٤ : ٣٢٨ .

(١٢) البيت للكميت بن زيد . وهو في مجاز القرآن ١ : ٣٩١ والمقتضب ٢ : ٩٣ وجمهرة اللغة ٣ : ٤٨٦ والأضداد لابن الأنباري ١٧٥ والحجة للفارسي ١ : ١١٥ وشروح السقط ٣ : ١٣٠٨ واللسان والتاج : خيا .

(١٣) ديوان امرئ القيس : ٤١ ق ٣ ب ١ ، ٢ .

(١٤) ديوان امرئ القيس : ٥٣ ق ٣ ب ٤٩ وشرح شذور الذهب : ٣٢٥ .

(١٥) ورد هذا البيت غير مغزوّ في شروح سقط الزند ٢ : ٨٠٤ وورد في معجم البلدان : « الفتن » نقلًا عن نوادر أبي عمرو الشيباني . وفسّره بأن أم كاسب هي امرأة ، وهميانه : جباله . وماشئ : ما انفرد . وتصحفت كلمة « هيانه » في معجم البلدان إلى : « هيانه » بياء قبل الميم .

(١٦) ديوان سلامة بن جندل : ٩١ ق ١ ب ٢ وورد البيت في تهذيب اللغة ١ : ٢٧٨ ، ١٠ : ٣٩ وفي التكملة واللسان والتاج : عقب . وانظر تخريجًا موسعًا لهذا البيت في الديوان : ٢٦٦ .

(١٧) الرجز في تهذيب اللغة ٢ : ٢٦٩ (ربع) ولم يعزه . وقد تعاورته المعجمات وكتب النحو . انظر على سبيل المثال : المسائل الحلييات ٢٨٨ والمنصف ٣ : ١٣٤ وتفسير أرجوزة أبي نواس ٢٠٩ والمختص ١٣ : ٢١٦ ، ١١ : ٢٢٠ واللسان والتاج : ربع والإنصاف ٣١٦ .

(١٨) الرجز في المختضب ٢ : ٢٣١ وفيه : جاؤوا ... أزيق العين وطوّال . وورد الرجز في « عبث الوليد » بالرواية نفسها التي ورد عليها في رسالة الملائكة .

(١٩) البيت بهذه الرواية في « عبث الوليد » ٣٣٥ . وروايته في ضرائر ابن عصفور :

أعوذ بالله من العقارب الشائلات عُقَدَ الأذنانِ

وانظر شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ١٦٨ واللسان : سبب والتاج : عقرب .

(٢٠) هذا البيت من قصيدة نسبت في الأصمعيات إلى علباء بن أرقم ، وفي شرح الحماسة للمرزوقي إلى سلمى بن ربيعة . انظر الأصمعيات ١٨٢ ق ٥٦ وشرح الحماسة ٥٤٦ والمسائل المشكلة « البغداديات » ٣١١ ونوادر أبي زيد ١٢٠ ، ١٢١ والخزانة ٣ : ٤٠٧ والأمالى الشجرية ١ : ٤٣ ، ٢ : ٦٩ وشرح المفصل ٩ : ٥ ، ٤١ وقد ذكر محققا الأصمعيات تخريجًا مطولا لهذه القصيدة .

(٢١) الرجز في تهذيب اللغة ١١ : ٢٤٢ وفي اللسان : سفتح ، وشروح السقط ٢ : ٧٩٥ ولم يُعز .

(٢٢) هكذا أورده أبو العلاء على أنه من كلام العرب ، والنحاة يحتجون في هذا الموضع بقول

- العجاج : من طلل كالأتمحي أنهما .
انظر سيبويه ١ : ٢٩٩ وشرح الأبيات المشككة الإعراب للفارسي ١٨ والخصائص ١ : ١٧١ وسر صناعة الإعراب ٢ : ٥١٤ وشرح أبيات المغني ٦ : ١٦٧ وديوان العجاج ٢ : ١٣ .
(٢٣) ديوان عنترة : ٤٢ والبيت في الخصائص ٣ : ٩٠ والأمالى الشجرية ١ : ٧ .
(٢٤) ورد هذا البيت مفردًا في شعر يزيد بن الطخيرة : ٦٥ وذكر محققه أن البيت متنازع بين يزيد وبين مضر بن ربيعة . انظر الخلاف في ذلك في شرح شواهد الشافية ٤٨١ - ٤٨٤ وورد البيت في الصحاح : جز ، وكذلك في اللسان . وفي تأويل مشكل القرآن ٢٩١ والصحاحي ١٤٠ وسر صناعة الإعراب ١ : ١٨٧ وشرح القصائد السبع ١٦ والممتع ٣٥٧ وشرح الملوكي ٢٢٦ وشرح المفصل ١٠ : ٤٩ ومعاني القرآن للفراء ٧٨ : ٣ .
(٢٥) لم أقع على البيت بهذه الرواية ووجدت في كتاب العين ١ : ٦٠ بيتًا مشابهًا وروايته :
فبات خيال طيفك لي عنيقًا إلى أن حيمل الداعي الفلاحا
وبهذه الرواية ورد في اللسان : عنق وفي الفاخر : ٣١ .
(٢٦) البيت لإبراهيم بن هرمة . وهو في شعره المجموع ٩٢ ق ٢٤ ب ١٢ . وقد تعاورت الاستشهاد به كتب اللغة والنحو انظر على سبيل المثال : الصحاح واللسان : نزع . والمسائل الخليليات ١١٢ وشرح الأبيات المشككة الإعراب ٢٢ وسر صناعة الإعراب ٢٥ ، ٧١٩ والخصائص ٢ : ٣١٦ و ٣ : ١٢١ والمختص ١ : ١٦٦ ، ٣٤٠ والأمالى الشجرية ١ : ١٢٢ ، ٢٢١ ، ٢ : ١٥٨ والإنصاف ٢٥ وشرح شواهد الشافية ٢٥ .
(٢٧) عجز البيت وفيه موضع الشاهد ، ورد غير معزوف في تهذيب اللغة ١٠ : ٢٤٨ برواية : « لعميد » وفي معاني الفراء ١ : ٤٦٥ : لعميد . وتعاورته كتب النحو : انظر : الإنصاف ٢٠٩ وسر الصناعة ١ : ٣٨٠ وعبث الوليد : ١٠٠ وشرح المفصل ٨ : ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٩ وخزانة الأدب ٤ : ٣٤٣ وشرح أبيات المغني ٤ : ٣٥٦ .
(٢٨) ديوان ذي الرمة ٢ : ١٣٦٦ ق ٤٦ ب ٢٣ وفيه : حتى كأن رياض ... واحتج بهذا البيت الأزهرى . انظر تهذيب اللغة ١٠ : ٦٦٦ .
(٢٩) ديوان جرير ١ : ٢٨٨ ق ٤٤ ب ١٠ برواية فيها خلاف . واحتج به النحاة . انظر : الزاهر ١ : ١٣٤ والخصائص ٢ : ١٧٥ و ٣ : ١٤٦ ، ١٤٩ ، ٢١٩ وسر الصناعة ١ : ٧٩ والمنصف ١ : ٣١١ ، ٢ : ٢٠٣ والمختص ١ : ٤٧ وشرح أبيات المغني ٨ : ٧٦ وشرح شواهد الشافية ٤٢٩ .
(٣٠) ديوان الصمة ٦٠ ق ١٣ ب ٥ وفيه : دغوني من .. والبيت في معاني الفراء ٢ : ٩٢ ومجالس ثعلب ١٤٧ ، ٢٦٦ والصحاح : نجد ، واللسان : « نجد ، سنه » وفي المسائل العضديات ١٢٥ وشرح الأبيات المشككة ١٨٢ وضرائر الشعر ٢٢٠ والأمالى الشجرية ٢ : ٥٣ وشرح المفصل ٥ : ١١ والخزانة ٣ : ٤١١ .
(٣١) شرح أشعار الهذليين ٢ : ٦٧١ وفيه : حسن الجنوب . وأنشدته أبو العلاء في الصاهل والشاحج ٤٧٨ .
(٣٢) ديوان عمر ٤٨٩ ق ٣٦٠ ب ١ وفيه أيضًا ص ٣٩١ ق ٢١٨ ورد :

- ألم بزنب إن البين قد أفدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا
وانظر أيضًا شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٣٧٢ .
- (٣٣) البيت في الحيوان ٣ : ٤٢٥ ، ٤٥٤ وروايته :
تنفي الحصى صُعْدًا شرقى منسهما نفى الغراب بأعلى أنفه القردا
ونسبه الجاحظ لأبي دود .
- وأشده أيضًا أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات ٨٠ ولم يعزه ، وروايته :
تنفي الحصى صُعْدًا عن حُزف سنبكها نفى الغراب بأعلى أنفه القردا
وانظر المعاني الكبير ١ : ٢٥٧ وسفر السعادة ١ : ٤٧٠ .
- (٣٤) لم أفع على البيت .
- (٣٥) ورد البيت على هذه الرواية في المسائل العضديات ٢٧٣ والمنصف ١ : ٦٤ و ١٤٨ والمقرب ٨٠ وشرح المفصل ٤ : ١٥١ ، ٨٣ : ٦ ، ٥ : ١٠ ، ٥٦ . وورد في تهذيب اللغة ١٤ : ١٣٨ برواية :
« قد تمنعانك بينهم أن تهضم » وكذلك في شرح القصائد السبع الطوال ٥٧ . وفي أمالي ابن الشجري ٢ : ٣٥ :
أن تقهرا . وانظر الصحاح واللسان : يدي . والخزانة ٣ : ٣٤٧ .
- (٣٦) البيت في جمهرة اللغة ٣ : ٤٨٥ وروايته « قد أقسموا لا يمنحونك بيعه » وفي اللسان (يدي) غير
معزو أيضًا ، وروايته : « قد أقسموا لا يمنحونك نفعه » .
- (٣٧) الرجز في الجمهرة ٣ : ٤٨٥ وفي تهذيب اللغة ١٤ : ٢٣٨ وفي الصحاح واللسان : يدي وفي شرح
المفصل ٤ : ١٥٢ والخزانة ٣ : ٣٥٥ والمجم ١ : ٣٩ والدرر ١ : ١٣ .
- (٣٨) ورد هذا الرجز في الزاهر ٢ : ٣١٠ وفي تهذيب اللغة ١٥ : ٦٦٥ ، ٦٧٣ نقلًا عن الفراء .
- (٣٩) البيت من قصيدة رواها الأصمعي في أصمعياته ١٦٨ ق ٥٠ ب ١١ وفيه : « فرخى من علايه مدي »
وفي مجالس ثعلب ١ : ١٤٧ : فأرخى من علايه شدي .
- (٤٠) البيت من قصيدة في الحماسة ، انظر شرح المزدوقي ٢ : ٧٢٩ ، ٧٤٠ . والعديل بن الفرخ من شعراء
عصر بني أمية . وقد ورد البيت في شروح السقط ١ : ١٠٣ وفي اللسان : هرق وانظر « شعراء أمويون »
٢٩٥ : ١ .
- (٤١) البيت لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١ : ١٩٠ وفي اللسان : زند وكذلك في التاج ، وفي اللسان
أيضًا : علا . وورد عجز البيت في المخصص ١١ : ٢٧ .
- (٤٢) هذا البيت تعاورته كتب النحو ، وهو من قصيدة ذكرها البغدادي في الخزانة ٣ : ٥٣٦ ، ٥٣٧ وانظر
الفاخر ٢٢٣ . والبيت في : سيبويه ١ : ١٥ ، ٢ : ٥٩ ونوادري زيد ٢٠٣ والجمل ٣٧٣ والمسائل العسكرية
١٧٨ والعضديات ٣٣ والخلييات ٨٥ وشرح الأبيات المشككة ٢٣٣ ، ٢٧٩ والخصائص ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٧ ،
والمختسب ١/٦٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ والمنصف ٢ : ٨١ ، ١١٤ ، ١١٥ وسر الصناعة ٧٨ ، ٦٣١ والأمالي الشجرية
١ : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٥ وشروح السقط ٤ : ١٤٤٩ والفصول والغايات ١٢٤ والإنصاف ٣٠ وشرح المفصل

- ٨ : ٢٤ ، ١٠ : ١٠٤ ومعاني الفراء ١ : ١٦١ و ٢ : ١٨٨ ، ٢٣٣ وتهذيب اللغة ١٥ : ٦٦٩ .
- (٤٣) البيت في كتاب العين ١ : ٦٠ والفاخر ٣١ وأمالى القالي ٢ : ٢٧٠ وشرح المفصل ٨ : ١١٤ واللسان : (جعل) .
- (٤٤) البيت في شعر أبي دواد : ٣٠٥ برواية : وفتو .. وفي السيرة النبوية ١ : ٧٤ وفي شرح الأبيات المشككة الإعراب ٣٩٨ . وورد عجز البيت في شروح السقط ٣ : ٩٨٢ وورد أيضاً في الإبدال بتمامه ٢ : ٥١٩ وفي اللسان : خشع . وفي معاني الفراء ٣ : ١٠٥ .
- (٤٥) روى هذين البيتين ضمن أبيات مع خلاف في رواية بعض الألفاظ ، أبو علي القالي في الأمالى ١ : ٧٨ ونسبها لأمين بن خريم ، ووردت في عدد من المصادر معزوة لآخرين . انظر المذكر والمؤث لابن الأنباري : ٤٢٠ والحامسة البصرية ٢ : ٧٣ والمخصص ١٧ : ٨ وورد البيت الثاني في الزاهر ٢ : ١٨١ .
- (٤٦) البيت من أبيات رواها الجاحظ في الحيوان ٦ : ٣٩ ، ٤٠ لخالد بن الطيفان ، ورواية العجز فيه : أفنى برائه .. وورد هذا الشطر أيضاً في الحيوان ٥ : ٢٦ وروى الأبيات بتمامها الآمدي في المؤتلف والمختلف ٢٢١ .
- (٤٧) ديوان عمر : ٩٣ .
- (٤٨) البيت في تهذيب اللغة ١٥ : ٤٤٧ نقلا عن ابن الأعرابي ، ولم يعزه . ورواية العجز : « فلو بالعينين والوجه .. » ونقله اللسان عن التهذيب « لوأ » .
- (٤٩) ديوان عمر : ٩٤ وانظر البيت في الإبدال لأبي الطيب ٢ : ٤٥٥ والزاهر ١ : ٣٦٠ وشرح الأبيات المشككة ٨٣ والمحتسب ١ : ٢٨٤ وشرح أبيات المغني ٣٦٠ و ٣٦٨ وخزانة الأدب ٤ : ٥٥٢ ومعاني الفراء ٢ : ١٩٤ والكامل ٩٨ ، ٣٨٤ ، ١١٥٣ .
- (٥٠) ورد هذا البيت غير معزوة في عدد من المصادر ، انظر شرح القصائد السبع الطوال ١٤١ والزاهر ١ : ١٢٠ والأمثال لأبي عكرمة : ٢٩ .
- (٥١) الأبيات لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ والبيت الأخير احتج به الفارسي في المسائل الحلييات ٣٢٩ ، ٢٤٠ وفي شرح الأبيات المشككة ٥١٠ ، ٥٤٦ . وانظر سيبويه ١ : ٤٣٨ والأصول لابن السراج ٢ : ١٩٣ و ٣ : ٤٦٢ والمقتضب ٢ : ٧٢ وشرح المفصل ٨ : ١٥٨ وخزانة الأدب ٣ : ٦٤٧ .
- (٥٢) ورد البيت في تهذيب اللغة ٩ : ٤٠ نقلاً عن ابن الأنباري وروايته :
يمشي العجلى من مخافة شذقم يمشي الدفقى والخنيف ويضبر
وورد عجز البيت في التهذيب ١ : ٣٧١ . وانظر اللسان : دقق ، عجل .
- (٥٣) ورد البيت في اللسان : « سار » ولم يعزه .
- (٥٤) البيت في كتاب التشبيهات لابن أبي عون ص ١٠٠ وفيه : وأنشدنا ثعلب لأبي العميث . وفي أمالى القالي ١ : ٩٨ ذكر البيت الأول ومعه آخر على أنها لأبي العميث . وفي كلا المصدرين : « لقيت ابنة السهمي » وفي التشبيهات : « فكلمتها » بدلاً من قبلتها .

- (٥٥) البيت في شرح أشعار الهذليين ١ : ٣٥٨ لأبي جندب . وانظر المحتسب ١ : ٢١٤ والزاهر ١ : ٣٥٩ وشرح المفصل ١٠ : ٨١ وشرح شواهد الشافية ٣٨٣ . واللسان : ضيف .
- (٥٦) هذا البيت الذي ذكره المعري ملفق من بيتين لحاتم الطائي ، وردا في أخباره في كتاب الأغاني ١٧ : ٣٧٨ وهما قوله مخاطباً النعمان :
- فككت عدياً كلها من إسارها فافضل وشفعتني بقيس بن جحدر
أبوه أبي والأمهات أمهاتنا فأنعم فذلك اليوم نفسي ومعشري
والبيتان في ديوانه : ٥٧ نقلاً عن الأغاني . وهما في النقائض ٢ : ١٠٨٣ .
- (٥٧) أنبت في سيبويه ١ : ٣٢٠ والكامل ١١٩٩ وشرح أبيات سيبويه ٢ : ٣١ والسمط ١٤٦ والأمازي
الشجرية ١ : ٣٢٥ ، ٢ : ١٥٤ والإنصاف ١١٨ وشرح المفصل ٢ : ٢٤ ، ٤٠ ، ٨ ، ١٢٠ وشرح أبيات
المعني ٦ : ١٧١ والهمع ١ : ٧٤ ، ٢ : ٧٠ والدرر ١ : ١٥٠ ، ٢ : ٨٦ .
- (٥٨) البيت في ديوان عروة : ٥٨ وفي المنصف ٣ : ٢٤ وفي معجم البلدان : « يستعور » .
- (٥٩) البيت في ديوان زهير بشرح ثعلب ٩٥ وفي شرح الأعم ١١٦ ق ١٠ ب ١٩ .
- (٦٠) البيت لعمر بن الأهتم من قصيدة له في الوحشيات ٤١ ق ٥٤ ب ٥ . وهذا البيت أنشده المعري
في الفصول والغايات ١٢٤ وابن عصفور في ضرائر الشعر ٣٧ وأبو حيان في الارتشاف ٣ : ٢٨٢ برقم ١١٥٦ .
- (٦١) لم أقع على هذا الشعر .
- (٦٢) البيت للكميت بن زيد ، وهو مطلع القصيدة ٣٢٢ في شعره المجموع ١ : ٢٢٣ وفي إصلاح المنطق
٣٠٤ والعصديات ٢٦٤ والمنصف ٢ : ١٤٢ والمشوف المعلم ١ : ٨٧ واللسان : أيا .
- (٦٣) الرجز من أرجوزة رواها أبو زيد في نوادره : ٢٣٦ وتعاورت أبياتها كتب اللغة والنحو . انظر على
سبيل المثال : إصلاح المنطق ٣٤٠ والمخصص ٦ : ٧٨ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ٤٩٣ وشرح المفصل ٥ :
٢٢ والمنصف ١ : ٢٨٩ والزاهر ١ : ١٢٠ واللسان : روح ، كفر .
- (٦٤) ديوان أوس بن حجر ٣١ ق ١٤ ب ١٢ والبيت في الصحاح واللسان والتاج « طرق » وفي المذكر
والمؤنت لابن الأثير ٥٣١ وفي الصاهل والشاحج : ٥٠٠ ويروى : ثم إصماتة ... ثم إسكاتة .
- (٦٥) البيت في سيبويه ١ : ١٦٠ ونسب في شرح أبيات سيبويه ١ : ١٩٢ إلى أبي الغطفريف الهذلي .
- (٦٦) من أبيات لأبي زيد الطائي يصف الأسد . ورواية البيت في العباب : « ضيس » :
فثار الزاجرون وزاد منهم ...
- والبيت في طبقات فحول الشعراء ٢ : ٦٠٠ ورسالة الغفران : ٣٦٠ .
- (٦٧) البيت ليزيد بن خذاق من قصيدة له في المفضليات ٢٩٧ ق ٧٩ ب ٢ وفي حواشيه تخرج مفصلاً
لأبيات القصيدة ، ونضيف إليه : تهذيب اللغة ١٤ : ٢٢٧ والصحاح والعباب واللسان والتاج « سدس » .
- (٦٨) البيت لأبي زيد من قصيدة له وردت في الأغاني ١٢ : ١٣٦ وروايته :
- فبهره من لقوا حسبهم أحلى وأشهى من بارد الدبس
وانظر العباب « دبس » وطبقات فحول الشعراء ٢ : ٦٠٨ .

- (٦٩) شعر الأفوه المنشور في الطرائف الأدبية ١٦ : وي .
- (٧٠) ديوان امرئ القيس : ١٨١ ق ٣١ ب ١٥ والبيت في معاني الفراء ٢ : ٣٦٩ وتهذيب اللغة ١٠ : ٤٥٨ ولسان العرب « دلص » .
- (٧١) شعر أبي ذؤاد : ٣٢٢ ق ٣٧ ب ٣ وفيه تخرج مستفيض ، نذكر منه : معجم البلدان : زغر واللسان : دلص .
- (٧٢) البيت للمتنخل الهذلي ، مالك بن عويمر من قصيدة له في شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٢٦٨ ق ٣ ب ٨ والبيت في سيبويه ٢ : ٥٨ والخصائص ١ : ٣٣٤ ، ٣ : ٦١ والمنصف ٢ : ٦٧ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٣ : ٦٧ ورسالة الغفران ٣٦٩ واللسان : عرا ، لوب ، عبط .
- (٧٣) لم أقع على هذا البيت .
- (٧٤) البيت من قصيدته العينية المشهورة . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٧ ق ١ ب ٧ والرواية فيه : سبقوا هوي . والبيت في المسائل العسكرية ٨١ والمختضب ١ : ٧٦ والأمالى الشجرية ١ : ٢٨١ وشرح المفصل ٣ : ٣١ ، ٣٣ والمقرب ٤٦ والهمع ٢ : ٥٣ والدرر ٢ : ٦٨ .
- (٧٥) انظر شرح القصائد السبع الطوال ١٦ وسمط اللالء ٩٤٣ والمختضب ٢ : ٥ وفي الأغاني ١٢ : ٣٤٣ قصيدة لسويد بن كراع على الروي المذكور ، لكن هذا البيت لم يرد فيها .
- (٧٦) البيت للمرار الأسدي . انظر سيبويه ١ : ٩٣ وشرح أبياته ١ : ١٠٦ وفرحة الأديب ٣٧ وشرح المفصل ٣ : ٧٢ ، ٧٤ - والمقرب ٥٣ والخزانة ٢ : ١٩٣ ، ٣٦٤ ، ٣٨٣ والهمع ٢ : ٢٢٢ والدرر ٢ : ١٥٣ .
- (٧٧) ورد الرجز في الزاهر ١ : ٤٥٥ وفيه : الناقة المطبوعة . وورد في تهذيب اللغة ٢ : ٣٦٨ و ٣ : ٣٦٩ وفي اللسان : جلفع .
- (٧٨) ديوان جران العود : ١٦ والبيت في تهذيب اللغة ٣ : ٣٧٢ .
- (٧٩) البيت للفرزدق وهو في ديوانه ٥٧٠ وقد تعاورته كتب النحاة . انظر سيبويه ١ : ١٠ والمختضب ٢ : ٢٥٨ والكامل ١ : ٣٢٩ ، ٢ : ٦٧٦ وشرح الأبيات المشككة ٢٣٨ ، ٤٨٨ والمسائل الحلييات ١١٥ والخصائص ٢ : ٣١٥ والمختضب ١ : ٦٩ ، ٢٥٨ ، ٢ : ٧٢ ورسالة الغفران ٥٦٢ والأمالى الشجرية ١ : ١٤٢ ، ٢٢١ ، ٢ : ٩٣ ، ١٩٧ والإنصاف ٢٧ ، ١٢١ وشرح المفصل ١٠ : ١٠٦ والخزانة ٢ : ٢٥٥ .
- (٨٠) البيت في سيبويه ٢ : ٤٠٨ وشرح أبيات سيبويه ٢ : ٤٤١ .
- (٨١) شعر أبي ذؤاد : ٣٢٧ ق ٤٥ ب ٦ نقلاً عن رسالة الملائكة .
- (٨٢) البيتان مما أنشده الفراء في معاني القرآن ١ : ٦٧ ونقلا عنه . انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٤ باب العيب في الإعراب . والصاحبي ٣٩ وضرائر الشعر ٧٠ وارتشاف الضرب ٣ : ٢٨٨ برقم ١١٨٣ وفي رواية البيتين خلاف . وانظر أيضاً خزانة الأدب ٤ : ١٦٢ والهمع ١ : ١٤٠ والدرر ١ : ١١٧ .
- (٨٣) البيت لتأبط شراً من قصيدة له في الأغاني ٢١ : ١٣٢ وهو في رسالة الغفران ٣٥٩ .

- (٨٤) البيت لذي الخرق الطهوي من قصيدة له في النوادر لأبي زيد ١١٦ ومعاني القراء ١ : ٦٢ ، ٢ : ١٢٤ والزاهر ٢ : ١٠١ ومجالس ثعلب ١ : ١٥٤ (١٨٥) والإنصاف ٣٧٢ ودلائل الإعجاز ٢٠٩ .
- (٨٥) شرح الأبيات المشككة للفارسي ٢٣٣ ، ٢٣٤ والعسكريات ١٤٩ والمعضديات ٣٨ والحلييات ٨٦ والخصائص ١ : ٣٠٧ والمنصف ٢ : ١١٥ والإنصاف ٢٦ وشرح المفصل ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٦ وشرح شواهد الشافية ٤٠٩ والجمع ٢ : ٥٢ والدرر ١ : ٢٨ .
- (٨٦) الإنصاف ١٥ وشرح المفصل ١ : ٢٤ .
- (٨٧) سيبويه ١ : ٩ والعسكريات ١٠٦ والخصائص ١ : ٨٩ والأمالى الشجرية ٢ : ٢٠٨ والإنصاف ٦٨٠ وشرح المفصل ٣ : ٩٧ وضرائر الشعر ١٢٦ وارتشاف الضرب ٣ : ٢٩٨ وخزانة الأدب ١ : ٢٢٧ و ٢ : ٣٣٩ و ٣ : ٤٤٣ وشرح شواهد الشافية ٢٩٠ والجمع ١ : ٦١ والدرر ١ : ٣٦ .
- (٨٨) سيبويه ١ : ٣٨٨ ، ٢ : ٢٩٩ والمقتضب ٣ : ٧١ وشرح الأبيات المشككة ١٩ ، ٩٢ ، ٥٣٢ والمعضديات ٣٢٣ والحلييات ٢١٩ والخصائص ٢ : ٩٦ والمحتسب ٢ : ٢١٣ والأمالى الشجرية ٢ : ٧٦ ، ١٠٤ والإنصاف ٢٢٢ وشرح المفصل ٢ : ١٢ ، ٣ : ١١٨ ، ١٢٠ ، ٧ : ١٢٣ ، ٨ : ٨٧ ، ٩ : ٣٣ وارتشاف الضرب ١ : ٤١٠ والخزانة ٢ : ٤٤١ والجمع ١ : ١٣٢ والدرر ١ : ١١٠ وديوان رؤبة ١٨١ .
- (٨٩) البيت في اللسان « مختصر » عن ابن السكيت . ولم يعزه . وروايته : أقول وقد نأت ..
- (٩٠) ديوان زهير بشرح ثعلب ١٠٣ وبشرح الأعلام ٣١ ق ٢ ب ١٣ والمحتسب ٢ : ٣٠٦ وشرح ديوان ابن أبي حصينة ٢ : ٣٨ .
- (٩١) ديوان زهير بشرح ثعلب ١٠٣ وبشرح الأعلام ٣١ ق ٢ ب ١٥ والرواية فيهما : عليها أسود ضاربات لبوسهم سوايغ بيض لا تخرقها النبيل
- واستشهد المعري به في شرح ديوان ابن أبي حصينة ٢ : ٢٩٣ . وانظر الجمع ٢ : ١٨٢ والدرر ٢ : ٢٢٨ .
- (٩٢) البيت منسوب لعمر بن أبي ربيعة . ديوانه : ٤٩٨ وانظر أمالى القالي ٢ : ٢٧٠ والزاهر ١ : ١٠٣ وتهذيب اللغة ١٣ : ١٥٥ وإعراب ثلاثين سورة ١١ ودقائق التصريف ٤٤٦ واللسان : بسمل والجمع ٢ : ٨٩ والدرر ٢ : ١١٦ .
- (٩٣) ورد البيت في تهذيب اللغة ١٥ : ٢٨٧ واللسان : مرأ .
- (٩٤) ديوان طرفة ١٨٧ ق ٦٩ ب ٤ ، ٥ . والبيت الأول ؟ جؤل .. في تهذيب اللغة ٥ : ٣٢٠ ، ٣٣١ و ٧ : ٦٥٢ واللسان : خضرب وحظرب وجؤل (عجز البيت فقط) وورد عجز البيت الثاني في تهذيب اللغة ١٥ : ٣٦٠ وفي اللسان : نبيل .
- (٩٥) ديوان الأعشى ٦١ ق ٦ ب ٤٥ والخصائص ٢ : ٢٨٨ .
- (٩٦) ديوان الطفيل ٥٥ ق ٣ والبيت في سيبويه ١ : ٢٤٠ والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٧٩ ، ٢٨٢ وللسجستاني ١٥٢ والمسائل البصريات ٦٦١ والمنصف ٣ : ٨٥ والإنصاف ٧٧٥ وشرح المفصل ١٠ : ١٨ .
- (٩٧) ذكر العلامة عبد السلام هارون أن البيت لكعب بن مالك وأحال إلى ديوانه ٢٥٣ . وورد البيت

في سيرة ابن هشام على أنه مطلع قصيدة لحسان بن ثابت ، وهو في ديوانه ٣٣٢ . وانظر سيبويه ٢ : ١٣٠ . واللسان : سأي .

(٩٨) البيت لعمر بن شأس . انظر سيبويه ١ : ١٠١ وشرح أبياته ١ : ٧٩ والخصائص ٣ : ٢٤٧ والمنصف ٢ : ١٠٣ وورد صدر البيت في شروح السقط ٤ : ١٦٧٢ وانظر شرح أبيات المغني ٦ : ٢٨١ واللسان : ألك . والمجمع ٢ : ٥٠ والدرر ٢ : ٦٤ .

(٩٩) البيت أنشدته أبو العلاء في شرح ديوان ابن أبي حصينة ٢ : ٢٤١ وفيه : نزجي السّوام المطافلا . وذكر في الزاهر ١ : ١٧٣ واللسان : أيا .

(١٠٠) ديوان امرئ القيس ٣٨ ق ٢ ب ٤٩ برواية : شمال . وورد البيت في تهذيب اللغة ١٥ : ٦٦٦ والزاهر ٢ : ٣١١ والإيضاف ٢٨ واللسان : دقف وشمل . والمجمع ٢ : ١٥٦ والدرر ٢ : ١٠٧ .

(١٠١) ديوان امرئ القيس ٩ ق ١ ب ٦ وانظر سيبويه ١ : ٢٤٨ والمقتضب ٣ : ٢٩١ والمنصف ٣ : ٤٠ والزاهر ١ : ٣٠٦ والإبدال لأبي الطيب ١ : ٣٠٨ واللسان : هلل . والخزانة ٤ : ٦١ ، ٣٨٩ وشرح أبيات المغني ٦ : ٦٦ والمجمع ٢ : ٧٧ ، ١٤٠ والدرر ٢ : ٩٢ ، ١٩٢ .

(١٠٢) ديوان امرئ القيس ١٠ وفيه : « إذا التفتت نحوّي تَضَوِّعَ رِجْلَيْهَا » وفي شرح القصائد السبع ٢٩ : إذاقامتا . وانظر المنصف ٣ : ٢٠ ، ٧٥ والإبدال ٢ : ٤٦٨ والصاهل ٤٨٢ وشرح أبيات المغني ٧ : ٢٩٠ .

(١٠٣) ديوان ذي الرمة ٣ : ١٤٥٨ ق ٥٠ ب ١٣ وانظر أمالي القاضي ١ : ١٤٤ والسمط ٣٩٢ والمنصف ٣ : ٩٢ وتهذيب اللغة ٢ : ٣٧٥ ، ٤٠٩ ، ٣٦٥ ، ١٥ : ٢١ وشروح السقط ٣ : ١١٧٦ واللسان : ذوب ، صقر ، ربع .

(١٠٤) البيت لشاعر يخاطب جملة كما ذكر المعري في الفصول والغايات ١٥٦ .

(١٠٥) ديوان زهير بشرح ثعلب ٣٠٨ وروايته فيه :

« يَأْتِي لِحَارِثُ أَنْ تَخْشَى غَوَائِلَهُ أَبُ كَرِيمٍ وَخَالَ غَيْرَ مَجْهُولٍ »
ولم يرد البيت في رواية الأعلام للقصيدة .

(١٠٦) البيت للأعلم الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٣١٩ وفيه : « كَأَنَّ مَلَأَتْنِي عَلَى هَرْفٍ » والهَرْفُ والمَجْفُ واحد . والبيت في اللسان : عنن .

(١٠٧) البيتان للأعلم الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٣١٨ ، ٣١٩ وعجز البيت الثاني « على مافي وعائك » .

(١٠٨) البيتان لأبي صخر الهذلي . شرح أشعار الهذليين ٢ : ٩٦٢ ق ١٣ ب ٦ ، ٥ ورواية صدر البيت الثاني : « بياض الرأس ما لم تأتِ أمرا » .

(١٠٩) لم أقع على هذا البيت .

(١١٠) الرجز للعجاج ، وهو في ديوانه ١ : ٢٢١ الأرجوزة ١٢ ب ٢٧ والبيت في سيبويه ٢ : ٣٤٥ وشرح الشافية ٢ : ٣٣٧ وشرح شواهدا ٢٨٥ واللسان : رجل ، مرجل .

(١١١) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤٤٥ ق ٦٢ ب ٢٧ . والبيت في الاشتقاق ٣٨١ وجمهرة اللغة ٣ :

١٢٧ والمقاييس ٣ : ١٨٥ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ١٦٤ والصحاح واللسان والتاج : شطن ، عكا .
(١١٢) الرجز لجبار بن جزء أخى الشماخ . ديوان الشماخ ٣٨٩ ق ٢٤ ب ٣ والبيت الثاني في حاشية
الصفحة ٣٩٠ وانظر سيبويه ١ : ٩٠ ومجالس ثعلب ١٥٢ ومعاني الفراء ٢ : ٨٠ وتهذيب اللغة ٢ : ٩٥
وشروح السقط ١ : ١٣٠ والأمالى الشجرية ١ : ١٢٥ وشرح المفصل ٢ : ٤٦ ، ٣ : ٢٠ وخزانة الأدب
١٧٢ : ٢ .

(١١٣) الرجز في تهذيب اللغة ٩ : ٤١٦ والخصائص ٣ : ١٢٤ والمحتسب ١ : ٢٥٩ والصاهل والشاحج
٤٧٦ والأمالى الشجرية ٢ : ١٥٨ والإنصاف ٢٤ ، ٧٤٩ واللسان : قرنفل .

(١١٤) نسبه المعري للبيد ، وذكر الدكتور إحسان عباس في شرح ديوان لبيد ٢٠٠ : أن هذا البيت مختلف
في نسبه ، فقد نسبته للسان والتاج في « أيا » للبيد ، وفي « جفر » للناطقة الجعدي ، وجاء في « سعل » غير
منسوب . ونسبه الجوهري في « جفر » للجعدي أيضاً ، وفي المختص ٥ : ٧٥ ورد غير منسوب .

(١١٥) ديوان لبيد ١٩٦ ق ٢٦ ب ٧٧ وتهذيب اللغة ٢ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

(١١٦) ذكره في تهذيب اللغة ١٥ : ٦٦٦ غير معزّو ، وروايته :

« لا عهد لي بنيضال أصبح كالتشنّ البالي »

ومثله في الإنصاف ٢٩ ولكنه قيّد قافيته . وانظر الزاهر ٢ : ٣١٠ واللسان : نضل .

(١١٧) لم أقع على هذا الشعر في موضع آخر .

(١١٨) البيت من قصيدة للوليد بن عقبة بن أبي معيط يحضّ فيها معاوية بن أبي سفيان على قتال علي بن
أبي طالب ، والبيت بروايته التي أوردها أبو العلاء تقرّيباً في كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي ٦٠ وانظر تاريخ
الطبري ٤ : ٥٦٤ والحامسة البصرية ١ : ١١٥ .

(١١٩) الرجز في الزاهر ١ : ١٤٨ والمنصف ١ : ٦٠ والأمالى الشجرية ٢ : ٦٦ والإنصاف ١٦ وشرح
المفصل ١ : ٢٤ وورد البيت الأول منه في التهذيب ٩ : ٣٨٥ والثاني في ٩ : ٣٨٥ و ١٣ : ١١٧ ولم يعز .
وانظر اللسان : سما .

(١٢٠) ديوان حسان : ٤٣٤ .

(١٢١) البيت في وصف الفرس لأبي دود . ديوانه ٣٤٣ ق ٦١ ب ٣٤٣ وورد البيت في تهذيب اللغة
٣٥٩ : ١١ و ٢١٠ . وفي الصحاح واللسان : شوه . وفي شرح ديوان ابن أبي حصينة ٢ : ١٢٧ .

(١٢٢) لم أقع على هذا الشعر .

(١٢٣) ديوان حميد بن ثور ٢٤ ق ١ ب ٧٨ و ٧٩ وفي ديوانه تخريج وإفّ لهما . وورد البيت الأول في
تهذيب اللغة ٣ : ٤٣١ وورد الثاني في ٢ : ١٠٩ ، ١٦٧ .

(١٢٤) الشعر في نوادر أبي زيد ١٦٦ والمقتضب ١ : ٢٣٠ والمنصف ١ : ٦٠ والأمالى الشجرية ٢ : ٦٦
واللسان : سما .

(١٢٥) البيت للمتلّمس من قصيدة له في الأصمعيات ٢٨٦ ق ٩٢ ب ٣ وانظر المقتضب ٢ : ٩٣ والخصائص
٥٨ : ٢ و ١٨٢ وشرح المفصل ٩ : ١٣٣ .

(١٢٦) البيت من قصيدة له في الحماسة ١ : ١٩٨ وقد تداوله النحاة انظر المسائل العضديات ٢٧٠ والخلييات ٨ والبصريات ٦٢٦ وجمهرة اللغة ٣ : ٤٨٤ والمنصف ٢ : ١٤٨ والألمالي الشجرية ٢ : ٣٤، ١٨٧ وشرح المفصل ٤ : ١٥٣ و ٥ : ٨٤ والخزانة ٣ : ٣٥٢ وشرح شواهد الشافية ١١٤ .

(١٢٧) البيت لضمرة بن ضمرة النهشلي . انظر نوادر أبي زيد ٥٣ والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٧٦ والمسائل الخلييات ٣٠ والبصريات ٥٧٤ وسر صناعة الإعراب ٢٤٠ وشرح الملوكي ٤١٢ وشرح المفصل ٥ : ٨٤ و ١٠ : ٥٦ واللسان : « زعم » ونسبه في « يدي » إلى الأعشى وليس في ديوانه .

(١٢٨) انظر المقتضب ٢ : ٩٨ والمنصف ١ : ٣٧ و ٢ : ١٨٤ والخصائص ١ : ١٤٤ والمختص ١٦ : ١٠٨ والإنباف ١١ ، ٢٣٩ ، ٣٧٥ ، وشرح الملوكي ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ وارتشاف الضرب ١ : ١١٨ والخزانة ١ : ٣٦٨ وشرح شواهد الشافية ٥٨ والصحاح واللسان والتاج « كرم » والجمع ٢ : ٢١٨ والدرر ٢ : ٢٣٩ .

(١٢٩) البيتان من ثلاثة أبيات رواها الزجاجي في مجالس العلماء ٣٢٦ عن ثعلب . وانظر المنصف ٢ : ١٤٨ والعضديات ٢٧٠ والألمالي الشجرية ٢ : ٣٤ والخزانة ٣ : ٣٥٢ واللسان : أطم وبرغز . والجمع ١ : ٣٩ والدرر ١ : ١٣ .

(١٣٠) البيت مطلع قصيدة لمقل بن خويلد يخاطب بها عبد الله بن عتبة ذا المجتن . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٣٨٣ والمعاني الكبير ٨٥٠ ، ١١٢٧ .

(١٣١) البيت لأبي خراش الهذلي من قصيدة يرثي بها خالد بن زهير . انظر شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٢٢٦ وقد ورد البيت في شروح السقط ١ : ٣٢٤ و ٢ : ٨٧٥ و ٤ : ١٥٧٧ وفي الخزانة ٢ : ٣١٦ و ٣ : ١٨ وفي الخزانة التي نشرها العلامة هارون ٥ : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٥ و ٦ : ٢٠٨ و ١١ : ٤٧ .

(١٣٢) ديوان العجاج ٤٤٢ . الأرجوزة ٢٤ ب ١ وانظر كتاب القوافي للأخفش بتحقيق الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ ٧ : ٧ وجمهرة اللغة ٢ : ٢٦٦ وشرح الأبيات المشككة ٧٩ والمسائل العضديات ٢٧٨ وسر الصناعة ٩٠ والصاهل والشاحج ٥١٧ وشروح السقط ٢ : ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ والموشع ٦ ، ٢٢ ، ٣٤١ والقوافي للتنوخي ١٣٠ والكافي للتبريزي ١٦٤ وضرائر الشعر ٢٢٣ والخصائص ٢ : ١٩٦ ، ٢٩٧ وشرح الشافية ٣ : ٢٠٥ وشرح شواهدا ٤٢٨ والممتع في التصريف ٣٢٤ وشرح المفصل ١٠ : ١٣ .

(١٣٣) ديوان أوس ١٢١ ق ٤٨ ب ٢٤ واللسان : كون . والمعاني الكبير ٧٩٩ ، ١١٧٦ .

(١٣٤) البيت من معلقة زهير . ديوانه بشرح ثعلب ٧ وبشرح الأعلام ٦ ق ١ ب ٥ والمنصف ٣ : ٨٢ والمختص ١ : ٩٤ وشرح المفصل ١٠ : ١٠٣ .

(١٣٥) ديوان الفرزدق ٢ : ١٨٦ ط دار صادر . من قصيدة أولها :

ياظمي ويحك إني ذو محافظة أئمي إلى معشر شم الخراطيم
وهي في هجاء مرة بن محكان .

(١٣٦) البيت لأبي محجن . انظر حياته وشعره للأستاذ محمود فاخوري ق ٢٨ ب ٢ . ق ٣٠ ب ١ وانظر

البيت في الأغاني ١٩ : ٢ « عن زراعة فول » والمحتسب ١ : ٨٨ والهمع ١ : ٥٦ والدرر ١ : ١٣٨ وتخريج البيت مفصّل في كتاب الأستاذ الفاخوري المشار إليه .

(١٣٧) كتاب سيبويه ٢ : ٤٠٨ .

(١٣٨) ديوان العجاج ١ : ٤٤٨ ، الأرجوزة ٢٤ ب ٢٣ والرجز في تهذيب اللغة ٦ : ١٤٠ واللسان : بنو . (١٣٩) ديوان العجاج ١ : ٤٥٣ ، الأرجوزة ٢٤ ب ٤٧ وانظر كتاب سيبويه ١ : ٥٦ وأما القالي ٢ : ١٩٩ والمسائل العسكرية ٨٥ والخصائص ٢ : ١٣٥ ، ٤٧٣ والمحتسب ١ : ٧٨ والإنصاف ١٥٩ وشرح المفصل ٦ : ٧٤ ، ٧٥ وتهذيب اللغة ٤ : ١٦ ، ١٥ : ٣٨١ واللسان : حمم . والهمع ١ : ١٨١ ٢ : ١٥٧ والدرر ١ : ١٥٧ ، ٢ : ٢١٨ .

(١٤٠) الرجز يتأمله في التكملة والذيل والصلة للصاغاني : درهم . ولم يعزه . وانظر الصحاح واللسان والتاج : درهم .

(١٤١) البيت لمالك بن خالد الهذلي وينسب للمعطل الهذلي . انظر شرح أشعار الهذليين ١ : ٤٤٧ وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٢٤ والمقتضب ٣ : ٢٠٨ ، ٢٧٨ وتهذيب اللغة ١٠ : ٤٦١ و ١٤ : ٢٦٢ و ١٥ : ٥٢٩ وشرح الأبيات المشككة ٢٨ والمسائل الحلييات ٢١٢ وشرح المفصل ٤ : ٤٠ واللسان : جدد ، مين . (١٤٢) لم أقع على هذا البيت .

(١٤٣) معاني القرآن للفراء ٢ : ٩٢ وعنه أنشده اللسان « قلا » : « مثل المقالي ضربت قَلِيْنُهَا » . (١٤٤) البيت في نوادر أبي زيد ١٨٤ والمسائل الحلييات ٨٤ والمحتسب ١ : ١٢٩ وسر الصناعة ٧٧ ، ٦٢٨ وشرح المفصل ٩ : ١١٠ وشرح الملوكي ٣٧٢ واللسان : بجمع وشيح ورأي . (١٤٥) البيت في جهمرة اللغة غير معزو ٣ : ٤٨٦ قال ابن دريد : تقول في الواحد : ابنم ، وابنان وابنمُون . وتقول في الخفض : ابنمين .. وأنشد البيت .

(١٤٦) شعر عمرو بن أحمّر ١٦١ ق ٥٣ ب ١٩ والبيت في المسائل الحلييات ١١٦ والخصائص ٣ : ٣١٧ والكامل ٦٤٤ وسمط اللآلئ ٩٥٣ وأساس البلاغة : طرق . واللسان : رضى وطرق .

(١٤٧) ديوان جميل : ٢١٨ نقلا عن رسالة الملائكة . وأنشده ابن جني في سر الصناعة ٢ : ٥٥٤ نقلاً عن أبي الحسن ولم يعزه . وجاء في اللسان (ذا) أن اللحياني أنشده عن الكسائي لجميل . وذكر البغدادي في شرح شواهد الشافعية ٤٧٧ أن قائله مجهول . وورد البيت في الصحاح (ها) والممتع ٤٠٠ والمقرب ٢ : ١٧٨ وشرح المفصل ١٠ : ٤٢ ، ٤٣ واللسان : « ها » .

(١٤٨) ديوان جرير ١ : ٣٨٨ ق ٦٦ ب ١٨ والكامل ١٠٧٤ و ١٠٧٥ ومجالس ثعلب ٦٦٥ والأماشي الشجرية ٢ : ٢٧٦ .

(١٤٩) البيت في سيبويه ٢ : ١٢ وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ٣٠ والتكملة للفارسي ١٩٠ وسر الصناعة ٢ : ٦٩٢ والمنصف ١ : ٣٦ و ٣ : ٧ وشرح المفصل ٥ : ٦٣ و ٩ : ١٤٧ وشرح الملوكي ١٢٩ . (١٥٠) لم أقع على هذا الرجز .

- (١٥١) انظر الرجز في سيبويه ٢ : ١٤٢ . وقد ورد مفرداً ومجتمعاً في المصادر التالية : تهذيب اللغة ٣ : ١٨٨ و ٥ : ٣٥٧ و شرح الأبيات المشككة ١٥٧ والصاهل والشاحج ٦١٨ ومعاني الفراء ٣ : ٢٤٧ والمخصص ٧ : ٦١ ، ١٣٧ ، واللسان : بكر ، يمن ، دهده . وخزانة الأدب ٣ : ٤٠٨ .
- (١٥٢) لم أقع على هذا الرجز .
- (١٥٣) البيتان من أبيات في شعر الوليد بن يزيد ١٢٨ ق ١٠٢ ب ٢٠١ والأغاني ٧ : ١٧ والصاهل والشاحج ٤٧٧ وضرائر الشعر ٣٦ .
- (١٥٤) البيت لصخر بن عمرو من قصيدة له رواها الأصمعي في أصمعياته ق ٤٧ ب ٥ . ورويت القصيدة تامة ومجتزأً منها في عدد من المصادر . انظر مثلاً الشعر والشعراء : ٢٦٢ في ترجمة الخنساء والأغاني ١٥ : ٧٩ والخزانة ١ : ٢٠٩ .
- (١٥٥) ضرائر الشعر : ٩٨ .
- (١٥٦) البيت من قصيدة سحيم بن وثيل رواها الأصمعي في أصمعياته ق ١ ب ٦ والبيت في طبقات فحول الشعراء ٧٢ ، ٥٧٩ والمقتضب ٣ : ٣٣٢ و ٤ : ٣٧ و شرح الأبيات المشككة ١٨٣ والعصديات ١٢٤ وإصلاح المنطق ١٥٦ والكامل ٦٣٤ وسر الصناعة ٦٢٧ والمشوف المعلم ١ : ٢٧٠ و شرح المفصل ٥ : ١١ ، ١٣ ، والخزانة ٣ : ٤١٤ والمهمع ١ : ٤٩ والدرر ١ : ٢٢ واللسان (دري) .
- (١٥٧) ديوان الشماخ ٣١٩ ق ١٨ ب ٢٣ وفيه : عرابة الأوسي . وانظر الشعر والشعراء : ٢٣٥ والكامل ١٦٧ ، ٨٢٣ ، ٨٢٥ والعقد ٢ : ٢٨٨ والأغاني ٩ : ١٥٦ والمصون ١٨٠ .
- (١٥٨) البيت لعلي بن بدال من أبيات ، وقد تعاورت الاستشهاد به كتب اللغة والنحو والأدب . انظر : المقتضب ١ : ٢٣١ و ٢ : ٢٣٨ و ٣ : ١٥٣ ومجالس العلماء ٣٢٨ وتهذيب اللغة ٧ : ٦٢٥ والمنصف ٢ : ١٤٨ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ٥٠٣ وجمهرة اللغة ٢ : ٣٠٣ و ٣ : ٤٨٤ والمجتبى ٩٨ والعصديات ٢٧٢ والأمالى الشجرية ٢ : ٣٤ والإنصاف ٣٥٧ و شرح شواهد الشافية ١١٢ والخزانة ٣ : ٣٤٩ والممتع ٦٢٤ و شرح المفضليات ٧٦٢ و شرح المفصل ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ و ٥ : ٨٤ و ٦ : ٥ و ٩ : ٢٤ و شرح الملوكي ٢٨٢ و ٤١٠ و ٤١٤ واللسان : دمي .
- (١٥٩) البيت للحارث بن خالد . ورد مفرداً في شعره ١٠٧ ق ٤٣ نقلاً عن المصادر اللغوية . وانظر البيت في جمهرة اللغة ١ : ١٨١ و ٣ : ٢٨٤ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ٥٠٠ والعصديات ٩٧ والمنصف ٣ : ٧٧ والصاهل ٤٩٨ واللسان : « شأي » والمزهر ١ : ٤٧٩ .
- (١٦٠) البيت في الضرائر : ٩٨ .
- (١٦١) ديوان جرير ٢ : ١٠١٠ ق ٤٩ ب ٢٥ وروايته :
- تلقى ضيفن مجاشع ذا حلية وله إذا وُضع الإزار حران
- (١٦٢) ديوان لبيد ١٣٨ ق ١٦ ب ١ وانظر تهذيب اللغة ١٥ : ٥٣٤ والعصديات ٢١٧ والعسكريات ١١٦ والخصائص ١ : ٨١ و ٢ : ٤٣٧ والمحتسب ١ : ٨٠ و شرح شواهد الشافية ٣٩٧ والمهمع ٢ : ١٥٦ والدرر ٢ : ٢٠٨ .

- (١٦٣) أنشدته صاحب اللسان : « فرخ » عن ابن الأعرابي .
- (١٦٤) لم أقع على هذا الرجز .
- (١٦٥) تهذيب اللغة ١ : ٤٠٣ واللسان : شسع .
- (١٦٦) الرجز لدهلب بن قريع . انظر تهذيب اللغة ٥ : ١٤٦ ، ٩ : ١٨١ ، ١٩١ وضرورة الشعر للسيرا في ٥٢ والصحاح : وشع والضرائر ٣١ والارتشاف ٣ : ٢٨٠ وما يجوز للشاعر ٢٣٠ واللسان : وشع وقفن والهمع ٢ : ١٥٧ والدرر ٢ : ٢٢٠ .
- (١٦٧) لم أقع على هذا الرجز .
- (١٦٨) لم أقع على هذا الرجز .
- (١٦٩) البيت في معاني القرآن ١ : ٤١٢ و ٣ : ٢١٣ وتهذيب اللغة ٣ : ٢٥٨ والمنصف ٢ : ٢٠٦ والمحتسب ٢ : ٢٦٩ واللسان : عبي ونسبه صاحب التاج « عبي » إلى الخطيئة ولم أعثر عليه في ديوانه . وأنشد ابن عقيل البيت في المساعد ٤ : ٢٦٠ وورد في الهمع ١ : ٥٣ والدرر ١ : ٣١ .
- (١٧٠) ديوان العجاج ١ : ٤٨٦ ق ٢٥ ب ١٩ ، ٢٠ وتخرج الأبيات في الديوان ٢ : ٤٠٨ ، ٤٠٩ ونضيف إليه أن البيت ١٩ (جي) في شرح الأبيات المشككة ٣٥٤ وتهذيب ٥ : ٣٨٥ والبيت ٢٠ (دغفلي) في التهذيب ٨ : ٢٣٩ .
- (١٧١) ديوان العجاج ١ : ٥١٢ ق ٢٥ ب ١١٨ وتخرجه في الديوان ٢ : ٤١٢ ونضيف إليه : التكملة لأبي علي الفارسي ١٦٤ ، ١٦٧ والمخصص ٩ : ٤ ، ١١٦ وشرح المفصل ٥ : ٤٤ و ١٠ : ٣٠ واللسان : سما .
- (١٧٢) البيت للملك بن الريب المازني من قصيدته التي رواها القاضي في أماليه ٣ : ١٣٧ والبغدادي في الخزانة ١ : ٣١٧ ومابعدا وفي ج ٢ : ٢٠٣ ط هارون . والبيت الذي أنشدته أبو العلاء ورد في شروح السقط ٤ : ٦٨٧ وتهذيب اللغة ٥ : ٢٨١ وسفر السعادة ٢ : ٦٨٧ .
- (١٧٣) ديوان سحيم ٢٦ ورواية صدره : « تعاوَرَن مسواكي وأبقين مُذهبا » .
- (١٧٤) ديوان ذي الرمة ٢ : ١٣٠٦ ق ٤٣ ب ١٧ والبيت في الزاهر ١ : ٣٠٥ وتهذيب اللغة ١٤ : ٤٤٥ وشرح المفضليات ١٥٩ والاشتقاق ٢٥ والصحاح والتاج : لوى واللسان أيضا والمخصص ١٤ : ٨٦ وشرح المفصل ٤ : ٣٦ و ٦ : ٤٥ .
- (١٧٥) نسب المعري إنشاده إلى الفراء .
- (١٧٦) البيت من قصيدة لعبد يغوث بن وقاص الحارثي رواها المفضل في المفضليات ١٥٥ ق ٣٠ ب ١٢ وانظر البيت في الجمل ٢٥٧ وأمالي القاضي ٣ : ١٣٢ والمذكر والمؤنت لابن الأنباري ٨٣ والإبدال لأبي الطيب ٢ : ٥٤٦ والمسائل العسكرية ١٤٩ والحلييات ٨٤ والمحتسب ١ : ٦٩ وسر الصناعة ١ : ٧٦ والزاهر ٢ : ٣١٧ وشرح المفصل ٥ : ٩٧ و ٩ : ١١١ و ١٠ : ١٠٤ ، ١٠٧ .
- (١٧٧) لم أقع على البيت .
- (١٧٨) ديوان جرير « بشرح الصاوي » : ٦٠٦ وهو من قصيدته التي أولها :

ألا حيّ رهيى ثم حيّ المطاليا

فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا

وقد أحلّ بالبيت ديوانه المطبوع بشرح محمد بن حبيب .

(١٧٩) البيت للراعي الثميري . ديوانه ٢٩١ ق ٧٣ ب ١٧ والبيت في عبث الوليد للمعري ٢٥ وتهذيب اللغة ١٥ : ٦٥٢ واللسان والتاج (وأى) وكذلك الصحاح . وفي المعاني الكبير ١ : ٣٧٠ وفي المختص ٥ : ٥٣ و ٧ : ٥٧ .

(١٨٠) الأبيات للمنخلّ اليشكري ، بعث بها إلى ابنه قُبيل موته ، وهي في الأغاني ٢١ : ٥ مع خلاف في رواية بعض الألفاظ . وانظر المسائل البصريات ٨٤٩ والعسكريات ٢٦ وسر الصناعة ٢ : ٧٠١ والخصائص ١ : ١٧٧ والمحتسب ١ : ٧٦ وشرح المفصل ٣ : ٣٣ والزاهر ١ : ٣٩٠ ومعاني الفراء ٢ : ٣٩ ورسالة الهناء ٩٢ وشعر أبي دواد ٣٥١ ق ٦٩ ب ٣ واللسان : عكب وحرر وسفر السعادة ١ : ٣٢٦ .

(١٨١) موضع الشاهد في البيت الأول (لاهيتم) انظر سيبويه ١ : ٣٥٤ والمقتضب ٤ : ٣٦٢ والمسائل المنثورة ٩٧ والخلييات ٢٠٤ و ٣١١ والأمالى الشجرية ١ : ٢٣٩ وشرح المفصل ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣ و ٤ : ١٢٣ والارتشاف ٢ : ١٧٠ والخزانة ٢ : ٩٨ والهمع ١ : ١٤٥ والدرر ١ : ١٢٤ . (١٨٢) لم أقع على الرجز .

المراجع

- الإبدال ، لأبي الطيب اللغوي ، تح عز الدين التنوخي . المجمع العلمي بدمشق ١٩٦٠ .
- أبو محجن الثقفي « حياته وشعره » ، محمود فاختوري . جامعة حلب ١٩٨٢ .
- إتحاف فضلاء البشر ، لأحمد بن محمد الدمياطي . المطبعة العامرة بمصر ١٢٨٥هـ .
- ارتشاف الضرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تح د . مصطفى أحمد التماس . القاهرة ١٩٨٩ .
- أسماء خيل العرب ، للأسود الغندجاني ، تح د . محمد علي سلطاني . مؤسسة الرسالة بدمشق ١٩٨١ .
- الاشتقاق ، لابن دريد ، تح عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٨ .
- إصلاح المنطق ، لابن السكيت . تح عبد السلام هارون وأحمد شاکر . دار المعارف بمصر .
- الأصمعيات ، للأصمعي ، تح أحمد محمد شاکر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٩٥٥ .
- الأصول في النحو ، لأبي بكر بن السراج ، تح عيد الحسين الفتلي . بيروت ١٩٨٥ .
- الأضداد لابن الأنباري ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم . الكويت ١٩٦٠ .
- الأضداد لأبي الطيب اللغوي ، تح د . عزة حسن . مجمع اللغة بدمشق ١٩٦٣ .
- إعراب ثلاثين سورة ، لابن خالويه . دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ .
- الأمالي ، لأبي علي القالي . دار الكتب المصرية .
- الأمالي الشجرية . طبعة الهند ١٣٤٩هـ .
- الأمثال ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تح د . عبد المجيد قطامش . جامعة الملك عبد العزيز ١٩٨٠ م .
- الأمثال . لأبي عكرمة الضبي ، تح د . رمضان عبد التواب . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٤ .
- الأمثال ، لأبي فيد السدوسي ، تح د . رمضان عبد التواب . الهيئة المصرية العامة ١٩٧١ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف ، لكمال الدين ابن الأنباري ، تح محمد محي الدين عبد الحميد . مصر ١٩٦١ .
- أنوار التنزيل = تفسير البيضاوي .
- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي . ط . الرياض .
- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تح السيد أحمد صقر . القاهرة ١٩٧٣ .
- تاج العروس ، للمرئضي الزبيدي . ط . الكويت .
- التبصرة في القراءات ، لمكي بن أبي طالب . معهد المخطوطات - الكويت ١٩٨٥ .
- التشبيهات ، لابن أبي عون ، عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان . ط . كمبردج ١٩٥٠ .
- تفسير أرجوزة أبي نواس ، لابن جني ، تح الشيخ محمد بهجة الأثري . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٩ .
- تفسير البيضاوي . مكتبة الجمهورية المصرية بلا تاريخ .

- تفسير الرازي . (المطبعة البهية بمصر) .
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : دار الكتب المصرية .
- التكملة . لأبي علي الفارسي ، تح د. حسن شاذلي فرهود . الرياض ١٩٨١ .
- التكملة والذيل والصلة ، للصاغاني .
- تلخيص العبارات بلطف الإشارات ، لابن بليمة ، تح سبيع حمزة حاكمي . مكة ١٩٨٨ .
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري .
- التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني ، تح أوتو برتزل . إستانبول ١٩٣٠ .
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي .
- جوهرة اللغة ، لابن دريد . دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد .
- حاشية على شرح بانث سعاد ، لعبد القادر البغدادي ، تح نظيف محرم خواجه . فيسبادن ١٩٨٠ .
- الحجة في القراءات ، لابن خالويه ، تح عبد العال سالم مكرم . بيروت ١٩٧١ .
- الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي ، تح بدر الدين قهوجي ورفاقه . دمشق ١٩٨٤ .
- الحلبة في أسماء الخيل للصاحبي التاجي ، تح د. حاتم صالح الضامن . مجلة المجمع العراقي مجلد ٣٤ .
- الحماسة البصرية ، تح د. مختار الدين أحمد . الهند ١٩٦٤ .
- الحيوان ، للدجاحظ ، تح عبد السلام هارون . ط الباني الحلبي ١٩٤٥ .
- خزنة الأدب ، لعبد القادر البغدادي . ط بولاق .
- الخصائص ، لابن جني ، تح محمد علي النجار . دار الكتب المصرية . القاهرة .
- الدررة الفاخرة في الأمثال السائرة ، لحمزة الأصفهاني ، تح د. عبد المجيد قطامش . دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .
- الدرر اللوامع للشنقيطي . دار المعرفة - بيروت .
- ديوان الأعشى الكبير ، تح د. محمد محمد حسين . دار الآداب بالجماميز .
- ديوان امرئ القيس ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ .
- ديوان أوس بن حجر . تح د. محمد يوسف نجم . دار صادر - بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تح د. نعمان محمد أمين طه . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
- ديوان حاتم الطائي ، دار صادر - بيروت .
- ديوان الحطيئة ، تح د. نعمان أمين طه . الباني الحلبي - القاهرة ١٩٥٨ .
- ديوان حميد بن ثور . تح عبد العزيز الميمني . الدار القومية - القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان ذي الرمة ، تح د. عبد القدوس أبو صالح . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٢ .
- ديوان رؤية (مجموع أشعار العرب) ، تح وليم بن الورد . دار الآفاق - بيروت ١٩٧٩ .

- ديوان سلامة بن جندل ، تح د. فخر الدين قبّابة . حلب ١٩٦٨ .
- ديوان الصمة ، تح د. عبد العزيز محمد الفيصل . النادي الأدبي بالرياض ١٩٨١ .
- ديوان الطفيل الغنوي ، تح محمد عبد القادر أحمد . دار الكتاب الجديد ١٩٦٨ .
- ديوان العجاج ، تح د. عبد الحفيظ السطلي . دمشق ١٩٧٩ .
- ديوان عروة بن الورد ، تح عبد المعين الملوحي . وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٦ .
- ديوان علقمة الفحل ، تح لطفي الصقال ودرة الخطيب . حلب ١٩٦٩ .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان عنترة ، تح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي . المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري ، تح عائشة عبد الرحمن = بنت الشاطئ . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
- رسالة الهناء ، لأبي العلاء المعري ، تح كامل كيلاني . بيروت ١٩٧٩ .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد عبد النور المالقي ، تح أحمد محمد الخراط . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٥ .
- الزاهر ، لأبي بكر الأنباري ، تح د. حاتم صالح الضامن . بغداد ١٩٧٩ .
- السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، تح د. شوقي ضيف . دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
- سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، تح د. حسن هنداي . دار القلم - دمشق .
- سفر السعادة وسفر الإفادة ، لعلم الدين السخاوي ، تح محمد أحمد الدالي . مجمع اللغة بدمشق ١٩٨٣ .
- سيبويه . (كتاب سيبويه) ، ط بولاق ١٣١٧هـ .
- شرح الأبيات المشككة الإعراب ، لأبي علي الفارسي ، تح د. حسن هنداي . دار القلم - دمشق ١٩٨٧ .
- شرح أبيات مغني اللبيب ، لعبد القادر البغدادي ، تح عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق . دار المأمون بدمشق ١٩٨١ .
- شرح اختيارات المفضل ، للخطيب التبريزي ، تح د. فخر الدين قبّابة . مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٢ .
- شرح أشعار الهذليين ، للسكري ، تح عبد الستار أحمد فراج . دار العروبة - القاهرة .
- شرح حماسة أبي تمام ، للمرزوقي ، تح أحمد أمين وعبد السلام هارون . مصر ١٩٦٧ .
- شرح ديوان ابن أبي حصينة ، لأبي العلاء المعري ، تح د. محمد أسعد طلس . المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٧ .
- شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد .
- شرح شواهد الشافية ، لعبد القادر البغدادي ، تح محمد نور الحسن ورفاهة . القاهرة .
- شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنباري . تح عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .
- شرح قصيدة بانث سعاد ، لابن هشام . المطبعة العامرة ١٢٩٠هـ .
- شرح المفصل ، لابن يعيش . دار الطباعة المنيرية بمصر .

- شرح المفضليات ، لأبي محمد الأنباري ، تح ك ي لائل . بيروت ١٩٢٠ .
- شروح سقط الزند ، للتبزي وبطلومي والخوارزمي . الدار القومية - القاهرة ١٩٦٤ .
- شعر إبراهيم بن هرمة ، تح محمد نفاع ، وحسين عطوان . مجمع اللغة بدمشق ١٩٦٩ .
- شعر زهير بن أبي سلمى ، صنعة الأعلام ، تح د. فخر الدين قباوة . حلب ١٩٧٠ .
- شعر الكمي بن زيد ، جمع وتقديم د. داود سلوم . بغداد ١٩٦٩ .
- شعر يزيد بن الطثري ، صنعة د. حاتم صالح الضامن . دار التريية - بغداد ١٩٧٣ .
- الصاحب في فقه اللغة ، لابن فارس ، تح السيد أحمد صقر . البابي الحلبي ١٩٧٧ - القاهرة .
- الصاهل والشاحج ، لأبي العلاء المعري ، تح بنت الشاطيء . دار المعارف بمصر .
- ضرائر الشعر ، لابن عصفور ، تح السيد إبراهيم محمد . دار الأندلس ١٩٨٠ .
- طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ، تح محمود محمد شاكر . القاهرة ١٩٧٤ .
- الطرائف الأدبية ، لعبد العزيز الميمني . دار الكتب العلمية - بيروت .
- العباب الزاخر واللباب الفاخر ، للصاغاني ، تح الشيخ محمد الحسن آل ياسين . بغداد ١٩٨٧ .
- عبث الوليد ، للمعري ، تح ناديا علي الدولة . الشركة المتحدة للتوزيع .
- العين ، للخليل بن أحمد ، تح د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي الخزومي . بغداد .
- الفائق في غريب الحديث ، للزخشي ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة .
- الفاخر ، للمفضل بن سلمة ، تح عبد العليم الطحاوي . القاهرة ١٩٦٠ .
- فصل المقال في شرح الأمثال ، لأبي عبيد البكري ، تح د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين . بيروت ١٩٧١ .
- الفصول والغايات ، للمعري ، عني به محمود حسن زنائي . القاهرة ١٩٣٨ .
- فهارس كتاب الأصول في النحو ، د. محمود محمد الطناحي . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٩٨٦ .
- فهارس كتاب سيبويه ، محمد عبد الخالق عضيمة . مصر ١٩٧٥ .
- فهارس معجم تهذيب اللغة ، عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٦ .
- القوافي ، للأخفش « سعيد بن مسعدة » ، تح أحمد راتب النفاخ . بيروت ١٩٧٤ .
- الكشف عن غوامض التنزيل ، للزخشي . القاهرة ١٩٥٣ .
- لسان العرب ، لابن منظور . دار صادر - بيروت .
- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، تح فؤاد سزكين . دار الفكر ١٩٨١ .
- مجمع الأمثال ، للميداني ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد . مصر ١٩٥٩ .
- المحتسب ، لابن جني ، تح علي النجدي ناصف ورفاقه . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٦ هـ .

- مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه ، تح ج. برجستراسر . مصر ١٩٣٤ .
- المخصص ، لابن سيدة الأندلسي . دار الفكر - بيروت ١٩٧٨ .
- المذكر والمؤنث ، لابن الأنباري ، تح د. طارق الجنابي . بغداد ١٩٧٨ .
- المسائل البصريات للفارسي ، تح د. محمد الشاطر . القاهرة ١٩٨٥ .
- المسائل الحلييات ، تح د. حسن هنداي . دمشق ١٩٨٧ .
- المسائل العسكرية ، للفارسي ، تح إسماعيل أحمد عمارة - الجامعة الأردنية ١٩٨١ .
- المسائل العضديات ، للفارسي ، تح شيخ الراشد . دمشق ١٩٨٦ .
- المسائل المشكلة المعروفة بالبعديات . للفارسي ، تح صلاح الدين السنكاري . بغداد ١٩٨٣ .
- المستقصى في الأمثال ، للزمخشري . بيروت ١٩٧٧ .
- المشوف المعلم ، لأبي البقاء العكبري ، تح ياسين محمد السواس . جامعة أم القرى ١٩٨٣ .
- معاني القرآن ، للفراء ، تح أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار . دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥٥ .
- معجم البلدان ، لياقوت . دار صادر - بيروت ١٩٧٧ .
- معجم شواهد العربية ، عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٧٢ .
- معجم القراءات القرآنية ، د. عبدالعال سالم مكرم ود. أحمد مختار عمر ، جامعة الكويت ١٩٨٢ - ١٩٨٥ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي . مصر . كتاب الشعب .
- المقتضب ، للمبرد ، تح محمد عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .
- المقرب ، لابن عصفور ، تح أحمد عبد الستار الجوّاري . بغداد .
- المقصور والمددود ، للفراء . تح عبد الإله نهان ومحمد خير البقاعي . دمشق ١٩٨٣ .
- المقصور والمددود ، لابن ولاد النحوي ، ط أمين الخانجي . القاهرة .
- الممتع في التصريف ، لابن عصفور ، تح د. فخر الدين قباوة . حلب ١٩٧٠ .
- المنصف شرح تصريف المازني ، لابن جني ، تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين . القاهرة ١٩٥٤ .
- الموشح ، للمرزباني ، تح علي محمد البجاوي . مصر ١٩٦٥ .
- النبات ، لأبي حنيفة الدينوري ، تح برنهارد لقين . فيسبادن ١٩٧٤ .
- نسب الخيل في الجاهلية والإسلام ، لابن الكلبي ، تح نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن . بغداد ١٩٨٥ .
- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، تح محمد أحمد دهمان . دمشق ١٣٤٥ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير . مصر ١٣٢٢ هـ .
- النواذر ، لأبي زيد الأنصاري . بيروت ١٨٩٤ م .
- همع الهوامع ، لجلال الدين السيوطي . دار المعرفة ببيروت .
- الوحشيات « الحماسة الصغرى » ، لأبي تمام ، تح عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .
- الوسيط في الأمثال . « منسوب للواحدي » ، تح د. عفيف عبد الرحمن . الكويت ١٩٧٧ .

« الفوائد المشوق إلى علوم القرآن
وعلم البيان » لابن قيم الجوزية ..
هكذا وردت النسبة في المطبوعة التي
صدرت منذ ثمانين سنة عن مطبعة
السعادة في مصر والآستانة ..

من أين جاءت هذه النسبة؟!
كل الشواهد تؤكد أنه ليس لابن
قيم الجوزية ، فالأسلوب ليس أسلوبه
وكتب القدماء لم تنص على أن لابن
قيم الجوزية كتاباً بهذا الاسم . بدأ
الشك بكر عبد الله أبو زيد ..

وجاء د. زكريا سعيد علي -
صاحب هذا البحث - لينظر في
الكتاب : سنداً وتوثيقاً ، ومتناً
نظراتٍ مدققة محققة . ويصل إلى
نتائج طيبة ، وأقوال قاطعة .

الفوائد المشوق

هو

مقدمة تفسير ابن النقيب !

د. زكريا سعيد علي*

* مدرس بقسم البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة . حصل على الدكتوراه عام ١٩٩٢م عن رسالة بعنوان « بلاغة القرآن عند المفسرين حتى نهاية القرن السادس الهجري » . له قيد الطبع : تحقيق الجزء الأول من البحر المحيط ، وشرح مقدمة ابن النقيب في علم البيان .

قال بعض النقاد : « إن الأسلوب هو الرجل نفسه » . وإذا كان الأمر كذلك فليس من الممكن أن تتحد الشخصية ويختلف الأسلوب ، ولأن يعرف الرجل الواحد بأسلوبين مختلفين في وقت معاً ... ومن المشهور أيضاً أننا إذا عرفنا لرجل أسلوباً معيناً استطعنا الاستدلال بالأسلوب على الرجل »^(١) .

من هنا بدأ شكّي في نسبة الكتاب الموسوم بـ « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » إلى الإمام ابن قيم الجوزية وقد وجدت قبلي من شك في نسبة هذا الكتاب إليه معتمداً على هذا التباين الأسلوبي بين أسلوب الكتاب وبين أسلوب الشيخ ابن القيم ، وهو الأستاذ بكر عبد الله أبو زيد في كتابه « ابن قيم الجوزية حياته وآثاره » ، يقول : وهذا الكتاب لم أر من نسبه إلى ابن القيم قبل طبعه^(٢) . وفي النفس من نسبة هذا الكتاب لابن القيم شيء لذلك ولمغايرة أسلوب الكتاب ومنهجه للطريقة المعهودة من ابن القيم - رحمه الله تعالى - في عامة مؤلفاته من التحقيق والحيوية وأساليب الترجيح والحفاوة بالسنة ونصوص السلف ، فالكتاب خلو من ذلك ، فكله مبني على دقائق التفرع والأنواع والتقسيم للحقيقة والمجاز بأسلوب لا يتواطأ مع أساليب ابن القيم المعهودة من منهجه التأليفي ... »^(٣) .

وعندما هدأت نفسي من اضطراب الشك شغلني سؤال : كيف أتحوّل من هذا الشك إلى طريق علمي مؤسس على البرهان وقواعد العلم أصل به إلى نفي نسبة الكتاب عن ابن القيم ، حتى إذا تحقق ذلك انتقلت إلى السؤال : فلمن إذن يكون هذا الكتاب ، وما الدافع وراء هذه النسبة إلى ابن القيم ؛ أعن تبسيط قصد أم جاء سهواً وغفلة ، أم هو تحريف في عنوان الأصل المخطوط الذي خرجت عنه مطبوعتنا ؟

(١) د. تمام حسان : الأصول ص ٧٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ .

(٢) الكتاب صدرت طبعته الأولى منذ ثمانين سنة تقريباً وبالتحديد عام (١٣٢٧ هـ) بمطبعة السعادة على نفقة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر والآستانة . وعُني بتصحيحها محمد بدر الدين النعساني . وكل ما طبع بعد ذلك فهو مصور من هذه الطبعة أو مأخوذ عنها .

(٣) بكر بن عبد الله أبو زيد : ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ص ١٨٤ - مكتبة المعارف - الرياض - السعودية ١٤٤٠ هـ .

وللإجابة على السؤال لم يكن بد من انتهاج طريقين : طريق الرواية ، أي التوثيق والإسناد ، وطريق الدراية أي نقد المتن .

اتجهت إلى تحقيق الجانب الأول ، وهو جانب الرواية الذي يهتم بالتوثيق والإسناد . وعلمائنا الأوائل - رحمهم الله - لم يقصّروا في هذا الجانب ، فنجد أنهم اهتموا بأمر توثيق نسبة الكتب إلى أصحابها ، والنص على اسم الكتاب وصاحبه وموضوعه . وربما نقلوا أوله ومنتهاه أو بعضه . نجد شيئاً من ذلك عند الحاج خليفة في كشف الظنون ، وطاشكيري زاده في مفتاح دار السعادة ، وإسماعيل باشا في هداية العارفين ، وغيرهم .

وقصدت إلى كتب التراجم والطبقات لمطالعة ترجمة ابن القيم ومصنفاته العلمية . وبعد أن سرت في هذا الطريق وقعت على ماصنعه الأستاذ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه « ابن قيم الجوزية حياته وآثاره » من حصر لمؤلفات ابن القيم وتوثيق نسبتها من كتب القدماء والمحدثين ممن تعرض للترجمة لابن القيم ، وقد أتى الباحث في ذلك بمجهود جليل القدر وقربه على أمثالي من الباحثين كثيراً من الجهد والوقت .

ومن تعرض لذكر مؤلفات ابن القيم تلميذه صلاح الدين الصفدي المتوفى ٧٦٣هـ في كتابه الوافي بالوفيات ، وتلميذه ابن رجب الحنبلي ، المتوفى ٧٩٥هـ في الذيل على طبقات الحنابلة وابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ في الدرر الكامنة ، وابن تغري بردي (ت ٨٧٤) في « المنهل الصافي » والسيوطي (ت ٩١١) في بغية الوعاة ، والدوادني (ت ٩٤٥) في « طبقات المفسرين » ، وابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) في شذرات الذهب ، والحاج خليفة (ت ١٠٦٧) في كشف الظنون وإسماعيل باشا البغدادي في هداية العارفين .

وكلهم لم يذكر كتاباً لابن القيم بعنوان « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » وأمر كهذا يوجه الطعنة القاضية إلى توثيق نسبة الكتاب إلى ابن القيم ، فهل يعقل أو يتصور أن يغيب عن علماء الأمة لمدة سبعة قرون

تقريباً كتاب لابن القيم ولا يكتشف إلا في أيامنا هذه ؟ وألا توجد أدنى إشارة له بين إشاراتهم إلى كنهه !؟

قضية المجاز :

هذا عن النقل والتوثيق أما الجانب الثاني وهو نقد المتن أو جانب « الدراية » فدراسة الكتاب تقطع باستحالة نسبته لابن القيم للآتي :

١ - موقف ابن القيم من قضية المجاز مشهور ، فهو يصفه بأنه « طاغوت » ، ويخصص فصلاً من كتابه « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة » بعنوان : « في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز »^(١) .

ويقول عنه : (هذا الطاغوت لهج به المتأخرون ، والتجأ إليه المعطلون ، وجعلوه جنة يتترسون بها من سهام الراشقين ويصدون عن حقائق الوحي المبين)^(٢) .

فابن القيم يرى أن المجاز كان سبباً في دخول التحريف على العقيدة الإسلامية الصافية النقية ، وأن مادخل من إخراج معاني الآيات وأسماء الله وصفاته عن حقائقها وما وقعت فيه الأمة من اختلاف كان بسبب هذا المجاز .

وبعد أن يقرر ابن القيم في كتابه أن قسمة الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيماً عقلياً يذكر أنه ليس تقسيماً شرعياً ولا لغوياً أيضاً ، يقول : « والشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دل عليه ، ولا أشار إليه ، وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز ولا قال أحد من العرب قط : هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ولا وجد في كلام من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك . ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأمثالهم ، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الأئمة الأربعة . وهذا الشافعي وكثرة مباحثه

(١) الموصلي : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ص ٢٨٤ ، ط الثانية - تصحيح زكريا علي يوسف - القاهرة ١٤٠٠ هـ .

(٢) المصدر السابق : ٢٨٤ .

مع محمد بن الحسن وغيره لا يوجد فيها ذكر المجاز ألبتة . وهذه رسالته التي هي كأصول الفقه لم ينطق فيها بالمجاز في موضع واحد . وكلام الأئمة مدون بحروفه لم يحفظ عن أحد منهم تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز .

بل أول من عرف عنه في الإسلام أنه نطق بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه صنف في تفسير القرآن كتاباً مختصراً سماه « مجاز القرآن » وليس مراده به تقسيم^(١) الحقيقة ، فإنه تفسير لألفاظه بما هي موضوعة له ، وإنما عني بالمجاز ما يعبر به عن اللفظ ويفسر به كما يسمى غيره كتابه معاني القرآن أي ما يعنى بألفاظه ويراد بها ، كما يسمى ابن جرير الطبري وغيره ذلك تأويلاً^(٢) .

ثم يقول بعد ذلك ناصباً على أن هذا المصطلح « المجاز » حادث بعد المائة الثالثة وكان من جهة الجهمية والمعتزلة : (وإذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيماً شرعياً ولا عقلياً ولا لغوياً فهو اصطلاح محض ، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين)^(٣) .

ثم اتجه ابن القيم بعد ذلك إلى إبطال هذه القسمة إلى حقيقة ومجاز في حوالي ثماني صفحات بكلام إجمالي^(٤) ، ثم خصص بعد ذلك فصلاً فيما ادعوا فيه المجاز من كلام الله وكلام رسول الله ﷺ ، ورد ذلك على وجه التفصيل في حوالي أربع وأربعين صفحة ومائة^(٥) .

ثم ينتهي بعد ذلك إلى أنه ليس هناك جدوى ولا طائل - مع كل ماساقه من أضرار - لهذه القسمة إلى حقيقة ومجاز ، يقول :

(١) كذا بالمطبوعة . ولعلها : قسم .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٨٥ .

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٨٧ .

(٤) انظر مختصر الصواعق المرسلة من ٢٨٤ - ٣٦٤ .

(٥) من صفحة ٣٦٥ - ٥٠٩ .

(فالذين قسّموا الكلام إلى حقيقة ومجاز إن أرادوا بذلك التقسيم الذهني لم يفدهم ذلك شيئاً وإن أرادوا التقسيم الخارجي لم يكن معهم دليل يدل على وجود الجميع في الخارج سوى مجرد التقسيم وهو لا يفيد الثبوت الخارجي . فحيث لا يتم لهم مطلوبهم حتى يثبتوا أن هاهنا ألفاظاً وضعت لمعان حتى تقلب عنها بوضع ثان على معانٍ آخر غيرها وهذا مما لا سبيل إلى العلم به)^(١) .

هذه نصوص ابن القيم التي تكشف عن موقفه الصريح من المجاز ، والتي تدفع أن يكون كتاب « الفوائد المشوق » منسوباً إليه ؛ فمصنّف « الفوائد » هذا جعل فاتحته حديثاً عن الحقيقة والمجاز وأقسامها وأنواع المجاز وأسهب في ذلك حتى وصل بالمجاز إلى أربعة وعشرين قسمًا ، تحت كل قسم أقسام عديدة ، واستغرق في ذلك ما يقرب من الثمانين صفحة من المطبوعة التي بأيدينا^(٢) .

الرازي والزمخشري :

(ب) صاحب « الفوائد المشوق .. » عندما يذكر الزمخشري يتبعه : (رحمه الله)^(٣) - ولا يمكن أن يكون هذا المترحم على الزمخشري ابن القيم الذي يرى أن المعتزلة من أهل البدعة والضلالة في العقيدة ، وكتبه مشحونة بالرد عليهم وتنفيذ مذهبهم ، والزمخشري عنده رأس من رؤوس هؤلاء ؛ فلا يمكن بحال لهذا الإمام السلفي أن يأتي بعد ذكر لواحد مثله بصيغة الترحم .

ومثل هذا عندما ذكر فخر الدين الرازي حيث نجده يقول : « وقال الإمام فخر الدين رحمه الله ... »^(٤) . وفي كل المواضع التي ورد ذكر الرازي فيها لا نجده يذكره باسمه مجردا ، بل يسبقه بلفظ الإمام وفي هذا ما فيه من إجلال - للرازي . وهذا غريب على أسلوب ابن القيم الحنبلي المذهب ، إزاء الرازي الأشعري ، الشافعي .

(١) مختصر الصواعق ص ٢٩٠ .

(٢) من صفحة (٩) إلى (٨٧) .

(٣) الفوائد المشوق : ١٠٦ .

(٤) الفوائد المشوق ٤٤ ، ١٤٧ .

ومثل ذلك عند ذكره للعز بن عبد السلام حيث يصفه بـ « الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام »^(١) وغاية ما يمكن أن نجده في حديث ابن القيم عن ابن عبد السلام أن يقول مثلاً : « الشيخ أبو محمد بن عبد السلام »^(٢) .

أبو العلاء المعري :

(ج) وصاحب « الفوائد » يطلق لقب « الشيخ » على أبي العلاء المعري^(٣) وهذا يحمل الإكبار له في نفس المصنف .

وابن القيم يستحيل أن يطلق على المعري : « الشيخ » كيف والمعري عنده : « أعمى البصر والبصيرة ، كلب معرة النعمان ، المكنى بأبي العلاء المعري »^(٤) .

هذه عبارة ابن القيم في وصف أبي العلاء ، ويظهر منها استكثاره على المعري حتى أن ينطق بكنيته أبي العلاء ، - والكنية فيها بعض مظنة التبجيل ، ولا أظن ابن القيم قد تدنى في أسلوبه إلى مثل هذا في وصف أحد وهو العفيف اللسان « رقيق الخواشي إلا أنه هنا يصفه « بـ كلب معرة النعمان » ليشير إلى قدره وصفته عنده ، أفبعد هذا يمكن أن يرفعه إلى درجة (الشيخ) ؟!

أحاديث ضعيفة :

(د) وابن القيم معروف باطلاعه الواسع على السنة النبوية المطهرة ، وله تحقيقات واسعة في الحديث النبوي الشريف سنداً وامتناً ، رواية ودراية . وما بين أيدينا من كتبه شاهد على ذلك . وله مصنف في التنبيه على الأحاديث الساقطة والواهيّة هو كتاب « المنار المنيف » . شخص مثل ابن القيم هذا لا يمكن أن يقع في كتابه من الأحاديث ماهو مكذوب على النبي ﷺ ولا ينتبه إليه .

وهذا ما وقع في الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق حيث وردت فيه مجموعة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

(١) الفوائد المشوق : ١٣ ، ٣٢ .

(٢) انظر : الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ٢٥ - ٢٨ ، ط السادسة ، المكتبة السلفية - القاهرة ١٤٠١ هـ .

(٣) الفوائد المشوق : ١٧١ ، ٢١٦ .

(٤) طريق المهجرتين لابن القيم ص ١٤٦ ، ط الثالثة - المكتبة السلفية - القاهرة ١٤٠٠ هـ .

أضف إلى ذلك أن عادة ابن القيم المحدث الفقيه نسبة الأحاديث إلى مخرجها من أصحاب كتب السنة النبوية ، وهذا غير موجود فلا يوجد حديث في كتاب الفوائد محال إلى مخرجه من أصحاب كتب السنة .
وهذه بعض الأمثلة :

أورد صاحب الكتاب الموسوم بالفوائد في باب « السهل الممتنع » في القسم الخاص من الباب الثاني المتعلق بفصاحة الألفاظ أمثلة من السنة ، فقال : (ومنه في السنة كثير .. من ذلك قوله ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما خضراء الدمن ، قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء ، وقوله ﷺ : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وعودوا كل جسد ما اعتاد ... » ^(١) .

وما أورده هنا (المعدة بيت الداء ...) لا يعقل أن ينسبه ابن القيم إلى رسول الله ﷺ ، وهو الذي قال عنه في كتابه زاد المعاد :

« وأما الحديث الدائر على السنة كثير من الناس « الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل جسد ما اعتاد » . فهذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن حنظلة طبيب العرب ، ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ . قاله غير واحد من أئمة الحديث » ^(٢) .

وأما الحديث « إياكم وخضراء الدمن ... » فقد قال عنه الشيخ ناصر الدين الألباني : (ضعيف جدًا . رواه القضاعي في مسند الشهاب وأورده الغزالي في الإحياء . وقال مخرجه العراقي : رواه الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي في الأمثال » ^(٣) .

(١) الفوائد المشوق ص ٢٢٣ .

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم - ٩٨ / ٣ - مكتبة محمد علي صبيح - القاهرة .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الدين الألباني ٢١ / ١٠ - دار الفكر ، الطبعة الأولى -

دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .

ونجد مصنف الكتاب الذي معنا يورد في باب التشبيه حديثاً ذائع الانتشار في كتب البلاغة ، وهو في الحقيقة موضوع ، وهو (أصحابي كالنجوم ...)^(١) . قال عنه الشيخ ناصر الدين الألباني : « موضوع ورواه ابن عبد البر في جامع العلم ٩١٠ / ٢ . وابن حزم في الأحكام ٨٢ / ٦ »^(٢) .

واحد كابن القيم لاتصدر عنه مثل هذه الهفوات في هذا الفن .. فن معرفة صحيح الحديث من ضعيفه من موضوعه . ولا تخرج إلا عن واحد بعيد عن هذا الميدان . أما ما يذهب إليه البعض من أن هذا الكتاب يمكن أن يكون قد ألفه ابن القيم قبل اتصاله بأستاذه الأثير ابن تيمية^(٣) . فهذا مما لا حاجة تدعو إلى تكلفه ، وكان يمكن اللجوء إليه لو أن نسبة الكتاب منذ البداية كانت ثابتة لابن القيم ، ساعتها كان يمكن اللجوء إلى هذا الفرض . أما وقد خلّت كتب السابقين من ذكر الكتاب بين كتب ابن القيم فلا حاجة تدعونا إلى هذا التمثل والتكلف .

ولو سلمنا - جداً - أن ابن القيم ألفه قبل لقاء شيخه ابن تيمية « لأشار إليه في معرض بحثه وقرر الرجوع عنه ونبه على ذلك حتى لا يغتر به كما هو دأب أهل العلم في هذا ، وهو مقتضى النصيحة في سبيل الله نصحاً للأمة وتوجيهاً لها »^(٤) . تسمية مخترعة :

أما عن تسمية الكتاب بـ « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » فقد بحث عنها لعلّي أجد لها لأحد من المصنفين فلم أظفر بباطل من وراء ذلك ، فلم يبق إلا القول بأن التسمية مخترعة ، كما أن النسبة إلى ابن القيم مخترعة ، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا ليس عنوانه « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » وليس هو لابن قيم الجوزية !

وإذا كان لأمر كذلك ، فما هذا الكتاب الذي بين أيدينا ومن صاحبه ؟!

* * *

(١) الفوائد المشوق ص ٥٦ ، ٦٦ .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٧٣ / ١ . وانظر عدة ألفاظ له أخرى في نفس السلسلة ٧٩ - ٧٤ / ١ .

(٣) انظر (ابن قيم الجوزية حياته وآثاره) للأستاذ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ١٨٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٨٥ .

وقد هداني الله إلى الإجابة عن هذا السؤال من خيط رفيع جدا داخل الكتاب لا يكاد يكون ملحوظاً ، وهذا الخيط هو عنوان القسم الحادي والعشرين من أقسام فنون المعاني ، فقد جعله بعنوان : « الاحتجاج النظري » وقال فيه : « وبعض أهل هذا الشأن يسميه « المذهب الكلامي » ، وهو أن يذكر المتكلم معنى « يستدل عليه بضرب من المعقول » . ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ . وقوله : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . ومنه قول الشاعر :

جَرَى الْقَضَاءُ بِمَا فِيهِ فَلَا تَلَمَّ وَلَا مَلَامَ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ^(١)

شعرت أنني قرأت مثل هذا الكلام قبل الآن ، وفي غير هذا الكتاب ... نعم لقد مررت به في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي المتوفى ٧٤٥ هـ عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (آل عمران ١٥٤) يقول أبو حيان : « هذا النوع عند علماء البيان يسمى « الاحتجاج النظري » وهو أن يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضروب من المعقول نحو : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) . ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (يس : ٧٩) ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ ﴾ (يس / ٨١) . وبعضهم يسميه المذهب الكلامي .

ومنه قول الشاعر :

جَرَى الْقَضَاءُ بِمَا فِيهِ فَلَا تَلَمَّ فَلَا مَلَامَ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ^(٢)

وواضح من مقارنة كلام أبي حيان بما في طبعة « الفوائد المشوق » التطابق شبه التام بين الاثنين .

(١) الفوائد المشوق ص ١٣٦ .

(٢) البحر المحيط ٨٩ / ٣ .

كان ذلك أثناء فترة دراستي السابقة للماجستير عن « البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط » . وعلّقت عليه بقولي :

وقول أبي حيان هنا « وبعضهم يسميه المذهب الكلامي » يوحي بأن الأشهر هو مصطلح « الاحتجاج النظري » ، ولكن الأمر بعكس ذلك فالمشهور الذي عليه العلماء تسميته بالمذهب الكلامي . وقد حاولت معرفة من استخدم مصطلح الاحتجاج النظري من علماء البيان ، فلم أعثّر على ذكره إلا لدى شيخ أبي حيان « ابن النقيب » كما نص السيوطي الذي سبق ذكره^(١) .

ونص السيوطي هذا الذي أشير إليه هو قوله في شرحه على منظومته في علم المعاني والبيان أن صاحب تسمية هذا الفن بالمذهب الكلامي « الجاحظ » ثم قال بعدها : « وسماه ابن النقيب الاحتجاج النظري »^(٢) .

أعدت النظر مرات في نص السيوطي هذا . والسيوطي من المتأخرين ، وكان مهتمًا بالجمع والتدقيق وضبط المصطلحات ، وكونه يقطع بأن « المذهب الكلامي » لم يسمه بهذه التسمية إلا ابن النقيب شيء يثير الاهتمام .

وشيخ أبي حيان هذا ابن النقيب له مقدمة كبيرة في علم البيان والمعاني ذكرها أبو حيان في مقدمة تفسيره عند حديثه على الوجه الثالث من الوجوه التي يكون منها تفسير كلام الله سبحانه وتعالى وهو « جانب الفصاحة والبلاغة » أو بعبارة أبي حيان « كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح » يقول :

« ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ، وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة وأجمعها ما جمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب ، وذلك

(١) البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ص ٥٥ - مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم - القاهرة .

(٢) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ص ١٢٣ - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر - ١٣٥٨ هـ .

في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير ، وما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني مقيم تونس المسمى « منهاج البلغاء وسراج الأدباء »^(١) .

وأبو حيان الأندلسي تتلمذ على شيخه ابن النقيب ، ونقل عنه في البحر المحيط كثيراً ، واعتمد كثيراً في منقولاته المروية على تفسير شيخه ، وصرح بذلك في البحر المحيط . وقد ذكر مقدمة شيخه ابن النقيب - هذه - ووصفها بأنها من أجمع ما كتب في فن المعاني والبيان . فالأقرب إذن أن يكون ما في البحر المحيط من مادة بلاغية منقولة عن هذه المقدمة . وهنأثار في نفسي تساؤل : « ولم لا يكون ما بين أيدينا من الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق ، هو نفسه هذه المقدمة التي قدم ابن النقيب بها لتفسيره » ؟ . إن هذا الفرض ليدعمه هذا التطابق السابق بين نص البحر المحيط ونص الفوائد في مسألة ضبط مصطلح « الاحتجاج النظري » :

والمذهب الكلامي - هذا الذي سماه ابن النقيب « الاحتجاج النظري » هو الفن الخامس من بديع ابن المعتز ، قال فيه : « وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي »^(٢) .

فصاحب تسمية المذهب الكلامي بذلك هو الجاحظ كما يقرر ابن المعتز وانتقل من ابن المعتز إلى أصحاب المؤلفات في فن البديع بعده حتى اليوم . استعمله أبو هلال في الصناعتين ، وابن رشيق في العمدة ، وابن أبي الأصعب في تحرير التحبير ، وشرّاح التلخيص ، وغيرهم كثير^(٣) .

(١) البحر المحيط ١/ ٦ .

(٢) البديع لابن المعتز ٥٣ .

(٣) انظر الصناعتين لأبي هلال ٤٢٦ ، العمدة لابن رشيق ٧٨/ ٢ ، تحرير التحبير ١١٩ ، شروح التلخيص ٣٦٨/ ٤ ، شرح عقود الجمان للسيوطي ١٢٣ ، حلية اللب المصون للدمهوري بهامش شرح عقود الجمان ١٤٤ ، الأطول لابن عربشاه ٢٠٩/ ٢ . وغيرها من المراجع انظر ثبته في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب ٢٤٠/ ٣ . ط الأولى - مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٣ هـ - ١٤٠٧ .

وذكر الدكتور مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية أن مصطلح « الاحتجاج النظري » سماه بهذا أبو حيان الأندلسي وابن قيم الجوزية وابن النقيب^(١) ، وسماه الزركشي « إجماع الخصم بالحجة »^(٢) .

وكما ذكرت فأبو حيان تلقى عن ابن النقيب وجلس إليه وأخذ عنه تفسيره الكبير ، فمصطلح الاحتجاج النظري انتقل إليه من شيخه ابن النقيب . أما ابن قيم الجوزية فقد شككنا في نسبة هذا الكتاب الذي بين أيدينا إليه ، فيكون كلام السيوطي في شرح عقود الجمان مازال صادقاً أنه لم يسمه بهذه التسمية إلا ابن النقيب^(٣) .

تشابه مع « البحر » :

ومن أوجه التشابه بين مافي البحر المحيط من مادة بلاغية وبين مافي أيدينا من الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق ما ذكره أبو حيان عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ حيث يقول : وفي قوله : ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ نوع من البديع يسمى « التميم » ، وهو إرداف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه للفهم كقوله تعالى ﴿ وَلَا طَائِرُ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾^(٤) . وهذا التعريف للتميم يتطابق مع مافي الفوائد المشوق^(٥) .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ أنه فيه نوع من أنواع البديع يسمى (التمليح)^(٦) ، وهو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل شائع أو شعر نادر أو قصة مشهورة أو ما يجري مجرى المثل . ومنه قول يسار^(٧) بن عدي حين بلغه قتل أخيه وهو يشرب الخمر :

« الْيَوْمَ خَمَرٌ وَيَنْدُو فِي غَدٍ خَبْرٌ وَالْدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ أَنْعَامٍ وَإِبْقَاسٍ »^(٨)

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ٥٧ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٦٨ .

(٣) وجدت صاحب « الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة » محمد بن علي بن محمد الجرجاني المتوفى ٧٢٩هـ يسمى هذا الفن تسمية قريبة من تسمية ابن النقيب حيث يسميه « الحاجة » انظر الإشارات والتنبيهات ص ٢٨٠ ، تحقيق د. عبد القادر حسين - دار نهضة مصر . د. د .

(٤) البحر المحيط ٢/ ١١٧ .

(٥) الفوائد المشوق ص ٩٠ .

(٦) كذا في المطبوعة ، وهو خطأ مطبعي .

(٧) كذا في (ط) وهم تصحيف ، والصواب « بشار » .

(٨) البحر المحيط ٥/ ٨٥ .

وهذا الذي ذكره أبو حيان موجود في الفوائد المشوق حيث يقول : (التلميح وهو أن يشير في فحوى الخطاب إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من غير أن يذكره . ومنه قول بشار بن عدي :

الْيَوْمَ خَمَرٌ وَيَيْدُو فِي عَدِّ خَبَرٍ وَالذَّهْرُ مَا بَيْنَ إِنْعَامٍ وَإِنْسَانٍ^(١)

ومن التقارب الكبير بين مافي البحر المحيط من مادة بلاغية وبين مافي « الفوائد المشوق »^(٢) مانقله أبو حيان في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ... ﴾ (سورة غافر ٢٨) .

وقد لحظ هذا التشابه بين مافي البحر المحيط من مادة بلاغية وبين مافي كتاب « الفوائد المشوق » الدكتور المحتسب في بحثه للدكتوراه عن « منهج أبي حيان في التفسير » وحكم بأنه من المصادر البلاغية التي لم يذكرها أبو حيان في مقدمة كتابه بل نقل عنه دون تصريح باسمه^(٣) .

عبارة دقيقة :

والحق أن أبا حيان ذكر هذا الكتاب في مقدمة كتابه وهو ليس إلا مقدمة تفسير شيخه ابن النقيب التي وصفها في مقدمة البحر المحيط بأنها أجمع ما وضع في علم البيان والبدیع . يقول أبو حيان : (وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة وأجمعها ما جمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير . وما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني مقيم تونس المسمى منهاج البلغاء وسراج الأدباء)^(٤) .

(١) الفوائد المشوق ص ١٦٢ .

(٢) انظر البحر المحيط ٧ / ٤٦١ ، ٤٦٢ ، والفوائد المشوق ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) انظر منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط . رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ص ٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ .

(٤) البحر المحيط ١ / ٦ .

وعبارة أبي حيان هنا دقيقة حيث وصف كتاب شيخه ابن النقيب وعمله فيه بالجمع ، وشيخه حازم في المنهاج بـ « الوضع » ، وهى دقيقة بالغة من أبي حيان تكشف فارق مابين المنهجين بين (ما جمعه) شيخه ابن النقيب وبين (ما وضعه) شيخه حازم . وبالنظر في « الفوائد المشوق » نرى جهدا كبيرا من الجمع والترتيب والتنظيم للمادة البلاغية وشواهدا يتفق مع ما قال أبو حيان . وهو حقا من أجمع الكتب في هذا الفن ، من حيث الجمع وحسب - ولا يغرنك هذه الطبعة القديمة له - فالكتاب حوى بين دفتيه خلاصة لمجموعة من كتب صناعة البلاغة ونقد الشعر . وهى :

البديع لابن المعتز ، الحالي والعاقل للحاتمي ، حسن المحاضرة له ، الصناعتين للعسكري ، اللمع للعجمي ، المثل السائر لابن الأثير ، الجامع الكبير لابن الأثير ، البديع لأسامة بن منقذ ، العمدة للزنجاني ، نظم القرآن له أيضا ، نهاية التأمل في كشف أسرار التنزيل لابن الزملاكي ، التفرع في علم البديع لابن أبي الإصبع^(١) . وبالنظر في قائمة مراجع هذا الكتاب يتبين لنا مدى قيمة هذه المقدمة وأهميتها . والناظر في هذا الكتاب يشعر كأن المؤلف وضع هذا الكتاب معجما لإثبات هذه الفنون البلاغية العديدة للقراءة المتعة واستبصار الجمال ، وهذا يناسب كونها مقدمة لكتابه في التفسير . فابن النقيب في هذا التفسير الضخم الذي ألفه ، وقيل إنه أضخم كتاب في علم التفسير إذ وصل إلى ما يقرب من مائة مجلد كما يقال ، كان يعنيه الاهتمام بمسائل الفصاحة والبلاغة في القرآن فكأنه جعل هذه المقدمة عوناً وتمهيداً للقارئ على متابعة ما يذهب إليه من الخوض في الحديث عن البلاغة في القرآن وأسرارها .

أضف إلى ذلك أن منهجه في هذا الكتاب في فهم البلاغة والفصاحة والبيان والبديع لا يخرج عن فهم المتقدمين من علماء البيان قبل السكاكي . وقد كان فهم ابن النقيب هذا هو الذي أثر في أبي حيان حيث تابعه على هذا الفهم الرحب ولم يحصر البلاغة فيما

(١) انظر مقدمة الفوائد المشوق ض ٨ . هذا هو المذكور في المطبوعة ، واتضح لي أن هناك كتاباً أخرى اعتمد عليها المؤلف ولم تذكر في خطبة الكتاب ، وأن عبارة المؤلف في ذكر الكتب التي اعتمدها لحقها شيء من التحريف والسقط .

استقر لها من علوم ثلاثة رغم أنه كان معاصرا للقرويني ومدحه بقصيدة^(١) .

وهذا يكشف لنا عن نقطة هامة في التأريخ البلاغي أنه على الرغم من ذبوع مفتاح السكاكي وتلخيص الخطيب فإنه وجد من يفهم البلاغة - في زمان هؤلاء - فهم المتقدمين من نقادنا الأوائل . بل إن هذا الفهم الرحب من ابن النقيب لمصطلح البلاغة يجعله مرادفا لمصطلح « نقد الشعر » ، وهو ما كان عليه الأوائل من نقادنا حيث لا فاصل بين المصطلحين . يقول الشيخ حسن العطار في حاشيته على السمرقندية ناقلًا عن حاشية السيوطي على البيضاوي :

« إن المتقدمين كانوا يسمون علم البلاغة وتوابعها بعلم نقد الشعر وصناعة الشعر ونقد الكلام . وفيه ألف العسكري كتابا سماه « الصناعتين » يعني صناعة النظم والنثر ، وألف قدامة كتابا سماه نقد الشعر ، وإنما التسمية بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتأخرين »^(٢) .

فهذا الاتحاد في فهم هذه المصطلحات بين ما في البحر المحيط وما في أيدينا من الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق يدعم أنه مقدمة شيخ أبي حيان لتفسيره .
أدلة أخرى :

ومما يؤكد أن هذا الكتاب هو مقدمة تفسير ابن النقيب هذه أنه في المقدمة يقول :
« فكتاب الله تعالى أشرف ما صرفت إليه أهتمام وأعظم ما جال فيه فكر ومُدَّ به قلم ...
وقد أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان وغوامض اللسان وحسن الترتيب والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المسامح وحسن البلاغ وبهجة الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألغى بلاغة البلغاء من العذب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم وكلت ألسنتهم الذريرة وأقصرت خطبهم المسهبة وقصائدهم المغربية وأراجيزهم المعربة وأسجاعهم المطربة فعلموا أن معارضته مما ليس

(١) انظر البلاغة عند أبي حيان الأندلسي ص ٧١ وما بعدها .

(٢) حاشية الشيخ حسن العطار على السمرقندية ص ٤ . شركة المطبوعات العلمية - مصر - ١٣٢٧ هـ .

في مقدورهم ولا وسعهم ولا داخلًا في تقصيدهم ولا سجعهم وأن ذلك مسلوب
ومصروف عن مفردهم وجمعهم ... الخ»^(١).

ثم قال بعد ذلك كاشفا عن غرضه من تأليف الكتاب :

« وإنما يُعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية
وعلم البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها ورسائلها
وأراجيزها وأسجاعها فعلم منه تلوين الخطاب ومعدوله ، وفنون البلاغة وضروب
الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والأمثال . فإذا علم ذلك
ونظر في هذا الكتاب العزيز ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة
وفنون البيان فقد أوتي فيه العجب العجائب ، والقول الفصل اللباب والبلاغة الناصعة
التي تحير الألباب وتغلق دونه الأبواب ، فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة
عليهم ، ومجاراته لهم في ميدان الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم ويثبت أنه ليس
من خطابهم لديهم ، فعجزت عن مجاراته فصحاؤهم وكلت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم
وبرز في رونق الجمال والجلال في أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال . ولذلك يقع
في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبه والنفوس خشية وتستلذه
الأسماع وتميل إليه بالحنين الطباع سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمة بما يحتويه
أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة . وسنورد في كتابنا هذا أصولاً مؤصلة وفوائد
مفصلة من علم البيان وما ورد نظيره في القرآن ما تقف عليه ويعجبك عند النظر
إليه »^(٢).

وبعد أن ساق مصادره التي استقى منها ذكر أنه صنف هذا الكتاب (إحياء لعلم
البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذي قد غفت آثاره وقلت أنصاره وتقاعدت
الهمم عن تحصيله وضعفت العزائم عن معرفة فروعه فضلاً عن أصوله ، فما علم
من العلوم الإسلامية رمي بالهجر والنسيان ما رمي به علم البيان . ولو أداموا النظر

(١) الفوائد المشوق ص ٥ - ٦ .

(٢) مقدمة الفوائد المشوق ص ٧ .

فيه والتلمح لمعانيه لاطلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهش لها القلوب ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب . ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل ، ولم يقيم ببعض حقوق المنزل والمُنزَّل . ومن وقف على هذه الأصول والفصول التي فصلتها ظهر له مصداق هذه الدعوى وأخذ من التوصل إلى معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى ، وحسن عنده موقعه ، وعظم في نفسه محله وموضعه ، وخالطت قلبه بشاشة رونقه وحليت في عينه نظائره وحسن موقفه » .

ونجده يصرح مرة أخرى بغرضه من هذا التأليف عند حديثه عن « الحل والعقد » - وهو القسم الثامن عنده - من أقسام الفن الثاني المتعلق بفصاحة الألفاظ - فبعد أن عرّف هذا المصطلح عند أهل البيان وجدناه يقول عنه : (وأكثر مايقع هذا النوع في الشعر والرسائل فإن الشعر معقود والنثر يحلله^(١) والنثر محلول والشعر يعقده . وللماهرين في صناعة الإنشاء من هذا كثير ليس هذا موضع ذكره إذ ليس غرضنا في هذا الكتاب إلا إثبات ماوقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة وبدائع البديع أو مايجري مجرى ذلك)^(٢) .

ونجده يصرح بذلك في قسم الاستعارة حيث عقد فصلاً ذكر فيه جملة مما احتوى عليه القرآن الكريم من أقسام الاستعارة ، وقدم لذلك بقوله :

« وهذه جملة مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنوفها نذكرها مفصلة مبينة على حكم ما تقدم من الأقسام الأربعة ، إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة ماتضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعيون الفصاحة وأجناس التجنيس^(٣) .

وهذا يلائم أن يكون مقدمة بين يدي تفسير القرآن ، همُّ صاحبها الكشف عن صور الحسن والجمال في آي القرآن .

(١) كذا في المطبوعة ولعل صوابها : يحله .

(٢) الفوائد المشوق : ٢٢٥ .

(٣) السابق : ٤٦ .

التورية .. والترديد :

ومن الأدلة الطريفة التي ظهرت لي في إثبات أن كتاب الفوائد المشوق هو هذه المقدمة لتفسير ابن النقيب - تصحيف وتحريف قديم وقع في هذه المقدمة . وهو بعينه موجود في هذه المطبوعة . وهو عنوان « القسم العشرون » من أقسام الفصاحة المعنوية عنده فقد جاء في المطبوعة « التورية »^(١) وعرفه بقوله :

« وهو أن يعلق المتكلم لفظه من الكلام بمعنى ثم يرددها بعينها ويلحقها بمعنى آخر ، وهو في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾^(٢) الآية . الجلالة الأولى مضاف إليها والثانية مبتدأ بها . وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . ومثل قوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾^(٣) [فِيهِ]^(٤) رجال . اهـ .

وهذا المعنى للتورية لا يعرف عن أحد من أئمة البلاغة والنقد في كتاب قبل هذا . وقد راجعت مصادر المؤلف الموجودة التي ذكرها في أول كتابه ، فلم أجد هذا عند أحد منهم .. إلى أن وقعت على نص للسيوطي في شرحه على عقود الجمان ، يقول فيه - رحمه الله -

« حكى بعضهم في التورية قولاً نادراً فقال : هي أن يعلق المتكلم لفظه من الكلام بمعنى ثم يرددها بعينها ويلحقها بمعنى آخر . نحو : ﴿ مثل ما أوتى رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ فجاء بلفظ الجلالة مضافاً إليه ، ثم جاء به مبتدأ مثل قوله : ﴿ أحق أن تقوم فيه فيه رجال ﴾ الأول متعلق بتقوم ، والثاني خبر رجال . كذا أورده الأندلسي نقلاً عن ابن النقيب في تفسيره ..

قلت : الظاهر أن هذا القول تصحّف على ناقله فإن هذا هو النوع المسمى

(١) الفوائد المشوق : ١٣٦ .

(٢) هي قراءة غير حفص وابن كثير من السبعة . انظر غيث النفع : ٢١٥ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة .

(٤) الفوائد المشوق : ١٣٦ .

« بالترديد » ، السابق في الإطناب فتحرف على الناقل « الترديد » « بالتورية » .
ثم رأيت في المصباح لابن مالك التمثيل بالآية الأولى للترديد فصح ماقلته ^(١) .

فهذا النص قاطع يثبت أن ما بين أيدينا مقدمة ابن النقيب لتفسيره حيث جاء فيها عنوان هذا الفن البديعي « الترديد » واقعاً فيه التحريف والتصحيح إلى « التورية » .
وقد كان السيوطي - رحمه الله - موقفاً في حدسه هذا أن مصطلح « الترديد » حرف إلى التورية . وثبت لي صحة ماذهب إليه من استقراء مصادر الكتاب موضوع البحث بين أيدينا ، فما في كتاب « الفوائد المشوق » موجود بنصه تحت عنوان « الترديد » في تحرير التحرير لابن أبي الإصبع المصري ^(٢) ، وورد أيضاً في « معيار النظر في علوم الأشعار » لعبد الوهاب الزنجاني ^(٣) ، والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ^(٤) بنفس هذا التعريف المذكور معنا . وذكر ابن منقذ أنه يطلق عليه أيضاً « التصدير » .

الاقْتِباسُ أو التضمين :

ومن الأدلة على أن ما بين أيدينا من الكتاب الموسوم بالفوائد المشوق هو مقدمة تفسير ابن النقيب ماجاء فيه عن (الاقتباس أو التضمين) ، وهو القسم الثالث عشر من أقسام الفصاحة المعنوية ، فقد عرفه بأنه « أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي أتى به أو ترتيب ^(٥) فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر ، فهو تضمين وإن كان كلاماً قليلاً أو نصف بيت فهو إيداع . وعلى هذا الحد ليس في القرآن من هذا النوع شيء إلا ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة : ﴿ قَالُوا اتَّجَعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ . ومثل ما حكاها سبحانه من قول المنافقين ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّحُونَ ﴾ . وقولهم : ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ... ﴾ وقوله سبحانه

(١) شرح عقود الجمان : ١١٥ .

(٢) تحرير التحرير : ٢٥٣ .

(٣) معيار النظر في علوم الأشعار للزنجاني (١٤٥/٢) ، تحقيق د. محمد علي رزق الحفاجي دار المعارف - القاهرة - ١٩٩١ .

(٤) البديع لابن منقذ : ٥١ .

(٥) كذا في المطبوعة .

وتعالى حكاية عن قول اليهود والنصارى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ . ومثله في القرآن كثير . وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأعجمية مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ وهي لغة للحطب بالحبشية ... »^(١) .

وهذا المذكور هنا نقله السيوطي في الإتقان وعزاه إلى ابن النقيب . فعند حديثه عن التضمنين قال السيوطي : (ومثله ابن النقيب وغيره بإيداع حكايات المخلوقين في القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . وعن المنافقين : ﴿ أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ ، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ... ﴾ ، ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى ﴾ قال : وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية)^(٢) .

وهذا نص قاطع أن ما بين أيدينا هي مقدمة تفسير ابن النقيب .

أيضا مما يقوي أن هذا الكتاب مقدمة في تفسير القرآن ما صنعه المصنف في نهاية الكتاب بعد أن ساق ما انتهى إليه من فنون البلاغة والفصاحة حيث عقد فصلاً لبيان معاني ألفاظ : « القرآن ، والسورة ، والآية ، والكلمة والحرف وبيان معانيها » ، واعتذر بأن هذا « كان ينبغي أن يكون مقدماً في أول الكتاب »^(٣) .

مقدمة ابن النقيب :

ومن كل ماسبق أجدني مطمئناً إلى تقرير ما بين أيدينا من أن الكتاب المزعوم بالفوائد المشوق ليس إلا مقدمة الشيخ ابن النقيب في علم البلاغة والبيان التي جعلها بين يدي تفسيره الكبير للقرآن الكريم .

وهذه المقدمة عرفها غير واحد من السابقين ، ذكرنا منهم سابقاً أبا حيان الأندلسي والسيوطي .. وذكرها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن ووصفها بمثل وصف أبي حيان لها ، من أنها أجمع ما صنف في علم الفصاحة والبيان ، وذلك عند حديثه عن « معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح » يقول :

(١) الفوائد المشوق : ١١٦ - ١١٧ .

(٢) الإتقان للسيوطي : ٢٧٠ / ٣ .

(٣) الفوائد المشوق : ٢٤٤ .

(ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب في مجلدين وقد مهما أمام تفسيره ، وما وضعه حازم الأندلسي المسمى بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء . وهذا العلم أعظم أركان المفسر ...^(١) . وكانت من مصادر بهاء الدين بن السبكي في تأليفه عروس الأفراح)^(٢) .

شهادة الرافعي :

ومما يبين قيمة هذا الكتاب الذي بين أيدينا شهادة أديب العربية الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حيث يقول :

(أما إن أردت أن تعرف أنواع البلاغة في آيات القرآن والتمثيل منها لكل نوع فليس أوفى بغرضك من كتاب « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » لابن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١ ، وقد جمعه من أمهات الكتب المصنفة في البلاغة . فكان في ذلك الغرض بها جميعا ..)^(٣) .

ويقول في موضع آخر تحت عنوان : « البلاغة في القرآن » : (وبعد فلا سبيل من كتابنا هذا إلى بسط الكلام وتقسيمه فيما تضمنه القرآن من أنواع البلاغة التي نصب لها العلماء أسماءها المعروفة كالاستعارة والمجاز وغيرهما ، فضلا عن أنواع البديع الكثيرة ، فإن ذلك يخرج الكلام مخرج التأليف وبناء القول على هذه الفنون نفسها . وهو معنى كان استخراجها من القرآن بابا مفردا صنف فيه جماعة من العلماء المتأخرين ، منهم : الإمام الرازي المتوفى ٦٠٦ ... ثم الأديب ابن أبي الإصبع المتوفى ٦٥٤ . ثم ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ . وقد أشرنا في غير هذا الموضع إلى تصنيفه كتاب « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » وهو في معناه بتلك الكتب كلها)^(٤) .

(١) البرهان للزركشي ٣١١ / ١ .

(٢) عروس الأفراح ٣١ / ١ .

(٣) إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي : ٢١٠ .

(٤) المصدر السابق : ٢٥٦ . وقد قمت بصنع فهرست للآيات القرآنية التي وردت في المقدمة وخرجتها ورتبتها على أبواب البلاغة ، فتبين لي بالدليل القاطع صدق مقالة الأستاذ الرافعي رحمه الله .

وقد تناول هذا الكتاب الدكتور أحمد مطلوب في بحثه عن « البلاغة عند السكاكي » من حيث التشابه والتأثير فقال :

« ولم نلاحظ أي أثر للسكاكي في هذا الكتاب ولم يشر المؤلف إليه في مصادره التي ذكرها في مطلع بحثه . ويمكن تحليل التشابه الموجود بينهما ولاسيما في بحث الاستعارة بأنهما اعتمدا على كتاب « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » للرازي اعتماداً كبيراً . ومن هنا جاء التشابه في بعض المسائل والوجوه .

أما منهجه ومادة بلاغته فلا صلة لها بالسكاكي ويمكن القول إن بلاغة ابن القيم ليست إلا بلاغة ضياء الدين بن الأثير ، فقد اعتمد عليه ونقل كثيراً من آرائه في مباحث الالتفات والكناية والتعريض وغيرها . وكان كتاباه « المثل السائر » و « الجامع الكبير » من أهم مصادر ابن قيم الجوزية .

فابن قيم كما اتضح ليس من مدرسة السكاكي وإنما هو من مدرسة مصر والشام أو من مدرسة ضياء الدين بن الأثير وإن كان لا يقف في مسائل البلاغة إلا وقفة العارض للنماذج عرضاً صامتاً ، بينما امتاز ابن الأثير بالشرح والتحليل والنقد والموازنة بين النصوص الشعرية والنثرية ^(١) .

ضرب من الظن :

ولم يتطرق المصدران السابقان إلى الشك في نسبة هذا الكتاب للإمام ابن قيم الجوزية . وعدم التوقف أمام هذه النقطة بالبحث والتريث جعلت بعض الباحثين يصدر حكماً بأن كتاب « الفوائد المشوق » هذا هو الصورة الناضجة للتفكير البلاغي عند ابن القيم وأن موقفه فيه في إثبات المجاز غدول عن مذهبه المعروف في كتابه « الصواعق المرسله » . يقول الدكتور صبرى المتولى :

« لم يلبث ابن القيم أن طالعنا في كتابه « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » بموقف مخالف تماماً يمثل المرحلة الأخيرة في تطور تفكيره البلاغي ، هذا الموقف يتسم بال مرونة والموضوعية واتساع الأفق ، ويكسب شخصية ابن القيم تميزاً واستقلالاً

(١) البلاغة عند السكاكي للدكتور أحمد مطلوب ص ٣٥٧ . الطبعة الأولى - مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٤ هـ - ١٣٨٤ م .

عن التبعية المطلقة لشيخه ابن تيمية ، فقد أعاد النظر في كل الآراء التي احتوى عليها الكتاب السابق^(١) ، وبدأ يعترف بعلم البيان بكل المفاهيم الاصطلاحية التي تشتمل عليها مباحثه ، بما في ذلك مبحث الحقيقة والمجاز^(٢) .

وهذا الذي ذهب إليه الأستاذ الباحث ضرب من الظن وإصدار الأحكام بلا دليل ، حتى لو سلمنا بصحة نسبة « الفوائد المشوق » إلى ابن القيم . فالباحث هنا جعل فكر ابن القيم البلاغي مر بمرحلتين :

مرحلة رفض المجاز ، ووصف ابن القيم فيها بمتابعة شيخه ابن تيمية وعدم استقلال شخصيته متمثلاً ذلك في كتابه الصواعق المرسلة .

والمرحلة الثانية : الاستقلالية عن شيخه والعدول عن المذهب السابق وإثبات المجاز ، ويتمثل ذلك في كتاب « الفوائد المشوق » .

ولأعرف كيف يمكن أن يصح ذلك دون معرفة من تاريخ تأليف الكتابين ليصح أن أحدهما سابق والآخر لاحق . وهذا غير معلوم . وقد خصص الباحث حوالي عشر صفحات من كتابه لبيان الفكر البلاغي عند ابن القيم من خلال كتاب « الفوائد المشوق »^(٣) .

ابن النقيب وتفسيره :

والشيخ ابن النقيب هذا هو « محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين العلامة جمال الدين أبو عبد الله بن أبي الربيع البلخي الأصل المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب ، ولد بالقدس في نصف شعبان سنة إحدى عشرة وستائة . كان أحد الأئمة العلماء الزهاد عابداً متواضعاً عديم التكلف صرف همه أكثر دهره إلى التفسير . وتفسيره مشهور في نحو مائة مجلد »^(٤) .

(١) يريد كتابه « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة » .

(٢) منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم . دراسة موضوعية لجهود ابن القيم في التفسير للدكتور صبري المتولي ص ٤٣١ . دار الثقافة للنشر - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٣) المصدر السابق من ص ٤٢٤ إلى ٤٣٥ .

(٤) طبقات المفسرين للدواودي ١٤٤ / ٢ .

وقال عنه صاحب « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » : (محمد بن سليمان بن الحسن جمال الدين أبو عبد الله المفسر المعروف بابن النقيب البلخي ثم المقدسي . مولده بالقدس سنة ٦١١ . وكان زاهداً عالماً فقيهاً ، له مشاركة تامة في العلوم ، وقدم القاهرة . ودرس بها ثم عاد إلى القدس وتوفي به سنة ثمان وستين وستائة . جمع تفسيراً في ثمانين مجلداً لم يسبق إليه ^(١) .

وتفسيره هذا يعرف باسم « التحرير والتحجير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير » هكذا ورد عند الحاج خليفة في كشف الظنون ^(٢) وقال عنه : « وهو كبير في نيف وخمسين مجلداً . وقد اعتنى به ما لم يعتن بغيره . ذكره الشعراني وقال : ما طالعت أوسع منه ، وقد نقل صاحب الفوائد البهية عن مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي في كتابه الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل أنه في تسعة وتسعين مجلداً ^(٣) .

ووصفه ابن كثير في البداية والنهاية بأنه (مصنف حافل كبير جمع فيه خمسين مصنفاً من التفسير) ^(٤) .

وقال عنه الذهبي في معجم الشيوخ إنه في « تسعة وتسعين مجلداً استوعب القراءات وأسباب النزول والإعراب وأقوال المفسرين وأقوال الصوفية وحقائقهم والنسخة موجود منها ببيت المقدس » ^(٥) .

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأئمة الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ص ١٦٨ ، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٤ هـ . وقد وقع في ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد (٤٤٢/٥) أنه (حنبلي) وهو تصحيح والصواب أنه (حنفي) المذهب كما في باقي المراجع . وله ذكر أيضاً في (العبر في خبر من غير) للذهبي ٣/٣٩٢ - وحسن المحاضرة ١/٤٦٧ ، والدليل الشافي على المهمل الصافي لابن تغرى بردي ٢/٦٢٥ - ٦٢٦ .

(٢) كشف الظنون ١/٣٥٨ .

(٣) انظر الفوائد البهية ص ١٦٩ .

(٤) البداية والنهاية ١٤/٤ ، ٥ .

(٥) معجم الشيوخ المعجم الكبير للذهبي : ٢/١٩٢ تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة - السعودية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

وقال عنه أبو حيان الأندلسي « هو أكبر كتاب رأيناه صنف في علم التفسير . يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد إلا أنه كثير التكرير قليل التحرير ، مفرط الإسهاب »^(١) .

وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات « أنه في حوالي ثمانين مجلدة وجمع فيه خمسين مصنفًا ، وأن منه نسخة بجامع الحاكم في القاهرة في زمانه »^(٢) .

وبالتأمل في هذه النقول أرجح أن مذكره في كشف الظنون من أنه في نيف وخمسين مجلداً نوع من الوهم ، فهو النص الوحيد الذي ذكر هذا العدد ، وأظنه لم يره وهذا ما يوحى به ظاهر كلامه عنه في نقله عن الشعراني .

والصواب هو أنه في تسعة وتسعين مجلداً كما ذكر الذهبي وتؤيده عبارة صاحب البحر المحیط السابقة « يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد » والذهبي وأبو حيان كانا معاصرين لابن النقيب وتتلماًذا عليه ونصاً على ذلك ، ولا يبعد أن يكون نُسخ منه بعد ذلك نسخة أخرى هي التي وصفها البعض بأنها في ثمانين مجلداً .

وهذا التفسير توجد قطعة باقية منه بمكتبة الفاتح بتركيا من سورة المدثر حتى آخر القرآن الكريم . وعنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة^(٣) .

وبالخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية جزء آخر يشتمل على تفسير سورة الشعراء والثل والقصص . وكانت بعثة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة قد صورت نسخة منها^(٤) . وذكرت الدكتوراة الصفار في معجمها^(٥) أن منه قطعة بمكتبة الأوقاف العراقية ببغداد تحت رقم ٢٣١٦ - ٢٣١٧ مجاميع . ولم يشر بروكلمان أي إشارة إلى هذا الكتاب .

(١) البحر المحیط ١/ ٢١١ .

(٢) انظر الوافي بالوفيات لصالح الدين الصفدي : ٣ / ١٣٧ . دار النشر فرانزشتاين - فسادن ألمانيا - ١٩٧٤ هـ - ١٩٧٤ .

(٣) برقم (٧١) تفسير وعلوم القرآن . وقد طلبت تصوير جزء منها ، فتبين أن بها بعض التلف الذي يمنع من التصوير . ووعد القائمون على المعهد بإصلاحه .

(٤) عن ثبت المخطوطات التي صورتها بعثة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة إلى المغرب العربي في الفترة من ٦ / ٦ / ١٩٧٥ - ٩ / ٢٢ / ١٩٧٥ .

(٥) معجم الدراسات القرآنية للدكتوراة ابتسام الصفار : ٣٢٦ - ط الأولى - بغداد ١٩٨٤ .

من أمالي ابن ناصر الدين

جزء فيه :
جواب عن بيت شعر
ابن ناصر الدين (ت ٩٤٢ هـ) محدث الشام
ومؤرخها في النصف الأول من القرن التاسع
الهجري . ومن الطريف أن يجد له د. مصطفى
الحدرى مقالة نقدية يتحدث فيها عن جمال
الأسلوب والمعنى ، وأنواع الإبداع والمبالغة
والبديع .

« المجلة »

* من كلية الآداب بجامعة البعث . حمص - سورية .

كثير ما ترددت إلى مكتبة الحرم المكي الشريف عندما كنت مجاوراً في مكة المكرمة . وقد اطلعت على عدد من المخطوطات المحفوظة هناك ، ومنها أمالي ابن ناصر الدين ؛ كانت في مجلد ضخيم بخط عمر بن فهد المكي . وفيها مقالة نقدية حول بيت من الشعر مُدح به النبي الأعظم محمد ﷺ . وهي هذه التي أقدمها .

وابن ناصر الدين هو : محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن علي القيسي ، الدمشقي ، الحموي الأصل . كان محدث الديار الشامية ومؤرخها في النصف الأول من القرن التاسع للهجرة . ولد سنة ٧٧٧ هـ . وعاش الفترة التي عاث فيها تيمورلنك الأثيم وجيشه اللئيم فساداً في بلاد الشام ، فكان من العلماء الذين أبوا لشعلة العلم أن تنطفئ في تلك الليالي المدهمة .

ذكروا أنه حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره ، واستظهر عدداً من المتون التي كانت كتباً دراسية في ذلك العصر ، ثم أخذ الفقه الشافعي عن كبار علماء الشافعية ، وأصبح فقيهاً شافعيًا . وقد حُبب إليه علم الحديث فطلبه بنفسه في بلده وغيرها ، وكان عدد شيوخه أكثر من ستين .

وقد وُلِّي مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة ٨٣٧ هـ . وهي المدرسة التي بناها الملك الأشرف الأيوبي لأحد المشايخ في سفح جبل قاسيون ، وكان الشيخ عبد الرحمن ابن محمد (أبي عمر) ابن أحمد بن قدامة المقدسي أول المدرسين فيها ، ومن هنا دُعيت مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر .

وفي سنة ٩٤٢ هـ أنعم الله على ابن ناصر الدين بالشهادة ؛ وذلك أنه خرج وجماعةً لقسم قرية من قرى دمشق ، فسَمَّهم أهلها . وقد كان رحمه الله مثبِّتاً في روايته ،

متفتنًا في معرفته ، حسن الخط ، دِينًا ، حسن السيرة دَمِيًّا كثير الحياء شديد الاحتمال ، صوفيًا مع محبته لابن تيمية . وقد أَلَّفَ في الحديث ومصطلحه والسيرة والرجال والفقه واللغة وغير ذلك .

ومن الطريف أن توجد له مقالة نقدية في المخطوط الذي أشرت إليه . وفي ذلك المخطوط معظم مؤلفاته التي كان حجم الواحد منها غير كبير .

وتقع هذه المقالة ما بين الورقتين ٤١ و ٤٦ وقد كُتِبَ على وجه الورقة الأولى منها : « جزء فيه جواب سؤال من ماردین .

عن بيت شعر مدح به النبي ﷺ .

سُئِلَ عنه .

وذلك في أواخر سنة سبع عشرة وثمان مئة .

الحبيب محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد عفا الله عنهم بكرمه » .

حققت هذه المقالة بنسخها من خط ابن فهد المكي الذي قال في آخرها : « هذا لفظه بحروفه ، ومن خطه - أبقاءه الله تعالى - نقلت في حَزَّة (أي حين ووقت) واجِدَةٍ من يوم الأربعاء مستهلَّ صفر - تحتم بالخير والظفر - سنة سبع وثلاثين وثمان مئة مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر (كذا !) بسفح جبل قاسيون . قال ذلك وكتبه محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمي المكي لَطَفَ الله به . والحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . حسينا الله ونعم الوكيل » .

وبجوار خط ابن فهد عبارة هذا نصها : « الحمد لله . بُلِّغ - كان - أعزّه الله تعالى سماعًا من لفظي . محمد بن أبي بكر » اه . وهذه عبارة يوثق فيها ابن ناصر الدين ما كتبه ابن فهد وسمعه .

وابن فهد أخذُ المشتغلين بالحديث والتاريخ ، وقد ذكرته في مقدمة كتاب السلاح والعدة على أنه أحد مؤرخي مدينة جُدَّة . ذُكِرَ أنه أقام في الشام وأخذ عن ابن ناصر الدين ، وهو من وفیات سنة ٨٨٥ هـ ، أي بعد شيخه بثلاث وأربعين سنة .

وابن ناصر الدين في هذه المقالة يرد على من انتقد هذا البيت في مدح النبي ﷺ :

فلا عَيْبٌ بِسَبِّ نَدَاكَ لَكِنْ تُقَصِّرُ عِنْدَ مَجْرَاهُ السُّيُولُ

ويبدو أن هذا الانتقاد قد أثار مشكلة في مدينة ماردين ، فأرسل قوم منها إلى ابن ناصر الدين يسألونه عن رأيه في ذلك الانتقاد ، لأن المنتقد قد كفر قائل هذا البيت ، فأزعج ذلك ابن ناصر الدين ونسب المنتقد إلى التشغيب والأذى ، وبين خلو البيت من المآخذ الدينية ، كما يبين رأيه في جمالية أسلوبه ومعناه ، وكان ذلك بلغة عصرهم الذي حرص فيه الأدباء على السجع وما إليه من ضروب البديع .

وقد حققت هذه المقالة ، فخرّجت الآيات ، وفسرت ما كان غامضاً من الكلم والاصطلاحات ، وأشرت إلى الأبحر العروضية التي تنتمي إليها الأبيات التي أوردتها المؤلف رحمه الله .

وأنا بنشر هذه المقالة عن المخطوط الذي ذكرت إنما أشير إلى أهميته ، وضرورة أن يشتغل أحد المنصرقين إلى الحديث وعلومه به ، فإنه أحد الكنوز التي ورثناها عن أجدادنا العظماء .

[٤٢] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم .
 الحمد لله مظهر الحق ورافعه ، ومزهق الباطل وواضعه . وصلواته الزاكية النامية
 الجمّة^(١) على سيّدنا محمد عبده ورسوله نبي الرحمة ، وعلى آله وصحبه الأكرمين ،
 وتابعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلامه .
 أما بعد : فإن بعض من أظهر لسانه ، ماطوته طويته ، وأجنّه^(٢) جنّائه . خطأ
 قائل ذاك البيت المُعلّم^(٣) ، من القصيدة المُلتزم فيها مالا يلزم^(٤) ، التي مُدح بها
 سيّدنا رسول الله ﷺ . والبيت هو : [من الوافر]
 فلا عيب بسبب نَدَاك ، لكنْ تقصّر عند مجراه السيول
 وبلغني أن الذي خطأ قائل هذا ، بالغ في التشغيب^(٥) وأذى . حتى من المبالغة
 في جهله ، رماه بالكفر في قوله ، أترأه ماسمع الحديث النبوي الصحيح في نقله « ومن
 رمى مؤمناً بكُفر فهو كقتله^(٦) » .

(١) الجمّة : الكثيرة .

(٢) أجنّه : ستره .

(٣) البيت المُعلّم ، أي المشهور المعروف .

(٤) سماه البديعيون الالتزام ، وسموه أيضاً لزوم مالا يلزم . وبعضهم سماه الإعنات والتضييق . وحده أن يلتزم
 الناظم أو النائر بحرف قبل حرف الروي أو أكثر منه على قدر قوته ، مع عدم التكلف . وقد جاء منه في القرآن
 العظيم قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن
 لك لأجرًا غير ممنون ﴾ ومن النظم قول المعري الذي أكثر منه :

لا تطلبنّ بآلة لك حيلة قلّم البليغ بغير حظ مغزل
 سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل

انظر : حلية البديع للشيخ قاسم البكره ج١ ص ٢٦٤ .

(٥) التشغيب : من الشغب - بتسكين الغين المعجمة - وهو تهيج الشر .

(٦) ذكر في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث أنه في البخاري - إيمان ٧ ولم أجده .

ولو تدبّر^(١) بقلب صايف ، وتأمل بعين الإنصاف ، وكشف عين بصيرة الاعتراف ، لاتضح له معنى البيت الذي ردّه ، ولما بالغ في الطعن ، ولاتجاوز حدّه ؛ [من الطويل]

تكلّم في بيت شريف بمدحه ألم يدري أنّ الصمت سترٌ جاهل ؟
ألم يك ذا تقوى يراقب خشيةً ويخشى رقيباً حاضراً قول قائل ؟

ولقد أجاد أبو الطيب المتنبي في مقاله الصادق على هذا الرادّ وأمثاله : [من الوافر]
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم !
فمعنى البيت على من ردّه التبس ، ولم يعلم أنّه في البديع من نوع الإبداع^(٢) مُقتبس .

[٤٣] والإبداع على أنواع :

منها : يدل المدح بصورة الذم في السماع ، كقولهم في الألفاظ المُحرّرة : « قاتله الله ما أشعره ! » .

ومنه نوع بالاستثناء لقبحه ، وفي قسم البذل أدخلوه ، كقوله تعالى : ﴿ وما نقيموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾^(٣) . وأنشدوا في معناه : [من الطويل]
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب^(٤)

و « لكن » هي أحد حروف العطف في الانتضاح ، وهي للاستدراك المسمى استثناء في الاصطلاح . قال الله عز وجل : ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحدي من رجالكم

(١) تدبر : تفكر .

(٢) الإبداع : هو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد بعدة أنواع من البديع ، أو في القرينة الواحدة من النثر . وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بإبداع . انظر حلية البديع للبكره جي ٢٤٢ .

(٣) البروج ٨ .

(٤) بيت مشهور من شعر النابغة الذبياني في مدح الغساسنة . انظر ديوانه ٥١ .

ولكن رسول الله ﷺ الآية (١) ... والاستثناء في البيت من هذا القسم نفسه ، وهو من باب استثناء الشيء من غير جنسه . وعليه قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ (٢) .

وقال عمرو بن الأيهم التغلبي (٣) خليفة الأخطل ديئاً وغيره ؛ من قصيدة هجا فيها قيساً : [من الخفيف]

ليس بيني وبين قيس عتابٌ غير طعن الكلى وضرب الرقاب
وأشدد أبو الفرج بن الجوزي - رحمه الله - في التبصرة (٤) ، في مدح عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : [من الطويل]

ولا عيب في أخلاقه غير أنها فرائد در مالها من نظائر
ومن هذا القبيل ، استدراك الناظم في بيته الجميل لأنه نفى العيب عن السبب ، واستثنى شيئاً من غير جنس العيب . فجعل مجرى سبب المدوح عليه أفضل الصلاة والسلام - تقصّر عنه السيول مع الكثرة في المجرى والانسجام .
هذا إذا فسر العيب بمعناه المألوف .

وله معنى آخر في اللغة معروف ؛ قولهم : عاب الماء ؛ إذا نقب الشطّ ، فخرج مجاوزه . حكاها الخليل في العين ، وتبعه ابن سيده في المحكم وماجوزه ، فيكون على هذا معنى البيت المراد : إن عطاءه - ﷺ - بغير إفساد ، ليس كالماء إذا عاب ، فخرج مجاوزة من غير باب .

ولما كان الغالب أن يفهم من هذا تحجير (٥) العطاء مع قلته ، استدرك بما يشعر بخلافه من جودة العطاء [٤٤] وكثرته ، فقال :

(١) الأحزاب ٤٠ .

(٢) النساء ١٥٦ .

(٣) عمرو بن الأيهم التغلبي شاعر من نصاري تغلب توفي نحو سنة ١٠٠ للهجرة . قيل : اسمه عمير وهو من سكان الجزيرة الفراتية . عاصر الأخطل ومات الأخطل قبله .

(٤) كتاب لابن الجوزي رأيت مخطوطاً في مجلد كبير .

(٥) تحجير العطاء : منعه .

..... لكن تقصّر عند مجراه السيول

ولعمري لقد بُني هذا البيت على أركانٍ متينة ، وأسس على معانٍ رصينة ، تشهد لبانيه بالبيان ، وبديع التنويع في المعاني الحسان .

ومما اشتمل عليه البيت من المعاني السابغة ، نوعٌ من أنواع المبالغة . وهو أتمُّ أنواعها وأعلاه ، بأن يكون الكلام مُبالغاً في فحواه ، مشتملاً على أعلى عبارات معناه . كقول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَذْهُلُ كُلُّ مِرْضَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾^(١) . إنما خُصَّتِ المِرْضَةُ دون لفظ الوالدة استظهاراً ، لأن المِرْضَةَ لاتفارق الرضيع ليلاً ولا نهاراً . وبحسب القرب يكون الميل والحب ، وذلك بخلاف لفظ الوالدة وعاداتها الواردة .

ووجه هذا النوع المشهور ؛ من البيت المذكور ، قوله « نذاك » لأن الندى هو الكرم . ولو قال بَدَلَه ونظم :

فلا عيبٌ بسببٍ يديك.....

لاستقام النظام ، وحسن الثام الكلام ، مع أن خروج السبب من يد الأشراف أبلغ في المِبرَّة^(٢) والإسعاف^(٣) ، لكنه أُضْرِبَ عن ذاك ، وأتى بلفظة « نذاك » لأن الندى في أحد معانيه الجُمْل^(٤) ، هو ما أصابك من بَلَل . وقيل : هو ما يسقط آخر الليل من السماء . والمراد به اليسير من الماء ، فأتى بلفظ نذاك المقبول ، ليكون أبلغ مع ذكر السيول . وعلى هذا يكون معنى البيت في حسن الانتظام :

إنَّ أقلَّ شيءٍ من عطاءِ نبيِّنا - عليه أفضل الصلاة والسلام - يعلو على ما كثروا عظم من عطايا الناس ، بمنزلة السيول مع الندى في القياس .

(١) الحج ٢ .

(٢) المبرة كالبر ، ضد العقوق .

(٣) إسعاف المرء : مساعدته وقضاء حاجته .

(٤) معانيه الجُمْل : معانيه المتعددة .

وبهذا التقرير ظهر تَمَكُّنُ لفظة « نذاك » في البيت من التحرير . وأنها - دون غيرها من الألفاظ الحسنى - أبلغُ قوةً وأرفعُ معنى .

وفيه من أنواع البديع ، وبدائع التنويع ، غيرَ ماذكرنا من المعاني والبيان [أشياء] ، منها : المطابقة^(١) بذكر التقصير والجريان .

ومنها المناسبة^(٢) بين اللفظ ومعناه بذكر الندى والسيل ومجراه .

ومنها : الانسجام المُتَنَزِّمُ لحسن سبك البيت وسهولة الكَلِم ، وخِفَّةِ النطق بها كتحدُّرِ الماء المنسجِم .

ومنها : نوع من المبالغة غيرُ ماذكرنا من الشرح ، فلو اقتصرنا على نفي العيب عن السيب لكانَ حَسَنًا [٤٥] في المدح ، فما اقتصر على ذلك بل بالغ وفاخر وسلك في المدح مَهْيَعًا^(٣) آخر .

ومنها : جمع المُؤَثِّلِ والمُخْتَلِفِ في البيان . فالندى والسيل مؤْتَلِفان والتقصير والجريان مُخْتَلِفان . وكذلك الوحي - والإشارة من بدائعه - وهو : التعبير عن الشيء بأحد توابعه . ويكون مع الوجازة اليسيرة ، مشيرًا إلى معانٍ كثيرة . ولا يخفى ما في البيت من ذاك المُشارِ إليه بقوله « نذاك » .

ومنها : المُمَاثِلَة ، وهو أن يريد المتكلم معنى مرفوعًا . فيأتي بلفظ يكون معنى آخر موضوعًا يُنبئُ بذلك عن مراده ومعناه . كما في لفظ « نذاك » مع ذكر السيل ومجراه .

(١) المطابقة : يقال لها الطباق أيضا . وهي الجمع بين متضادين أو متقابلين في الجملة سواء أكان التقابل حقيقياً أم اعتبارياً ، وسواء أكان بالسلب أم بالإيجاب . انظر حلية البديع للبكره جي ٧٤ .

(٢) المناسبة على ضربين ، منها المعنوية وهي أن يختم الكلام بما يناسب المعنى الذي بدأ به القول ، كقول الله سبحانه وتعالى في القرآن العزيز : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، فقد بدأ الآية ذات الموعظة البصرية بقوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ وختمها بقوله : ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

أما المناسبة اللفظية فهي دون المعنوية وهي أن يأتي المتكلم بألفاظ من جو واحد مع الحرص على التوازن اللفظي . وربما حرص على التوازن اللفظي والتقفية . انظر حلية البديع ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) المَهْيَعُ : الطريق البين .

ولولا خوفُ السّامة والملاّلة ، لشيّدنا البيت بتطويل الدلالة . ومن حَقَّق نظره
في البيت وتدقيقه . ودقق فكره في بناء بيانه وتحقيقه . وَلَمَحَ بعين الإنصاف
مُلَحَه^(١) ، حمد ناظمه على ذلك ومدحه ، وقال : [من المجتث]

أيا إمامًا تسامى له معالٍ وفخرُ
المادحونَ نجومٌ وفيهمُ أنتَ بدرُ
نظمتَ مدحًا بديعًا بينَ المدائحِ دُرُ
بالغتَ فيه حقيقًا إنَ البلاغةَ سحرُ
وقد أتاك نوالٌ بذا المديحِ وذِكْرُ
طولَ الزمانِ ثناءً وفي القيامة أجْرُ

قال ذلك وكتب العبد محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد - عفا الله عنهم بكرمه -
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

(١) جمع ملحّة : ما يُتملّح به ويستطاب من الحديث .

ثمة مفارقة بشأن الشعر التغلبي تستدعي وقفة
متأنية .

التغلبة من سكان الأطراف .. أطراف
الجزيرة . وهذا الموقع الجغرافي جعل عربيتهم محل
طعن .

الشعر التغلبي وعلماء العربية*

وعلى الرغم من ذلك حظيت أشعارهم باحتفاء
المتقدمين من علماء العربية ! .
أيمن محمد ميدان يتناول هذه النقطة بالتحليل ،
كاشفاً مواقف اللغويين والنحاة والنقاد من هذا
الشعر ، ومحددًا مواقف كل منهم ، ودوافعه ،
وراصدًا نماذج من مؤلفاتهم .

أيمن محمد ميدان**

« المجلة »

* هذا البحث جزء من رسالة علمية حصل الباحث بها على درجة الماجستير من كلية دار العلوم .
جامعة القاهرة بتقدير ممتاز ، وكان عنوانها « شعر تغلب في الجاهلية : جمع وتحقيق ودراسة » .
** مدرس مساعد في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة . صدر له محققاً ديوان عمرو بن كلثوم ، وكتاب
البحوش للأصمعي .

إن نظرة واعية لما أثر عن علماء العربية من شذرات نقدية متناثرة هنا وهناك بين حنايا صحائف تراثنا الفكري الثرلثشي بأن مواقفهم تعددت وآراءهم تباينت حيال الشعر التغلبي ، وهو تباين - في جوهره - لا يعكس ضعفاً في شاعريتهم ، أو ندرة في نتاجهم ، بل يعكس فلسفة كل فريق في تعامله مع الشعر الجاهلي بصفة عامة ، والشعر التغلبي بصفة خاصة ..

أولاً : موقف اللغويين :

ثمة حظر فرض حول الشعر التغلبي ، فجاء الاعتماد عليه ثانوياً ؛ وهذا أمر طبيعي ونتيجة منطقية لمنهج صارم التزمه علماء العربية في عصور التدوين ، فقد حصروا ميدان الاستشهاد في إطار جغرافي ضيق مقيد بإطار زمني محدد ، يتمثل في وسط جزيرة العرب حيث يوجد « ... الذين عنهم نُقِلَت اللغة العربية ، وبهم اقتدي ، وعندهم أُخِذَ اللسان العربي من قبائل العرب ... »^(١) وأهملوا القبائل الأخرى ، ومن بينها قبيلة تغلب « لأنهم كانوا مجاورين اليونان ... »^(٢) .

فإذا كان هذا موقف اللغويين ، وإذا كانت مصادر التاريخ تصرخ في وجوهنا بعلاقات تغلب بالأمم الأجنبية المجاورة ، وإذا كانت كتب الجغرافيا تشير إلى منطقة ما بين النهرين كم منطقة متطرفة كانت تقطنها آنذاك . فم نبرر - إذا - احتفاء مؤلفات المتقدمين من اللغويين وغيرهم ؟؟ .

نقول : لا يعدم الباحث - حقاً - أن يطالع نماذج شعرية للشعراء التغالبة استشهد بها ، فما من كتاب في اللغة أو النحو إلا انطوى على بيت أو أكثر من معلقة عمرو ابن كلثوم ، وهذا أمر لا يطعن فيما سبق أن قررناه ، بل يدعمه ويقويه ، فقصيدة عمرو احتلت مكانة راقية أهلتها لأن تضاف إلى المنجز الشعري العربي الذي يسمو فوق قيود الحظر وحيثيات المنع .

وماسواها من نتاج شعري لعمرو بن كلثوم ذاته والشعراء التغالبة تعرض لعمليات تصفية دقيقة وإحجام قاس ، ولعل « مرد ذلك إلى الاصطفائية اللغوية أو إلى أسباب

(١) المزهر ٢٣ / ١ .

(٢) المصدر السابق ٢٣ / ١ .

دينية « على حد تعبير بلاشير^(١) . ومن ثمَّ ، فإن القول بأن أشعار تغلب « كانت على قدم المساواة مع أشعار القبائل التي توفر لها نقاء اللغة كما تصور الرواة ... »^(٢) قول تعوزه الدقة وينقصه الدليل لأن إحصائية بسيطة لعدد الأبيات المستشهد بها لشاعر واحد ينتمي لإحدى قبائل وسط الجزيرة في مصدر لغوي واحد لتفوق عدد نماذج الشعراء التغالبة المستشهد بها في المصدر ذاته .

ولو نظرنا إلى معجم « مجمل اللغة » وأجرينا مقارنة كميّة للأبيات المستشهد بها لشاعر كالشماخ بن ضرار والشعراء التغالبة لوجدنا أنه ورد للشماخ واحد وعشرون بيتاً مقابل ثلاثة عشر بيتاً هي مجموع الأبيات المستشهد بها للشعراء التغالبة جميعاً : لمهلهل ستة أبيات ، ولالأخنس بن شهاب بيتان ، ولعمرو بن كلثوم أربعة أبيات ، ولشبيب بن جُعل بيت واحد .

وإن الوقفة المتأنية أمام النماذج الشعرية التغلبية المستشهد بها لتوحي للباحث بأن لغويي العربية أعوزتهم الحاجة إلى مثل هذه النماذج فأوردوها مضطرين ، لأنها تنطوي على مفردات لم ترد في نتاج شعراء وسط الجزيرة ، أو لأنها مرتبطة بدلالات بيئية لم تعدها بيئة وسط الجزيرة ، من ذلك لفظة « عمارة » التي وردت في بيت شعر للأخنس ابن شهاب التغلبي يقول فيه :

لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمَارَةٌ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجِئُونَ وَجَانِبٌ^(٣)

فقد وجدنا أن المعاجم اللغوية احتفت بهذا البيت احتفاء منقطع النظر ، ورد في : المخصص ١٢ / ٥٨ ، ومجمل اللغة ٣ / ٦٦٠ ولسان العرب (عرض) و (عمر) ، والصحاح (عمر) ، ووردت له سبع روايات^(٤) .

(١) تاريخ الأدب العربي (بلاشير) ٢٨٢ .

(٢) شرح معلقة عمرو بن كلثوم لابن كيسان ٤ .

(٣) المفضليات ٢٠٤ .

(٤) انظر تخريج البيت في « شعر الأخنس » .

أما الألفاظ التي أوردتها لغويو العربية لارتباطها بظروف بيئية خاصة لم تعهدها بيئة وسط الجزيرة ، فمنها كلمة « أتاوة » و « مكس » اللتان وردتا في بيت لجابر ابن حني التغلبي يقول فيه :

وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ أَتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسٌ دِرْهَمٌ^(١)
والأَتَاوَةُ : الحَرَج ، وقيل : إنها الرشوة ، وقيل كل ما أُخذ بِكُرْه . وَالْمَكْسُ :
دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق الجاهلية . وقد علّق الجاحظ على
البيت بقوله : « إن ملوك العرب كانت تأخذ من التجار في البر والبحر وفي أسواقهم
المكس ، وهي ضريبة كانت تؤخذ منهم ، وكانوا يظلمونهم في ذلك . ولذلك قال
التغلبي وهو يشكو ذلك في الجاهلية ويتوعد « ... البيت^(٢) .

ثانيًا : موقف النحاة

إن التأثير والتأثر بين لغتين أو أكثر إنما يكون في كثير من صورته تأثيرا على مستوى
اللفظة المفردة ، لا على مستوى التركيب . ولما كان اهتمام النحاة العرب منصبا على
التركيب فإنهم لم يخضعوا الشعر التغلبي للحظر كما أخضعه اللغويون ، وجاء الاعتماد عليه
على قدم المساواة مع شعر القبائل التي توفر لها نقاء اللغة .

فقد اتخذ سيبويه - الأب الروحي لنحاة العربية - من الشعر التغلبي تسعة شواهد
لكل من : المهلهل^(٣) وجابر بن حُنَيّ التغلبي^(٤) وعمرو بن كلثوم^(٥) .

(١) المفضليات ٢١١ .

(٢) الحيوان ٦ / ١٥٦ .

(٣) الكتاب ١ / ٣١٨ ، ٣٣٥ ، ٢٢٥ ، ١١٥ ، ١٨٤ ، ٣٢٤ ، ٢ / ٣٨ .

(٤) المصدر السابق ١ / ٤٥ .

(٥) المصدر السابق ١ / ٧١ ، ١١٣ ، ٢٠١ .

و لم يقف الاهتمام بالشعر التغلبي على الساحة النحوية عند سيبويه ، بل امتد إلى عصور متأخرة ، وسنضرب لذلك أكثر من نموذج كي تتضح جوانب الصورة .
فقد استشهد بيت مهلهل الذي يقول فيه :

مَا أُرْجِي بِالْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامِي قَدْ أَرَاهُمْ سُقُوءًا بِكَأْسِ خَلَاقِ

في « الكتاب ١ / ١١٥ ، وفي المقتضب ٣ / ٣٧٣ ، وفي أمالي الشجري ٢ / ١١٤ ، وفي شرح شواهد شروح الألفية للعيني ٤ / ٢١٢ ، وفي همع الهوامع ٢ / ٨٨ ، وفي الدرر اللوامع ٢ / ١١٥ »^(١) .

واستشهد بقول شبيب بن جعل :

حَنْتُ نَوَارَ وَلَاتَ هَنَا حَنْتَ وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجْنَتْ

في كل من : شرح المفصل ٣ / ١٥ ، ١٧ ، وفي خزانة الأدب ٢ / ١٥٦ ، وفي مغني اللبيب ٥٩٢ (٣١١) ، وفي شرح شواهد شروح الألفية ١ / ٤١٨ ، وفي همع الهوامع ١ / ٧٨ ، وفي الدرر اللوامع ١ / ٢٥ ، ٩٩ ، وفي شرح الأشموني ١١ / ١٤٥ ، ٢٥٦ .

مما سبق يتبين لنا أن الاستشهاد بالشعر التغلبي في ميدان النحو لم يقف عند جيل الرواد ، بل امتد إلى نخبة العصور اللاحقة والمتأخرين منهم .

و لم يقف الأمر بالنحاة عند حد الاستعانة بالشواهد الشعرية التغلبية ، بل كان من بين الشواهد ما شهد خلافاً حوله بين نخاة الكوفة ونخاة البصرة ، من مثل ذلك قول الأحنس ابن شهاب في مفضليته^(٢) :

لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمَارَةٌ عُرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجِئُونَ وَجَانِبُ

(١) المفضليات ٢٠٤ .

(٢) شرح المفضليات للبريزي ٤٩٩ .

علق التبريزي على البيت شارحاً إياه بقوله : « العمارة : الحي العظيم يطبق الانفراد وكذلك العميرة . والبصريون روهه بكسر العين وجَرَّ عمارة على أن تتبع لكل أناس ... والكوفيون روهه بفتح العين ورفع عمارة . والأصح الأول ، ويكون عروض مبتدأ و « لكل أناس » في موضع خبر »^(١) .

ثالثاً : موقف النقاد

عرض بعض نقاد العربية القدامى لبعض النماذج الشعرية التغلبية ، وتناولوها بالدرس والبحث والموازنة وجاءت مواقفهم حيال الشعر التغلبي ، على النحو التالي :

(أ) أشار بعضهم إلى المعاني المبتكرة التي سبقَ إليها الشعراء التغالبة ، واستحوذت على إعجاب شعراء العربية اللاحقين لهم ، فاقتبسوها منهم وضمَّنوها أشعارهم .

(ب) وعُني نفر آخر منهم بتبيان مواطن الحسن ، دالاً عليها ، مسجلاً إعجابه بها .

(ج) على أن ثمة طائفة أخرى سلطت الضوء على مافي بعض أشعارهم من سقطات أو هنات ، وراحت تكشف النقاب عنها ، مبينة الوجه الصحيح تارة ، وملتمسة العذر للشاعر تارة أخرى .

(أ)

- ذكر المرزباني بيتاً للقحيف العقيلي ، قاله يوم الفلج :

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حُجْرٍ صَبَاحَ الْبَيْضِ يَقْرَعُهَا النَّصَالُ^(١)

وعلق بقوله : « وأغار فيه على قول مهلهل بن ربيعة :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حُجْرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ^(٢)

(١) معجم الشعراء ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق ٣٣١ .

- أورد ابن نباتة المصري هذه الأبيات لمهلل :

بَكَرْهُ قُلُوبَنَا يَا آلَ بَكْرِ نُعَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النَّصَالِ
لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ جُونٌ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصَّقَالِ
وَبَيْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا بُيَالِي

وعلق عليها بقوله: « وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين، وهذه الأبيات هي أصل ما اعتمدت عليه الشعراء في هذا المعنى ، وأميرهم البحترى في قصيدته العينية ... »^(١) .

وأضاف الخالديان تعليقا على الأبيات الثلاثة : « أبيات المهلهل هي الأصل في هذا المعنى »^(٢) . ومثله قول الحصين بن الحمام المري :

وَتَفْلِقُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
وأخذه بعضهم فقال :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابِي سَهْمِي
فَلَيْتَ عَفْوٌ لَأَعْفُونَ جَلًّا وَلَيْتَ قَتَلْتُ لَأَوْهِنَ عَظْمِي^(٣)

وأخذه مالك بن مطفوق السعدي فقال :

قَتَلْنَا بَنِي الْأَعْمَامِ يَوْمَ أُورَةِ وَعَزَّ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ كَذَالِكََا
هُمْ أَخْرَجُونَا يَوْمَ ذَاكَ وَجَرَدُوا عَلَيْنَا سَيُوفَا لَمْ يَكُنْ بَوَاتِكَا

وأخذه حرب بن مسعر فقال :

وَلَمَّا دَعَانِي لَمْ أَجِبْهُ لِأَنِّي خَشِيتُ عَلَيْهِ وَقْعَةً مِنْ مُصَمِّمِ
فَلَمَّا أَعَادَ الصَّوْتِ لَمْ أَكُ عَاجِزَا وَلَا وَكِيلَا مِنْ كُلِّ دَهْيَاءِ صَيْلِمِ

(١) سرح العيون ٩٩ .

(٢) الأشباه والنظائر ٤ / ١ . والمعنى هو « قتل الأقارب بكره القلوب » .

(٣) المصدر السابق ٤ / ١ .

عَظُفْتُ عَلَيْهِ الْمُهَرَ عَظْفَةً مُخْرِجَ صُؤُولٍ وَمَنْ لَا يَغْشَمُ النَّاسَ يُغْشَمُ
وَأَوْجَرْتُهُ لَذْنَ الْكُؤُوبِ مُقَوِّمًا فَخَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
وَعَادَرْتُهُ وَالْدَّمَغَ يَجْرِي لِقَتْلِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَجْرِي عَلَى النَّحْرِ بِالدَّمِ
فأخذ هذا المعنى ديك الجن ، فقال في جارية كان يحبها فقتلها :

قَمَرٌ أَنَا اسْتَخَرَجْتُهُ مِنْ دُجْنِهِ لَيْلِيَّتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ خَدْرِهِ
وَقَتْلُهُ وَلَهُ عَلَيَّ كَرَامَةٌ مِلءُ الْحَشَا وَلَهُ الْفُؤَادُ بِأَسْرِهِ
عَهْدِي بِهِ مَيْتًا كَأَجْسَنِ نَائِمٍ وَالْحُزْنُ يَنْحَرُّ عَبْرَتِي فِي نَحْرِهِ

وإلى المعنى الأول نظر أبو تمام فقال :

قَدِ انْتَنَى بِالْمَنَايَا فِي أَسْتَبَةِ وَقَدْ أَقَامَ خِيَارَكُمْ عَلَى اللَّقَمِ
جَذْلَانِ مِنْ ظَفَرِ حَرَّانٍ إِنْ رَجَعْتُ أَظْفَارُهُ مِنْكُمْ مَخْضُوبَةً بِدَمِ

ومن هذا المعنى أخذ البحري قوله :

إِذَا احْتَرَبْتُ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

بيت البحري أطرف وأبدع من بيت المهلهل ، إلا أنه أرشده إلى المعنى ودل عليه^(١) .

— وأورد الخالديان بيت مهلهل الذي يقول فيه :

انْبَضُّوا مَعِجَسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرَقْنَا كَمَا يُوعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا

وأجريا مقارنة بينه وبين بيتين لشاعر خزرجي يقول فيهما :

وَطَاعَتَا وَلِلنَّبَلِ هَدِيرٌ يَصْدَعُ الْقَلْبَا
فَلَمَّا طَاعَنَ الْقَوْمُ تَرَكْنَا فِيهِمُ الضَّرْبَا

(١) الأشباه والنظائر ١/ ٤ - ٦ .

وبيت ثالث لزهير يقول فيه :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا أطعنوا ضارب ، حتى إذا ما ضاربوا اعتنفا
وعلقاً بعد الموازنة بقولهما : « بيت المهلهل وإن كان سابقاً للمعنى ، فهو دون
بيت زهير ودون بيت الأنصاري ... »^(١) .

- قال أبو جعفر بن النحاس : يقال إن قوله - أي مهلهل - « كأنا غدوة ... »
أول تناصف سمع في الشعر ... »^(٢) .

قال ابن الأنباري وهو يترجم للأخنس بن شهاب التغلبي : « هو أول العرب ،
وصل قصر السيوف بالخطي^(٣) ، ثم ذكر قول الأخنس :

وإن قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين نضارب
وأضاف ابن الأنباري : ومنه استرق كعب بن مالك الأنصاري صلة السيوف
فقال :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدما ونلحقها إذا لم تلحق^(٤)
وأورد البغدادي حديث ابن الأنباري ، وأضاف قائلاً^(٥) : « وهذا هو الصحيح
لأنه قاله قبل أن يُخلَق هؤلاء بدهر ... ومن تبع الأخنس بن شهاب في المعنى حناك
ابن سنة العبسى الجاهلي - وهي بكسر الحاء المهملة وتخفيف النون وآخره كاف .
وسنة بفتح السين المهملة وتشديد النون قال :

(١) الأشباه والنظائر ٤١٠ .

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٩٣ / ٣ ، ورواية البيت :

كأننا غدوة وبني أينا بجنب غنزة ربحا مدير

(٣) شرح المفضليات لابن الأنباري ٤١٠ .

(٤) المصدر السابق ٤١٠ .

(٥) خزانة الأدب ٧ / ٣٢ - ٣٣ .

أُنِّي جَذِيمَةً نَحْنُ أَهْلُ لُؤَائِكُمْ وَأَقْلُكُمُ يَوْمَ الطَّعَانِ جَبَانًا
كَانَتْ لَنَا كَرُمُ الْمَوَاطِنِ عَادَةً نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا فَقَدْنَا خُطَانًا

ومنهم أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ، قال :

وَالسَّيْفُ إِنْ قَصَرَهُ صَانِعٌ طَوَّلَهُ يَوْمَ الْوَعَى بَاعِي

ومنهم ودّاك بن ثعلب المازني ، قال :

مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرُّوعِ خَطُوهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشُّفَرَتَيْنِ يَمَانِي

ومنهم نهشل بن حرّيّ ، قال :

فَتَى كَانَ لِلرَّمَحِ الْأَصَمِّ مُحَطَّمًا طِعَانًا وَلِلسَّيْفِ الْقَصِيرِ مُطِيلًا

ومنهم عبيد الله بن الحرّ الجعفيّ ، قال :

إِذَا أَخَذْتُ كَفِّي بِقَائِمٍ مُرْهِفٍ وَكَانَ قَصِيرًا عَادَ وَهُوَ طَوِيلُ

ومنهم نابغة بني الحارث بن كعب ، واسمه يزيد بن أبان ، قال :

وَإِذَا السُّيُوفُ قَصُرْنَ بَلَّغَهَا لَنَا حَتَّى تَتَنَاوَلَ مَا تُرِيدُ خُطَانًا

ومنهم عبد الرحمن بن سلاقة الحاجب ، قال :

وَيَوْمَ تَقْصُرُ الْأَجَالُ فِيهِ نُطَاوِلُهُ بِأَرْمَاحٍ قِصَارِ

وقال آخر :

تُطِيلُ السُّيُوفَ الْمُرْهَفَاتِ لَدَى الْوَعَى خُطَانًا إِذَا ارْتَدَّتْ خُطَى وَسُيُوفُ

وقد أخذه مسلم بن الوليد وزاد فيه وأجاد :

إِنْ قَصَرَ السَّيْفُ لَمْ يَمْشِ الْخَطَى عَدْدًا أَوْ عَرَدَ السَّيْفُ لَمْ يَهْمُ بِتَعْرِيدٍ ^(١)

(١) خزنة الأدب ٧/ ٣٢ - ٣٣ .

- وأشار الخالديان إلى معنى مبتكر للأخنس بن شهاب أيضاً تناوله شعراء العربية في العصور الأدبية اللاحقة ، حيث أوردا بيتاً للأخنس يقول فيه :

فَأَذَيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصَّبَا

وعلقا قائلين : « ومنه أخذ أبو نواس قوله :

وَرَدَدْتُ مَا كُنْتُ اسْتَعَرْتُ مِنْ الشَّبَابِ إِلَى الْمَعِيرِ
وَأُنْشَدَ بِشَارٍ فَقَالَ :

وهجرت الصبا وراجعك الحلم وردت عارية المستعير^(١)

- وأورد الخالديان أبياتاً لعمر بن كلثوم يقول فيها :

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنْوَحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَنْ نَضِجَ مِنَ الْقَتْلِ
قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا بِأَرْضِ بَرَّاحٍ ذِي أَرَاكِ وَذِي أَثَلِ
فَمَا أَبَقَتِ الْأَيَّامُ مِلْمَالٍ عِنْدَنَا سِوَى جِذْمٍ أَذْوَادٍ تُعِينُ عَلَى الْأَزْلِ
ثَلَاثَةُ أَثْلَافٍ فَأَتَمَّانُ حَيْلِنَا وَأَقْوَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ

وعلق الخالديان قائلين : « أما قوله : معاذ الإله أن تنوح نساؤنا ... » فقد تناوله بعض الشعراء بأسره ، فقال :

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنْوَحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ قُصِمَ الظَّهْرُ^(٢)
وأضاف الخالديان أيضاً إن هذا المعنى « أخذه أبو تمام ، فقال :

مُتَسَرِّبِلِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ^(٣)

(ب)

وإذا كان نقاد العربية القدامى قد عُنفوا بالمعاني المبتكرة التي ابتدعها الشعراء التغالبة ، وحاولوا - جاهدين - رصد من اقتبسها من شعراء العربية في العصر الجاهلي وما وليه من عصور ، فإنهم أيضاً أشاروا إلى بعض مواطن الحسن في الشعر التغلبي .

(١) الأشباه والنظائر ٢/ ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٩٠ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٩٠ .

قال أبو العلاء المعري في رسالة الغفران^(١) : « فيقول : يا عدي بن ربيعة أعزز علي بولوجك هذا الموج . لو لم آسف عليك إلا لأجل قصيدتك التي أولها :
أَلَيْتُنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تُحْورِي
لكانت جديرة أن تطيل الأسف عليك » .

- وأورد الخالديان بيتين لمهلhel يقول فيهما :
لَيْسَ مِثْلِي يُخْبِرُ الْقَوْمَ أَنَّهُمْ قُتِلُوا وَيَنْسَى الْقِتَالَ
لَمْ أَرْمِ حَوْمَةَ الْكَيْبَةِ حَتَّى حُدِيَ الْمُهْرُ مِنْ دِمَائِ نِعَالًا
وعلقا على هذين البيتين بقولهما : « ما نعرف في الاعتذار من الفرار أحسن من هذين البيتين لأنه قال : لم أبرح حتى قاتلت قتالا شديدا »^(٢) .

وأورد أبو هلال العسكري قول مهلهل :
يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا تَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَطُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ
وعلق عليه « والعرب تُعَيِّرُ بالبكاء »^(٣) .

وأورد الخالديان بعض أبيات مفضلية الأحنس بن شهاب التغلبي ، وعلقا عليها قائلين : « هذا الشعر نهاية في الفخر وذكر العدد ووصف الشرف »^(٤) .
- وقد علق الأصمعي على بيت لعمريرة بن جعل يقول فيه :

جَمَعْتُ رُدَيْنِيَا كَانَ سِنَاءُهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَسْتَعِنْ بِدُحَانٍ^(٥)
« هذا أشعر بيت في وصف السنان » .

(١) رسالة الغفران ٣٤٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ٢ / ٣٠٢ .

(٣) ديوان المعاني ١ / ١٧٣ .

(٤) الأشباه والنظائر ٢ / ٣٠٢ .

(٥) المفضليات ٢٥٩ ، هامش رقم ٩ .

- قال عمرو بن كلثوم :

فَمَا أَبَقَتِ الْأَيَّامُ مِلْمَالٍ عِنْدَنَا سِوَى جِذْمٍ أَذْوَادٍ تُعِينُ عَلَى الْأَزْلِ
ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا وَأَقْوَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ

وعلق الخالديان بقولهما : « فما أبقت الأيام ... البيت والذي يليه ، فقد جود فيما ذكر ، وأحسن القسمة في البيت الأخير ، إذ جعل جماعهم ثلاثة أقسام ، فقسم يصرف في أثمان الخيل إذ كانت حصونهم التي يلجأون إليها ، ويبلغون بها الغايات ، ويدركون بها الترات ، وقسم في أزوادهم وأقواتهم وما يَقْرُون ضيوفهم ، وقسم يسوقون في ديات من يقتلون ولا نعلم أحداً اتفق له في بيت واحد ولا أبيات كثيرة كما اتفق لهذا في صحة القسمة ، وشرح الأبيات التي تُصَرَّفُ فيها »^(١) .

(ج)

الموقف الثالث يتمثل في الإشارة إلى بعض الهنات من خلال المقارنة أو تباين وجهات النظر حول شاهد من الشواهد ، من مثل قول مهلهل بن ربيعة :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ أَهْلَ حُجْرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ^(٢)

قال أبو علي عن ابن كيسان عن الأخول : « أول كذب سمع في شعر هذا لأن حجرا قصبة اليمامة وبين الموضعين مسافة عظيمة فعبر عن الغلو بالكذب »^(٣) .

ويضيف صاحب تحرير التحبير « وعندي أن بيت مهلهل أقرب إلى الصدق والاستحسان من بيت امرئ القيس على شرطهم ، فإنهم شرطوا أن كل كلام تجاوز المتكلم فيه حد المبالغة إلى الإغراق والغلو ، واقتنر بما يقربه من الإمكان خرج من

(١) الأشباه والنظائر ١/ ٩١ .

(٢) سبط اللآلي ٢/ ٧٢٥ .

(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/ ١٩٣ .

حد الاستقباح إلى حد الاستحسان وقد تقدم في بيت مهلهل لولا ، وهى من الحروف التي زعموا أن الكلام باقترانه بها يبعد من العيب بته «^(١)» .

- وقال الخالديان : « قال شاعر من الحَزْرَج :

وَطَاعَنَّا وَلِلنَّبَلِ هَدِيرٌ يَصْدَعُ الْقَلْبَا
فَلَمَّا طَاعَنَ الْقَوْمُ تَرَكْنَا فِيهِمُ الضَّرْبَا

يقول : طاعنا بالرماح وأعداؤنا يرمون بالنبل ، فلما دنا بعضنا من بعض وأقصى أعداؤنا إلى الطعن بالرماح جالدها بهم بالسيوف . وهذا المعنى من المعاني الجياد فإن كان قائل هذا الشعر اخترعه وكان الأصل فيه فقد زاد زهير بقوله :

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطْعَنُوا ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

لأن زهيراً أتى بالمعنى الذي قدمنا ذكره ، وهو بيتان في بيت واحد ، وله أيضا فيه زيادة جيدة ، لأنه ذكر أنه يطعنهم وهم يرمون ثم يضرهم وهم يتطاعنون فإذا اضطربوا بالسيوف عانق ، ولم يتمم أحد هذا المعنى بمثل هذا إلا أن زهيراً أخذه بغير شك من المهلهل بن أبي ربيعة في قوله :

أَنْبَضُوا مَعْجَسَ الْقِسَى وَأَبْرَقَ (م) سَنَا كَمَا يُوعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا

وبيت المهلهل وإن كان سابقا للمعنى فهو دون بيت زهير ودون بيت الأنصاري ؛ لأنه ذكر أنهم أنبضوا القسي وأبرقنا ، فيجوز أن يكون أنبضوا قسمهم من بعد ، وأبرقنا من بعد ولم يَدَنَّ بعضهم من بعض ، وهذا غير مستوف للمعنى استيفاء جيداً ، وبيت الأنصاري وإن كان دون بيت زهير أيضا فهو أجود من بيت المهلهل الذي قدمنا ذكره من العيب الظاهر فيه «^(١)» .

من كل ماسبق يمكننا القول : إن الشعر التغلبي نال اهتمام علماء العربية قديما فانقضوا عليه لغويين ونحاة ونقادا يستشهدون به ، موضحين مواطن الحسن فيه ، دالين عليها ، مظهرين جوانب القصور ، مسوغين ذلك .

* * *

(١) تحرير التحبير ٢/ ٣٢٤ .

(٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٣٢ - ١٣٣ .

المصادر والمراجع

- (١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين (حماسة الخالدين) ، للخالدين أبي بكر ، محمد (٥٣٨٠هـ) وأبي عثمان سعيد (٥٣٩١هـ) ابني هاشم . تحقيق د. السيد محمد يوسف . مطبعة لجنة التأليف - القاهرة ١٩٥٨ م .
- (٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السَّيد البطليوسي - المطبعة الأدبية . بيروت ١٩٠١ م .
- (٣) تاريخ الأدب العربي ، لبلاشير ، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني - دمشق ١٩٥٦ م .
- (٤) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبغ المصري (٦٥٤هـ) . تحقيق د. حفني محمد شرف . مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٣هـ .
- (٥) الحيوان ، لأبي عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق وشرح عبد السلام هارون - مطبعة الباني الحلبي بمصر ١٩٤٣ م .
- (٦) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) - مطبعة بولاق ١٢٩٩هـ . بتحقيق وشرح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي . مصر ١٩٨١ م .
- (٧) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق صلاح الدين الهادي - دار المعارف . مصر ١٩٧٧ .
- (٨) ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق أيمن محمد ميدان - مطبوعات النادي الأدبي الثقافي بجدة - المملكة العربية السعودية ١٤١٣هـ .
- (٩) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، نشره ف . كرنكو - مكتبة المقدسي . القاهرة ١٣٥٢هـ .
- (١٠) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري (٤٤٩هـ) ، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن - دار المعارف . مصر ١٩٥٠ م .
- (١١) شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٦٤ م .
- (١٢) سمط اللآلي ؛ لأبي عبيد البكري (٤٨٧هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني - مطبعة لجنة التأليف . القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٣٧ م .
- (١٣) شرح معلقة عمرو بن كلثوم ؛ لابن كيسان ، تحقيق د. محمد البنا . دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠ م .
- (١٤) شرح الفضليات ؛ لابن الأنباري ، أبي محمد القاسم ، تحقيق كارلوس يعقوب لايل - المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٢٠ م .
- (١٥) شرح الفضليات ؛ للخطيب التبريزي ، تحقيق ودراسة : فخر الدين قباوة - رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهرة برقم ٥٥٢ أدب .
- (١٦) شعر الأخنس بن شهاب التغلبي ، جمعه وحققه : أيمن محمد ميدان ، ضمن أطروحته للماجستير بعنوان : « شعر تغلب في الجاهلية ... جمع وتحقيق ودراسة » - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٩١ م .

- (١٧) الكتاب ؛ لسيبويه . طبعة بولاق ١٣١٦ هـ .
- (١٨) الزهر ؛ لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل واليعلوي وجاد المولى - دار إحياء الكتب العربية .
- (١٩) معجم الشعراء ؛ لأبي عبيد الله ، محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤ هـ) ، صححه وعلق عليه د/ ف. كرنكو - مكتبة المقدسي بالقاهرة ١٣٥٤ هـ . ونشره محققاً عبد الستار أحمد فراج - مطبعة عيسى الحلبي بمصر ١٣٩٧ هـ - ١٩٦٠ م .
- (٢٠) المفضليات ؛ للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي (١٧٨ هـ) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف (الطبعة السابعة) - القاهرة ١٩٨٣ م .

صدر في القاهرة العام الماضي كتاب
« الدياج لأبي عبيدة ، عن نسخة
خطية يتيمة ، ذهب صدرها ، واختفت
خاتمها ، وزيدت فيها أشياء ليست منها .

ونسخة هذا شأنها لن تسلم من
هنات ، وخاصة أن المحققين لم يتولوا
الإشراف على الطبع - في أغلب الظن ،
على حد تعبير ذ. محمد أحمد الدالي .

الناقد قرأ الطبعة التي صدرت ،
وتوقف في غير موضع ، وعلّق على
مواضع كثيرة ، وفقّي ذلك بأمثلة مما وقع
فيها من أوهام الضبط وأخطاء الطبع .

« المجلة »

وقفات مع :

« الدياج لأبي عبيدة »

د. محمد أحمد الدالي *

* من كلية الآداب بجامعة دمشق . حصل على درجة الدكتوراه عن تحقيق ودراسة كشف المشكلات وإيضاح
المعضلات لجامع العلوم الأصبهاني . ونشر كتاب الكامل للمبرد عام ٨٦ في بيروت . وسبق للمجلة أن نشرت
له .

للدكتور المحقق الفاضل عبد الرحمن بن سليمان العثيمين يدّ في تحقيق نسبة غير كتاب من كتب العربية المخطوطة نُسب إلى غير صاحبه أو جُهل مؤلفه ، وفي تحقيق أسماء كتب. جهلت أسماؤها أو سُميت بغير أسمائها الصحيحة (وفي مقدماته للكتب التي حققها - ومنها كتاب « التبيين عن مذاهب النحويين » ، للعكبري - أمثلة لذلك) . أعانه على ذلك معرفة واسعة بمصادر العربية ؛ مطبوعها ومخطوطها .

وقف خلال تنقيبه عن المخطوطات على صورة عن كتاب صورته معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وهو مما لم يفهرس من مصورات المعهد ، ذكر في سجله أنه « كتاب في الأدب ، لأبي عبيدة » . صُرف عنه الدكتور زماناً يزيد على خمس سنين ، ثم لما تفرّغ له ونظر فيه انتهى إلى أن « أخباره ومعلوماته تدل فعلاً على إمكان صحة نسبته إلى أبي عبيدة أو من هو في درجته من العلم » ثم لما أنعم النظر فيه الدكتور عبد الله بن سليمان الجربوع - وكان الدكتور العثيمين قد وقفه عليه - « خلص بنتيجة تثبت أنه حقاً لأبي عبيدة » فقد رأى « تشابهاً بل تطابقاً بين ماورد في هذا الكتاب ومانسب إلى أبي عبيدة من الأخبار في كتاب النقائض ، ثم ما ورد من نقول عن أبي عبيدة من الأخبار والرواية للأشعار في كتاب الأغاني والعقد الفريد وعيون الأخبار والبيان والتبيين ونهاية الأرب ... وغيرها تدل على وجوه من التقارب بينها وبين ماورد في هذا الكتاب » واطمأن الدكتور العثيمين إلى ماذكره صديقه الدكتور الجربوع .

وذكر الدكتور أن المخطوطة حديثة الخط لا ترقى إلى القرن العاشر الهجري ، وأنها « لا تحمل اسم ناسخ ولا تاريخ نسخ ، وهي رديئة الخط جداً غير مسندة ، ولم يوضع عليها عنوان الكتاب ولا اسم مؤلفه » وقال : « وهي سالمة من النقص - فيما يظن - تقرأ بيسر وسهولة » .

وقد بذل المحقق الفاضل جهداً كبيراً في قراءة الكتاب في هذه النسخة اليتيمة

السقيمة ، وفي التعليق عليه ، وتخرج كثير من الأخبار والأشعار الواردة فيه ، وترجمة كثير من الرجال المذكورين فيه .

ويعرف فضل الدكتور على هذا الكتاب ويقدر جهده فيه من يعرف مشاق تحقيق كتاب عن نسخة وحيدة ، فإن كانت إلى وحدتها سقيمةً ازداد العمل فيها مشقةً وعسرًا .

وعلى أن النسخة « تقرأ بيسر وسهولة » فيما قال المحقق فإن قارئ الكتاب لا يكاد يأخذ في قراءة خبر من أخباره حتى يتوقف في موضع أو غير موضع منه . ففيها مواضع كثيرة مريبة ، ومواضع أخر مشككة بعضها مما ينتهي بك التأمل فيها إلى وجهها الصحيح أو إلى وجه مرضي فيها ، وبعضها مما لا تستطيع القطع فيه بوجه ، وبعضها مما لا ينفع فيه إلا الوقوف على نسخة أخرى من الكتاب تكون أجود من هذه وأصحّ تعين على تصحيحه .

ويجد قارئ الكتاب في مواضع منه خللاً واضطراباً وانقطاعاً في الكلام ، ربما كان لنقص لحقها ، أو سقط وقع فيها ، أو غير ذلك .

ومن أمثلة ذلك ماوقع ص ١٢٣ - ١٢٧ ، فقد كان الكلام على « أعرق العرب في القتل » فذكرهم . ثم جاء بعده : « الدهلان : شيبان وذهل بن ثعلبة ... السعدان ... الأنكدان ... » فذكر طائفة من باب المثني ، ثم قال : « مفاخر العرب ثلاثة ... » فذكرها . وموضع ماذكر من باب المثني بين « أعرق العرب في القتل » و « مفاخر العرب ... » قلق ناب به موضعه . فإما أن يكون في الكلام سقط . وإما أن يكون هذا خارجاً عن كتاب أبي عبيدة جعله بعضهم في كتابه .

وجاء عقب « مفاخر العرب » آخر عنوان فقرة في الكتاب . وهو « من اجتمع عليه نزار » ص ١٢٧ فذكر ثلاثة ، ثم ذكر من انقادت لهم تميم ، وتلا ذلك ذكر أخبار أخرى لا تدخل تحت هذا العنوان ، وهي في الصفحات ١٣٠ - ١٥٧ . وفي آخر الكتاب ص ١٥٧ - ١٥٩ كلام لغير أبي عبيدة

كأبي الحسن المدائني والأصمعي . وكتب الناسخ في آخره : « تمّ الكتاب ... » وقد تنبه المحقق على هذا وعلق عليه بقوله « يبدو أن هذه النصوص الآتية خارجة عن أصل الكتاب ... » .

أئي كتاب هذا الذي تمّ ؟ ليس المعنيّ كتاب « الدياج » ، لأن هذه النصوص المنقولة عن غير أبي عبيدة صاحبه خارجة عنه . فهل آخر أخبار « الدياج » انتهى ص ١٥٧ حيث بدأ كلام غير أبي عبيدة ؟ ولمّ جاء كلام أبي عبيدة متصلاً بكلام غيره من غير أن يفصل بينهما بعبارة تؤذن بتمام « الدياج » ثم تستأنف الأخبار عن غيره ، على ما جرى عليه النساخ في مثل هذه الحال ؟

الكتاب في نسخته هذه ضرير ، ذهب صدره الذي يكون فيه سند روايته عن صاحبه ، وذهبت خاتمته ، ثم زيدت فيه أشياء خارجة عنه .

* * *

لقد خدم الدكتور المحقق الكتاب خدمة جيدة ، ولم يأل جهداً في تحقيقه والتعليق عليه ، لكنه لم يفعل مثل ذلك في طبع الكتاب . وأغلب الظن أنه لم يتولّ الإشراف على طبعه ، ففشّت فيه الأخطاء المطبعية وكثرت كثرة ذهبت بغير قليل من رونقه وبهائه ، وسبق قلم المحقق في غير موضع من الكتاب بأشياء غير صحيحة من جهة العربية لا يخفى صوابها على من هو دونه .

وكنّت خلال قراءتي للكتاب توقفت في غير موضع منه ، وعلقت على مواضع كثيرة منه ، وأنا ذاكر أمثلة مما اجتمع لي في هذا الباب تدل على ماوراءها ، ثم أقفّى بذكر أمثلة مما وقع في الكتاب من وهم في الضبط وخطأ في الطبع وسقط في بعض المواضع ، ليرى فيه الدكتور والقراء رأيهم .

تعليقات وتصويبات

١ - ص ٣ س ٧ - ٨ « قال أبو عبيدة : فاتفقوا على أن أشعر الشعراء في الجاهلية امرؤ القيس بن حجر الكندي ، والنابعة زياد بن [معاوية] الذبياني ، وزهير ... » .

كان في الأصل : « زياد بن عمرو الذبياني » فغيّره المحقق وجعله « زياد ابن معاوية » . والصواب أن يثبت كما في الأصل « زياد بن عمرو » . فهو المروي عن أبي عبيدة ورواه عنه الأثرم والجاحظ ، انظر ديوان النابعة ، صنعة ابن السكيت ص ١ ، وصنعة الأعلام ص ١٣ ، والحيوان ٥ / ٥٥٥ ، وسمط اللآلي ٧٩ . وعند الأثرم عنه أنه زياد بن عمرو بن معاوية . وكذا قال النحاس في شرح القصائد التسع المشهورات ٧٣٣ .

وعند ابن الأعرابي أنه زياد بن معاوية ، وهو المعروف ، انظر تعليق المرحوم العلامة الميمني في السمط .

وليس للمحقق العدول عما في الأصل إلى المشهور المعروف ، إلا أن يكون تصحيحاً أو تحريفاً له . وما في الأصل هنا رواية . وهي المعروفة المشهورة عند صاحبها ، وحملها على التحريف أو على تغيير النساخ مما لا يكون .

٢ - ص ٣ - ٤ س ١١ - ١٢ ، ١ « فقال بعضهم : أشعر الثلاثة امرؤ القيس بن حجر ، هو أولهم ، وهو الذي فتح لهم الشعر ، فاستوقف وبكى في الديار وذكر ما فيها ، ثم قال (دع ذا) رغبة منه عن المنسبة ... » . قوله « دع ذا » لا أعرفه في شعر امرئ القيس إلا في قوله [ديوانه ٦٣] : فدع ذا وسلّ الهمّ عنك بجسرة ذمّول إذا صام النهار وهجّرا

٣ - ص ٦ - ٧ آخر سطر - ٢ « وقالوا : طرفة أجودهم واحدة ، ولا يلحق بهؤلاء البحور . إنما يوضع من أصحابه ، الحارث بن حلزة ، وعمرو ابن كلثوم ، وسويد بن أبي كاهل » كلام أبي عبيدة هذا نقله ابن قتيبة في

الشعر والشعراء ١٩٠ . وقوله : « يوضع من أصحابه ، الحارث ... » تحريف صوابه « يوضع مع أصحابه : الحارث ... » .

٤ - ص ٧ س ٢ - ٣ : « فقالوا : هو أكثر عددٍ طولٍ جيد ... » .
قوله « عددٍ » كذا ضبطه المحقق بكسر الدال متابعاً ضبط الشيخ أحمد شاعر رحمه الله في الشعر والشعراء ٢٦٣ وقد نقل ابن قتيبة ثمة كلام أبي عبيدة ، والصواب : « عددٌ » بفتح الدال ، وهو منصوب على التمييز .

٥ - ص ٨ س ١ « ثم اختلفوا في أوس والحطيئة والنابعة الجعدي » .
كذا ضبطت الهاء في الحطيئة بالفتح ، والصواب كسرهما فيها .

٦ - ص ١٢ س ٥ - ٦ « ... فيغلبهم من ليس مثلهم في عظم الشعر [يريد أفضل الشعر] » .

ما جعله المحقق بين حاصرتين قال في التعليق عليه : « يبدو أن هذه العبارة زائدة على نص أبي عبيدة » . قلت هي ليست من كلامه حقاً ، وهي عبارة لاقيمة لها . وقد استعمل أبو عبيدة هذه اللفظة في قوله ص ٧ آخر سطر : « وخداش بن زهير أشعر في عظم الشعر من لبيد » . وعظم الشعر : نفسه ، انظر الشعر والشعراء ٦٤٥ ، وتعليق العلامة البصير محمود محمد شاعر حفظه الله في طبقات فحول الشعراء ١٤٤ ح ١ .

٧ - ص ١٦ س ٤ - ٥ « ثم اختلفوا في بسطام وعتيبة وعامر حتى نعوا عليهم سقطاتهم » وقع هذا فيما نقله المبرد في الكامل ٢٠٣ من كلام أبي عبيدة في ذكر فرسان العرب ، فإن كان المبرد نقله من الديباج ففي حكايته كلام أبي عبيدة كما وقع في هذا المطبوع تصرّف .

٨ - ص ٢٢ س ٧ - ١٠ « ولعتيبة يقول جرير ... وقال لعامر بن الطفيل :

أعامرُ بن طفيل في مركَّبه أو حارثاً يوم نادى القوم يا حار
قال المحقق في التعليق عليه : « ديوان جرير ١ / ٢٣٨ (٣١٣) ، وروايته :
(أو عامر) (أو حارث) » .

الظاهر أن المحقق استصوب ما أثبتته في المتن « أَعَامَرُ » ، وهو خطأ صوابه « أو عامر بن طفيل ... » ، وهو معطوف على قوله قبله :

جئني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل أسرة منظور بن سيّار
ورواية الديوان « أو مثل أسرة » « أو عامر بن طفيل » أو « حارث » بالجر
فيها حملاً على لفظ المجرور في قوله « بمثل » .

ورواه سيوييه في الكتاب ١ / ٤٨ ، ٨٦ ، والمبرد في المقتضب ٤ / ١٥٣
« أو مثل » بالنصب حملاً على المعنى « المحل » أي هات مثل أسرة ، وعليه
إنشاد أبي عبيده : أو عامر بن طفيل أو حارثاً .

٩ - ص ٣١ س ٢ « ومن أهل الشام : خالد بن عبد الله بن أسيد » .
قوله « أسيد » ضبطه المحقق في المتن وفي الحاشية (٢) بضم الهمزة ،
والصواب أسيد ، كأثير ، بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، انظر الإكمال
١ / ٥٨ ، وتوضيح المشتبه ١ / ٢١٠ .

١٠ - ص ٣١ س ٣ - ٤ « رُجُلِيُو العرب ثلاثة . الواحد رُجْلِي ... » .
ضبطه المحقق بضم الراء وإسكان الجيم وهو ضبط الأزهري ، وهو عنده
منسوب إلى الرُّجْلة وهي القوة على المشي . ووقع فيما نقله المحقق في التعليق
(٣) عن تهذيب اللغة ١١ / ٣١ ، واللسان (ر ج ل) : « منسوب إلى
الراجلة » وهو خطأ .

وفي الكامل للمبرد ١٤٣٠ أنه رُجْلِي بكسر الراء ، نص على ذلك الأخفش
علّي فيما علقه عليه ، قال : « هو منسوب إلى الرُّجْل » . وفي العباب
والقاموس « رَجْلِي » بالتحريك انظر التاج (ر ج ل) .

١١ - ص ٣٣ س ٤ - ص ٣٤ « قال أبو عبيدة : غزت بكر بن وائل
بني تميم ، فأرسلوا طلّاع لهم فرأت السليك ... » فساق خبر السليك وقد
كان أنذر قومه بأن بكر بن وائل تريد الغارة عليهم فكذبوه لبعد الغاية .
وقد خرج المحقق الخبر في التعليق (٢) ، قال : « الخبر والأبيات عن أبي

عبيدة في الشعر والشعراء ١ / ٣٦٧ ، والجمهرة ٣ / ٣٤٦ ، والأغاني ٢٠ / ٣٨١ ، والخزانة ٣ / ٣٤٦ هـ . قوله « والجمهرة ٣ / ٣٤٦ » خطأ فليس الخبر فيها وليست من مظان ذلك . وأراد المحقق كتاباً آخر لا أعرفه .
والخبر حكاه عن أبي عبيدة المبرد في الكامل ٧٣٨ ، وحمة الأصبهاني في الدرة الفاخرة ٣٠٥ وعنه نقل صاحب الخزانة ٣ / ٣٤٦ (هارون) ١٧ / ٢ (بولاق) .

١٢ - ص ٣٣ س ٩ « وقد عثر بأصل شجرة فيرى كمكان تلك وندرت قوسه » هذا موضع مشكل غامض اختلفت فيه المصادر التي حكى الخبر عن أبي عبيدة . ففي الكامل « ... شجرة فندر كمكان تلك . وانكسرت قوسه » وفي الدرة « شجرة فنزا وندرت قوسه » ، واستشكله صاحب الخزانة فغيره وجعله « شجرة وقد وثب وانحطمت قوسه » ، وفي الأغاني « شجرة فنزعا فندر قوسه » وذكر المحقق أن هذه العبارة وردت محرفة في أصول الأغاني ؟! وليته ذكر ما كان في الأصول ، فلعل فيها الصواب أو ما يهدي إلى الصواب في هذه العبارة . وانظر ماعلقناه في الكامل ٧٣٨ ح ٦ .

١٣ - ص ٣٥ س ٣ - ٤ « وكان يقال له سُلَيْكًا الْمُقَانِبِ . فقال فرار الأسدي » قوله « سُلَيْكًا الْمُقَانِبِ » خطأ صوابه : سُلَيْكُ الْمُقَانِبِ .
وقوله « فقال فرار » علق عليه المحقق بقوله « في الأصل : قران ، والتصويب من الأغاني ٢٠ / ٣٨٣ » .

قلت : بل الصواب ما في الأصل : « قُرَّان » وهو قُرَّان بن يسار الفقعسي الأسدي ، انظر شرح أبيات سيويه لابن السيرافي ١ / ٦٠٤ ، والمجبر ٢١٧ ، ومعجم الشعراء ٢٠٤ ، واللسان (سلك) .

وأما « فرار » كما وقع في الأغاني ٢٠ / ٣٨٣ - وكذا وقع في مطبوعة الكتاب ١ / ٣١٩ - فتحريف .

١٤ - ص ٣٥ س ٦ - ٧ . قول قُرَّان :

أزوار ليلى منكم يال برثن على الهول أمضى من سليك المقانب
يزورونها ولا أزور نساءهم ألهى بأولاد النساء الحواطب
قوله « أزوار » كذا وقع أيضاً في مطبوعة شرح أبيات سيويه لابن السيرافي
١ / ٦٠٤ وهو خطأ صوابه « لَزَوَارُ » انظر ماعلقناه في مقالتنا « شرح أبيات
سيويه » لابن السيرافي في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٠ ج ٢ /
٣٥٦ . والبيتان في المصادر السابقة ، الأول في سفر السعادة ٥٨٧ وتخرجه
ثمة . ويروى : « لَحُطَّابُ لَيْلى ... » .

وقوله في البيت الثاني « ألهى بأولاد » صوابه « لأولاد » .

١٥ - ص ٣٦ - ٣٧ آخر سطر - ٢ « فذل الحارثيون عليه فرعمت
باهلة أن بني نفيل بن عمر بن كلاب أجملوا فيه ودلوا عليه فانهبوا إلى ربيته
وهو نائم فجاوزوه إليه فأخذوه سلماً » صوابه : « ... أن بني نفيل بن عمرو
ابن كلاب ... فانتهاوا إلى ... فجاوزوه إليه ... » . وقد وقع على الصواب
« بني نفيل بن عمرو بن كلاب » في الكامل للمبرد ١٤٣٠ ، والخزانة ١ /
٩١ في كلام لثعلب في خبر قصيدة أعشى باهلة ، وانظر جمهرة أنساب العرب
لابن حزم ٢٨٢ .

١٦ - ص ٣٧ س ١٠ وص ٣٨ س ١ قول أعشى باهلة :

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يتأرى لما في القدر يرقبه ولا يزال أمام القوم يقتفر
قال المحقق في التعليق على البيت الأول : « هذا البيت مركب من بيتين
وهما :

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يغمز الساق من أين ولا نصب ولا يزال أمام القوم يقتفر
الديوان ٢٦٨ (الصبح المنير) ، وينظر البيت الأخير هنا » اهـ .

قلت : كيف يُدعى أن البيت مركب ، والرواية التي في متن كتاب أبي عبيدة

للبيتين - وهما البيتان ١٨ و ١٩ من كلمة أعشى باهلة - هي رواية الأصمعيات ٩٠ ، والكامل للمبرد ١٤٣١ وغيرهما . وقد روي البيتان كما ذكرهما المحقق في تعليقه ، انظر حاشية محققي الأصمعيات .

١٧ - ص ٤١ س ٢ : « وكانوا شعراء شَجَعَةً » صوابه « وكانوا شعراء شَجَعَةً » بالتحريك ، أو « شَجَعَةً » بثلاث الشين وإسكان الجيم ، انظر التاج (ش ج ع) .

١٨ - ص ٤٣ س ٩ : « غزا معاوية بن عمرو الشريدي ، وهو أخو خنساء مَرَّةً فزاره » وعلق المحقق على « فزاره » بقوله : في الأصل : « وفزاره » .

قلت : الظاهر أن المحقق قرأ « مَرَّةً » فنونها نصباً على الظرف و « فزاره » مفعول « غزا » ، وهو خطأ .

والصواب ما في الأصل : « مَرَّةً وفزاره » ، وكذا في الكامل للمبرد ١١٥٠ ، وعبارة أبي عبيدة فيما حكاه عنه صاحب الأغاني ٨٧ / ١٥ : بني مَرَّةً بن سعد بن ذبيان وبني فزاره .

١٩ - ص ٣٥ س ١١ .. من بني الدُّؤْل بن حنيفة . صوابه « الدُّؤْل » بغير همز في هذا الموضع وغيره من المواضع التي وقع فيها هذا الخبر ، انظر الأنساب ٥ / ٥٦٥ ، وسمط اللآلي ٦٦ ، وطبقات فحول الشعراء ١٢ ، والإيناس ٨٦ - ٨٧ ، ومختلف القبائل ومؤتلفها ٤٦ - ٤٧ .

٢٠ - ص ٥٤ س ٢ - ٣ « فكان رجل من السَّواقط من بني نفيل بن عمرو أتى قائد الجرباء وهي الكتيبة عمير بن سلمى بن عمرو ... » .

علق المحقق على قوله « من بني نفيل بن عمرو » : « في الكامل : من بني بكر بن كلاب ... » . قلت صوابه : « من بني أبي بكر بن كلاب . هذا ما وقع في أكثر نسخ الكامل ٤٦٢ . ووقع في النسخة ج من نسخ الكامل : « من بني أبي بكر بن كلاب [أو من بني نفيل بن عمرو . الشك من أبي

العباس [« . وفي النسخة هـ كذلك مع زيادة : « ... نفيل بن عمرو بن كلاب ... » وهذا موافق لما في الدياج .

٢١ - ص ٥٤ س ٥ « فقال قُرَيْن بن سلميّ » وعلق المحقق على « قرين » بقوله : « قال المبرد : « في رواية عن الأخفش : « قَرَيْن » ووجدته بخط (داماذ) صاحب أبي عبيدة « قرين » بضم القاف وفتح الراء » اهـ .

قلت : هذه عبارة مختلة بمخلّة . وعبارة أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش فيما علقه على الكامل ٤٦٢ : « قال أبو العباس : قَرَيْن . ووجدته بخط دماذ رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة : قُرَيْن . ودماذ لقب » .

٢٢ - ص ٦٥ س ٩ قول سُبَيْع بن الحَظِيم :
إيها فداء لَكُمْ أُمِّي وماولدت فالحمد يبقى وناد الذم في حور
كذا وقع وصوابه : فالحمد يبقى وزاد القوم في حُور .
ولم يرد هذا البيت في المصادر التي خرج منها المحقق أبيات سبيع ، وقال في هذه الأبيات :

واستعجلوا عن حثيث المضغ فازدردوا والذم يبقى وزاد القوم في حُور
انظر المصادر التي ذكرها المحقق ، وأدب الكاتب ٣١٦ ، والاقتضاب ٣٧٣ .

٢٣ - ص ٦٩ س ٤ قول بدر بن حمراء الضبّي :
فمن يك مبنياً به بنت جاره فأني امرؤ عن بنت جاري جافر
كذا وقع ، وهو تحريف صوابه : « بَيْت جاره ... عن بيت جاري ... »
كما في النقائض ١٩٧ ، وبيت الرجل : امرأته . ورواية المخبر ٣٥٥ : « عِرْس » في الموضوعين .

وقوله « جافر » فسرّه المحقق بقوله : « الجافر : الفحل من الإبل : هو الذي يكثر الضراب حتى ينقطع » . كذا قال : وهو صحيح في اللغة ، وحمل جافر في البيت عليه غريب . ومعنى جافر في البيت : ممتنع عادل عن بيت جاره ، قال أبو عبيدة في النقائض : « فأني امرؤ جافر عن ذاك كما يجفر الفحل عن إبله إذا أعرض عنها وعدل بعدما يلحقها » .

٢٤ - ص ٧٢ السطر قبل الأخير « فإذا روي فشُدُّوا ، ففعلوا ، فورد حتى قام قائم الظهيرة ، حتى امتلأ وجعل يصب الماء ... » .

وفيه تحريف وسقط ، وصوابه كما في المحبر ٤٣٣ : فورد حينَ قام قائم الظهيرة ، فشرب حتى امتلأ ...

٢٥ - ص ٧٤ س ٤ - ٧ « وفاطمة بن الحارث الأثمارية ... ولدت الكَمَلَة من بني عبس ، ولم يوجد - كان - مثلهم غيرهم ربيع الحفاظ وعمارة الوهاب [وقيس الحفاظ] وأنس الفوارس بن زياد ، وكان يقال لعمارة دالق ... » .

قوله « ربيع الحِفاظ » كذا وقع أيضاً فيما حكاه المبرد في الكامل ٢٩٥ عن أبي عبيدة ، وكذا وقع في فصل المقال ٩٠ . والذي في النقائض ١٩٣ أن الربيع يدعى « الكامل » ، وكذا قال غيره ، انظر معلقناه على الكامل ٢٩٥ .

وقوله « [وقيس الحفاظ] » زيادة مخلة خاطئة ، ربما أغرى المحقق بزيادتها أن من الناس من يجعل الكَمَلَة أربعة ، انظر المحبر ٤٥٨ ، والدرة الفاخرة ٢ / ٤١٠ ، وشرح القصائد السبع ٥٠٥ . وهم ثلاثة عند أبي عبيدة وغيره ، ولم يعدّ قيساً منهم في النقائض ٢٩٣ ، وكذا ذكر المبرد في الكامل ٢٩٥ عن أبي عبيدة ، وكذا في الأغاني ١٧ / ١٧٩ ولم يعز ذلك إلى أحد . ونص كلام أبي عبيدة هنا يشهد أنهم عنده ثلاثة .

٢٦ - ص ٨٥ س ٦ « ولم يعلم عكاظي على فداء ابن حاجب » هذا تحريف صوابه : « أغلى فداء من حاجب » . قال المبرد في الكامل ٥٩٧ « فرعم أبو عبيدة أنه لم يكن عكاظي أغلى فداء من حاجب » . وانظر ما يأتي في الكتاب ١١٣ .

٢٧ - ص ١٠٥ السطر قبل الأخير « ووثب كل قوم على من فيهم من الحبشة فأبادوهم ... » وذكر المحقق أنه كان في الأصل « فأبادوهم » .

ومافي الأصل صواب محض أي أهلكوهم ، فلا يعدل عنه .
٢٨ - ص ١١٣ س ١ - ٤ « أغلى العرب فداء ثلاثة حاجب بن زرارة
ابن عدس ، وبسطام بن قيس الشيباني ، وحبيش بن الدلف الضبي . وكان
فداؤهم - فيما يقول من المقلل - : مائتي بعير . والمكثّر : أربعمائة .
قوله « من المقلل » كذا وقع و « من » مقحمة ، والصواب : فيما يقول
المُقلِّل مائتي بعير وثلاثمائة ، والمُكثِّر أربعمائة .
٢٩ - ص ١١٨ س ٦٥ « أحجار العرب صخر وجندل وحجر وجرول ،
وهم بنو نهشل بن دارم » .

قوله « وحجر » ليس من كلام أبي عبيدة ، وهو مزيد فيه ، زاده من لاعلم
له . وليس في بني نهشل من يسمى جَجْرًا . قال في النقائض ١٨٧ : « وبنو
نهشل ستة ، منهم جندل وصخر وجرول ، وهؤلاء يسمون الأحجار ، وقطن
وزيد وأبير » ١ هـ وانظر تسميتهم بالأحجار في النقائض ٧٤٨ ، ٧٧٢ ،
وجمهرة اللغة ٢ / ٥٤ ، والاشتقاق ٢٥٠ ، ٥٦٦ ، والخصص ١٦ / ١٠٣ ،
والحجر ٤٦٣ ، وطبقات فحول الشعراء ٥٨٧ ، وفرحة الأديب ١٩١ ، وسفر
السعادة ١٠٣٥ .

٣٠ - ص ١٢١ س ١٠ قول الشاعر :
قتلنا به خير الضبيعات كلها ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما
البيت من أبيات للقيط بن زرارة أنشدها أبو عبيدة فيما يأتي من كتابه
ص ١٥١ .

٣١ - ص ١٣٤ س ١٠ - ١١ « وعباد بن حصين الحَبِطِي » كذا ضبطه
المحقق بكسر الباء ، والصواب « الحَبِطِي » بفتحها ، انظر اللباب ١ / ٣٣٦ .
٣٢ - ص ١٤٥ س ٢ - ٣ « ثم كان حذيفة بن بدر رئيس القوم ، وله
يقال :

لأصرفن إلى حذيفة مدحتي لفتى العشى وفارس الأحزاب »

كذا وقع أيضاً في مغني اللبيب ١٨٨ ، واللسان (س و ي) وفيهما « سوى حذيفة » . وقافته مغيرة ، والرواية : « ... سوى حذيفة ... وفارس الأجراف » وهو بهذه الرواية في الأمالي الشجرية ١ / ٢٣٦ .

وهو من أبيات لرجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة ابن مكدم فيما ذكره صاحب الأغاني ١٦ / ٥٩ ونقل عن أبي عبيدة قوله : وزعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت يحض على قتله ، ونقل عن الأثرم قوله : وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم . وهي في ديوان قيس بن الخطيم ١٢٧ ، وديوان حسان - إضافات ٣٩٢ ، وانظر كلام البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب ٣ / ٢٢٠ .

وقوله « إلى حذيفة » كذا وقع في الأغاني (وغير في طبعة الدار من غير إشارة ، انظر تعليق محقق ديوان قيس) وزعم البكري في سمط اللآلي ٥٠٦ أن قائل البيت قال « إلى » وأن « سوى » موضوع ، قال البغدادي : « ومع نقل هؤلاء الأئمة لا يلتفت إلى إنكار أبي عبيد البكري . . » فنقل كلامه ورده .

* * *

أخطاء طباعية

وأما ما وقع في الكتاب من وهم في الضبط ، وخطأ في الطبع ، وسقط في بعض المواضع = فهو كثير . وهذا ذكر أمثلة يسيرة منه :

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
٨ من المقدمة، الحاشية	شك	شكاً
١٠ من المقدمة/ ١٤	أبو عثمان	أبا عثمان
١٣ من المقدمة/ ١١	العارف بن المطلع	العارف المطلع، بحذف « بن »
٣٥ من المقدمة/ ٧	لأبي	كأبي
١٣ من الكتاب/ ٤	ومنسبة	ومنسبة

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
٨ ، ٦ / ٢٢	وسم	سم ، بحذف الواو
٢ / ٢٤	فيتظلم	فينظلم ، بالنون
٢ / ٢٦	مثل	مثل ، بالجر
٥ / ٢٦	حاتم	حاتم ، بالجر
١ / ٢٧	سمي ناجر	ناجرًا
٧ / ٢٧	ناجورها	ناجودها
٨ / ٢٧	وقدا	وقدَى (والبيت في اللسان شاهد على وقدى كبشكى)
٢٨ / آخر سطر	أحد بني بكر	أحد
٣ / ٣٨	الرّزّميّان	الرّزّاميّان
٣ / ٣٩	لأنبأتكم إنّ هذا أوفى	أن ، بفتح الهمزة
١ / ٤١	السلكة	السلكة
٦ / ٤١	لم ألقيهما	لم ألقيهما
٩ / ٤١	من غرض	عن غرض
٣ / ٤٢	كرّ عنترة	عنترة
٤٣ / آخر سطر	خفاف	خفاف
٥ / ٤٥	لا أدية ابن أقال	لا أدية ابن أقال
٤ / ٤٦	عمير بن سلمى	بن سلمى
٣ / ٤٧	قطين امرؤ القيس	امرؤ القيس
٤٧ / آخر سطر	فوالله لأقتله	لأقتله
٧ / ٤٨	أوردّ لون	أوردّ لون
٥ / ٥١	اللفّاع	اللفّاع
٩ / ٥٦	لم يطبع	لم يطبع

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
٦٠/آخر سطر	وبعد	بعد ، بحذف الواو
٥/٦٢	لم يؤسيوه	يؤيسوه
١١/٦٣	من أمه	مِنْ أُمِّه
٥/٦٤	حين	حيث
١/٦٥	قَسَمَاتِهِم	قَسِمَاتِهِم
٨/٧١	حتى	حين
٦، ٥/٧٥	خبيئة	خَبِيْثَةٌ ، أَوْ خَبِيْثَةٍ
٦/٨١	يُنْمِيهِ	يَنْمِيهِ
٤/٨٢	غُنِي	غَنِيَ
١١/٩٠	لخيرنا	لَخَيْرُنَا
٢/٩١	توهنن	تُذْهِبْنَ
٣/٩١	وإن	إن ، بحذف الواو
٨٧/٩١	السندري ، الجعفري	السندري ، الجعفري
٥/٩٢	مهنة	مَهْنُوَّة
١/١٠٠	فنفره جريراً	فنفر جريراً
٣/١٠٠	لأبي	لَأَبِي
١٠/١٠٤	في شجونك	سجونك
٢/١٠٨	لكن	لكن
٥/١١١	أم الرجال	الرجال
١٠/١١١	جذيمة	جَذِيْمَةٌ
٥/١١٣	حاجب زرارة	حاجب بن زرارة
٤/١١٤	بنو شيان	طما بنو شيان
٦/١١٦	المنقري	الْمُنْقَرِي

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
١٢ / ١٢٢	وَبُسْطَام	وَبِسْطَام
٥ / ١٢٣	قتله كنانة	قتلته كنانة، أو قتله بنو كنانة
١ / ١٢٦ الحاشية	قراد بن حبش	حنش، انظر تهذيب إصلاح
		المنطق ٨٢٧
٤ / ١٢٨	و لم يقدر تميماً	و لم يَقْدُ تميماً
١ / ١٣١	غُنْيًا وباهلة	غُنْيًا وباهلة
١٠ / ١٣٤	تجمعه	يجمعه
٣ / ١٣٧	نغضبُ	نغضبِ
٢ / ١٤٢	فأيتها أملك	فأيتهما
٧ / ١٤٣	يُرى	تُرى
٨ / ١٤٣	حُزن	حَزَن
٢ / ١٥١	وبني أُسَيْد	أُسَيْد
١٥١ / آخر سطر	جدعنا	جَدَعْنَا
١٣ / ١٥٧	لمن نكن	لم نكن

* * *

هذا ما رأيت ذكره من المواضع التي كنت أصلحتها خلال قراءتي للكتاب ، ولم أُعْنِ بتتبع ما وقع فيه . ومنه كما ذكرت مالا تنفع فيه الحيلة . وعلى ما بذله الدكتور المحقق الفاضل في تحقيق الكتاب والتعليق عليه من جهد - وهو جهد مشكور محمود - فلم يزل في حاجة إلى أن يرجع النظر فيه وبطيل التأمل في بعض مواضعه .

وإنَّ إخراج كتاب لأبي عبيدة عن نسخة وحيدة سقيمة ، وفيه أخبار
وأشعار انفرد بها لعمل شاق عسير صعب وعر المسالك لا يؤمن فيه العثار .
ومثل الدكتور الفاضل مَنْ يُطَلَّبُ منه مالا يقدر عليه كثير ممن أثبت على غلاف
كتاب أخرجه « حَقَّقه فلان » ، وهو لم يحسن قراءة ما فيه بله تحريره وتحقيقه .
أرجو أن أكون أصبت في بعض ماقلت ، والخير أردت ، وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر

أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، حققه وعلق عليه الدكتور محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٢ .

الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٨ .
الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، دار الكتب المصرية ، طبعة مصورة عنها ، مؤسسة جمال للطباعة بيروت .

الاقتضاب ، لابن السيد البطليوسي ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى في دار الجليل بيروت ١٩٧٣ .
الإكمال ، لابن مأكولا ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن العلمي البجلي ، مصورة عن طبعة حيدر آباد ، وحقق الجزء السابع وهو الأخير نايف العباس ، الناشر محمد أمين دمج ، بيروت .
الأمالي الشجرية ، لابن الشجري ، حيدرآباد ١٣٤٩ هـ .

الأنساب للسمعاني ، حقق ستة أجزاء منه الشيخ عبد الرحمن العلمي البجلي طبع في حيدر آباد ،
وحقق آخرون أربعة أخرى منه ، ولم يتم فيما أعلم ، ونشر جميعها أمين دمج في بيروت ١٩٨٠ .
الإيناس يعلم الأنساب ، للوزير ابن المغربي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٨٠ .

تاج العروس ، للمرتضى الزبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ .
تهذيب إصلاح المنطق ، للتبريزي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٣ .

توضيح المشتبه ، لابن ناصر الدين ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦ .
جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ .
جمهرة اللغة ، لابن دريد ، حيدرآباد ١٣٤٤ هـ .

الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ١٩٦٥ .
خزانة الأدب ، للبغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، الأجزاء ١ - ٧ طبع في الهيئة المصرية العامة

للكتاب ١٩٧٩ ، و ٨ - ١١ مع الفهارس طبع في مكتبة الخانجي في القاهرة ١٩٨١ - ١٩٨٦ .

الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ، لحمزة الأصبهاني ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

ديوان جرير ، تحقيق الدكتور نعمان طه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين ، القاهرة ١٩٧٤ .

ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٢ .

ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، دار الفكر بدمشق ١٩٦٨ .

ديوان النابغة الذبياني ، صنعة الأعلام الشنتمري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .
سفر السعادة وسفير الإفاضة ، لعلم الذين سخاوي ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، مطبوعات
مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .

سمط اللآلي ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
بالقاهرة ١٩٣٦ .

شرح أبيات سيويه ، لابن السيرافي ، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، مطبوعات مجمع اللغة العربية
بدمشق ١٩٧٦ .

شرح أبيات مغني اللبيب ، للبغدادلي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث
بدمشق ١٩٧٦ .

شرح القصائد التسع ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، دار الحرية ببغداد ١٩٧٣ .
شرح القصائد السبع ، لابن الأنباري ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه العلامة محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني
بالقاهرة ١٩٧٤ .

فرحة الأديب ، للأسود الغندجاني ، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، دار قتيبة بدمشق ١٩٨١ .
فصل المقال ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين ، دار
الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧١ .

الكامل ، للمبرد ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٦ .
الكتاب ، لسيويه ، بولاق ١٣١٦ هـ .

اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير ، دار صادر ببيروت .

لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ببيروت .

المحرر ، لابن حبيب ، تحقيق الدكتورة إيلزة ليختن شتيتز ، حيدر آباد ١٩٤٢ .

مختلف القبائل ومؤلفها ، لابن حبيب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني .
المختص ، لابن سيده ، بولاق ١٣٢١ هـ .

معجم الشعراء ، للمرزباني ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٠ .

مغني اللبيب ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ببيروت ١٩٧٩ .

المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣ .

النقاوض ، لأبي عبيدة ، تحقيق بيفان ، ليدن ١٩٠٥ .

صدر « شعر الأحوص الأنصاري »
في عام ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، في طبعة
مزيدة ومنقحة ، بتحقيق د. عادل
سليمان جمال .

وقد قام الشيخ حمد الجاسر بكتابة
تعليقات قيمة على المواضع المذكورة في
هذا الشعر والواقعة في الجزيرة ، متبعا في
ذلك مانداً عن د. عادل ملتصبا له العذر
« وللاستاذ الكريم واسع العذر في خفاء
بعضها » .

نشرنا الجزء الأول من التعليقات في
المجلد ٣٤ ، وننشر هنا المجلد الثاني ،
ونترك الجزء الثالث والأخير للمجلد
٣٦ .

« المجلة »

تعليقات على المواضع في : شعر الأحوص الأنصاري (٢)

الشيخ حمد الجاسر*

* علم من أعلام الدراسات الجغرافية التراثية ، وبخاصة في ميدان تحديد المواضع الواقعة في الجزيرة العربية . ألف
الكثير ، وحقق نصوصا عديدة من التراث الجغرافي العربي .

٣٨ - السفح : (١٤١)

تقدم شاهده في (الريان) ، وأشرت إلى استبعاد ما ذكره المحققان الكريمان من أنه المكان الذي وقعت فيه وقعة بين بني بكر بن وائل وبين بني تميم ، إذ ذلك الموضع في شرق الجزيرة ، حيث مجال العراك بين القبيلتين المتجاورتين عند ظهور الإسلام . ولكثرة تحريف الأسماء في « معجم ما استعجم » المصدر الوحيد الذي ورد فيه البيت المنسوب للأحوص وفيه ذكر السفح لا أستبعد أن تكون الكلمة مصحفة عن السُّح أو السيح وهذا موضعان معروفاً من مواضع المدينة ذكرهما صاحب « وفاء الوفاء » ، والشاعر مدني أكثر المواضع الواردة في شعره حول المدينة . هذا إن صحَّ أن البيت للأحوص .

٣٩ - سَلْع : (١٨٣)

أقول بَعْمَانٍ وَهَلْ طَرَبِي بِهِ إِلَى أَهْلِ سَلْعٍ إِنْ تَشَوَّقْتُ نَافِعُ ؟
(عَمَّانٌ بلد بطرف الشام كانت قصبة أرض البلقاء .. سلع : جبل بسوق المدينة) .
القول بأن جبل سلع (بسوق المدينة) لياقوت ، وأقرب منه إلى الصحة قول الأزهري والبكري : جبل بقرب المدينة . وقال السهودي : جبل معروف بالمدينة .

ومن الرسم الجغرافي المرفق بهذا يتضح أن جبل سلع لا يزال خارج المدينة ، فضلاً عن أن يكون داخل سوقها .

٤٠ - فُو سَلَم : (١١٢)

وَقَدْ عَجِبْتُ لِمَا قَالَتْ بِذِي سَلَمٍ وَدَمَعُهَا بِسَحِيقِ الْكُحْلِ يَطْرُدُ
وكرر الشاعر ذكر الموضع (٢٥٢ / ٢٥٤ / ٢٥٦) ثلاث مرات ، ولم يذكر معه من المواضع سوى (خاخ) في قوله :
لَيْسَتْ لِيَا لَيْلِكَ مِنْ خَاخٍ بِعَائِدَةٍ كَمَا عَهْدْتُ ، وَلَا أَيَّامُ ذِي سَلَمٍ

والقول بأنه وادٍ في الحجاز لعل أول من قاله الحازمي ، ولكنه أضاف : له ذكر في أشعارهم ، ثم نقله ياقوت والفيروزآبادي وأضافا : قال الشاعر :

وَهَلْ تُعَوِّدُنْ لِيَيْلَاتِي بِذِي سَلَمٍ كَمَا عَهَدْتُ وَأَيَّامِي بِهَا الْأَوَّلُ

وقال الرضّي :

يَا ظَنِيَّةَ الْإِنْسِي هَلْ أَنْسَى اللَّهَ بِهِ مِنْ الْعَدَاةِ فَأَشْفَى مِنْ جَوَى الْأَلَمِ

وَهَلْ أَرَاكَ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ وَهَلْ يَعُوذُ تَسْلِيمُنَا يَوْمًا بِذِي سَلَمٍ

وأتى صاحب « تاج العروس » فاقصر على القول : وإياه عنى أبو صيرفي في برّدته :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جَيْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ

ولم يُعْنِ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَئِكَ بِتَحْدِيدِ مَوْقِعِ ذِي سَلَمٍ مِنَ الْحِجَازِ ، وَلَا بِتَعْلِيلِ كَثْرَةِ وُرُودِهِ فِي شَعْرِ الْمُتَأَخِّرِينَ .

والواقع أنَّ نفوس الأتقياء تهفو لذكرى المواضع التي لها صلة بالمواطن المقدسة في المدينتين الكريميتين ، وذُو سَلَمٍ ذُو صلة بها ، فقد مر به رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة ، وجاء في كتاب « السيرة النبوية » لابن هشام - ٤٩١/١ - : (ثم سلك بهما مَرْجَحَ مَجَاجٍ ، ثم تبطن بهما مَرْجَحَ ذِي الْعَصَوَيْنِ (العضوين) ثم بطن ذِي كِشْرِ ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الأجرَد ، ثم سلك بهما ذَا سَلَمٍ مِنْ بَطْنِ أَعْدَاءِ مَذَلِجَةِ تَعْنَهِنَ ، ثم على العبايد (العبايب) ثم أجاز بهما الفاجة (القاحة) ثم هبط بهما العرج) .

وكل هذه المواضع على ما دخل في أسمائها من تحريف لانزال معروفة ، وهي كما ينطقها أهل تلك الجهة : مرجح ومجاح ، والعَصَوَيْنِ ، وأَم كِشْدٍ - بالدال - وجداجد .

أما ذو سَلَمٍ فيعرف باسم (أم السَلَمَة) - واحدة السَلَم - وهو تلة كبيرة تصب في (أجيرد) الوارد في الخبر باسم الأجرَد ، وهو فرع من فروع وادي ثَقِيبٍ ، وقد

مررت بتلك المواضع سنة ١٣٨٦ حين أردت تحديد مواضع طريق الهجرة فوصفتها -
انظر « العرب » س ١ ص ٥٩٢ .

من هنا تكرر ذكر ذي سلم بين المواضع التي يذكرها الشعراء والصوفية وغيرهم
كغيره من المواضع الأخرى التي لها صلة بالحجاز ، مثل وادي الأراك ونعمان والحاجر
والنقا ، ولكن ذكر هذه المواضع عند هؤلاء الشعراء وغيرهم ليست مقصودة بذاتها
بل لصلتها بالأماكن المقدسة ، ولهذا فهم يخلطون بينها وبين مواضع بعيدة عنها كما
في قول البوصيري :

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
فقد جمع بين موضعين أحدهما في غرب الجزيرة وهو إضم والآخر في شرقها وهو
كاظمة في شمال الكويت ، وكقول الشريف الرضي :

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَأْيِهِ يَذِي سَلَمٍ مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدَتْ مَرْمَاكَ
وما أرى الشاعر الأحموس سار على طريقة أولئك الشعراء ، وإنما تذكر موضعا
من مراتع لهُو ومرابع صباه .

وذو سلم - كما هو معروف : الموضع الذي ينبت فيه شجر السلم ؛ شجر العضاه
المعروف ، وما أكثر الأودية التي تنبت السلم ، إلا أن بالقرب من المواضع التي كرر
الشاعر ذكرها في شعره موضعا يُدعى ذا سلم ، وهو في أعلى وادي العقيق بقرب
مُزج وخاخ وما حولهما من المواضع التي ذكرها الشاعر ، فقد جاء في شعر معن
ابن أوس :

تَأْبَدَ لِأُتَى مِنْهُمْ فَعْتَابُهُ فَذُو سَلَمٍ أَنْشَأَهُ فَسَوَاعِدُهُ
فَذَاتُ الْحَمَاطِ خَرَجُهَا فَطُلُولُهَا فَبَطْنُ النَّقِيعِ قَاعُهُ فَمَرَائِدُهُ

- على اختلاف في ضبط الأسماء -

وهذه المواضع الوارد ذكرها في شعر معن كلها في وادي العقيق في النقيع ، الموضع
المعروف ؛ والسهمودي في « وفاء الوفاء » - ١٠٦٩ لَمَّا ذَكَرَ الْأُودِيَةَ الَّتِي تَسِيلُ

في العقيق قال مانصه : (ثم أعشار ثم ريم ، ثم لأي ، ثم ذو سلم النظيم ثم ذو يدوم) .
وتحدث - ١٠٢٧ - عن أعشار فذكر أن رسول الله ﷺ صلى في كهفه ، وأنه
من الأودية التي تصب في وادي العقيق في القبلية مما يلي المغرب قرب النقيع ، وريم
وادي لا يزال معروفًا . ولأي وذو سلم بين ريم وبين المدينة فهما - إذن - في ضاحيتها
من تلك الجهة ، على مقربة من موقع خاخ الذي سبق تحديده .

٤١ - سَنَام : (٢٣٧)

أَحْلُ النَّعْفِ مِنْ أَحَدٍ وَأَذْنَى مَسَاكِنَهَا الشُّبَيْكَةُ أَوْ سَنَامُ

(والشبيكة منزل من منازل حاج البصرة بينه وبين وجرة أميال ، وسنام جبل
لبنى دارم بين البصرة واليمامة) .

ما أبعد الشقة بين البصرة واليمامة ! واسم سنام يطلق على مواضع منها هذا الجبل
الذي قال عنه نصر : إنه قريب من البصرة يراه أهلها من سطوحهم ، ومنها جبل
بين ماوان والرَّبْدَة وَوَهُمْ ياقوت حين قال - أو نقل - : أنه بالحجاز ، فَمَاوَانُ والرَّبْدَة
في سرّة عالية نجد ، وسنام هذا يُعَدُّ من أعلام حمى الرَّبْدَة ، وهو في مهب الشمال
منها على نحو أربعة عشر ميلاً كما نقل صاحب « وفاء الوفاء » عن الهجري . ويظهر
أن بقرب سنام هذا الذي لا يزال معروفًا مَنَهْلًا يُسَمَّى سَنَامًا قال فيه الراجز :

شَرَبْنِ مِنْ مَّأَوَانَ مَاءٍ مُرًّا وَمِنْ سَنَامٍ مِثْلُهُ أَوْ شَرًّا

ولا يزال هذا الجبل معروفًا (يقع بقرب خط الطول ١٠ / ٤١° وبقرب خط العرض :
٢٤ / ٢٥°) .

ويظهر أنه هو المراد بقول الشاعر الأحوص ، فهو أقرب إلى الشبيكة من سَنَامِ
القريب من البصرة .

٤٢ - السُّنْد : (١٣٧)

غَشِيَتْ الدَّارَ بِالسُّنْدِ دُونِ الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ

(السند موضع مر ذكره - ق ٢٤) وهناك قال : (السند بلد معروف بالبادية ، وقال الأدبي : ماء معروف لبني سعد) - ١١٠ .

لقد أوضح الشاعر أنه لم يَقْصِدْ وَاحِدًا من الموضعين اللذين ذكرهما المحقق ، فحدّد موقع السند بأنه دُوَيْنُ الشَّعْبِ من أحد ، اِذْنُ هو قريب من أحد جبل المدينة المعروف ، وهو لا يقصد موضعًا بعينه وإنما يقصد الأرض المرتفعة في قُبُلِ الجبل أو الشعب ، أي يقصد المعنى اللغويّ للسَّند .

٤٣ - سُؤْيُقَةُ : (١٣١)

تَحُلُّ بِخَاخٍ أَوْ بَنَعْفٍ سُؤْيُقَةٍ وَرَحْلِي بَيْشِرٍ أَوْ تَهَامَةً أَوْ نُجْدٍ

(نَعْفُ سُؤْيُقَةٍ : النَّعْفُ ما انحدر عن السفح وغلظ ، وكان فيه صعود وهبوط ، وسويقة : موضع على مقربة من المدينة ، وبها كانت منازل بني حسن بن حسن بن علي - البكري : سويقة) .

يطلق اسم سُؤْيُقَةٍ على مواضع كثيرة ، ولا يعني الباحث هنا سوى ما يتعلق بقول الشاعر الأحوص ، فهناك موضعان يعرفان بسويقة ، قريبان من المدينة من منازل بني حسن بن علي بن أبي طالب .

الموضع الأول : سُؤْيُقَةُ الواقعة في بلاد يَنْبُع ، وهذه كانت من جملة صدقات علي - رضي الله عنه - كما ذكر ياقوت في « معجم البلدان » ثم كانت لأحفاده بني حَسَنٍ من بعده وهي بلاد واسعة ، كان فيها إلى عهد قريب ثلاث عُيُونٍ جارية ، وكانت سويقة هذه منزل الشاعر محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي - انظر ترجمته في « الأغاني » ١٦ / ٢٨٢ ط . الثقافة في بيروت - وقد خرج هذا على المتوكل فهزم وأُخْرِبَتْ سُؤْيُقَةُ .

وسويقة هذه هي التي ذكر البكري أن البثنة تلقاء سويقة فالبثنة عَيْنُ مأهولة بقرب سُؤْيُقَةٍ هذه ، معروفة الآن . وهي غير بثنة الشام . وقد استقر في سويقة منذ عهد قديم بعض أحفاد الإمام علي ، ومنهم إبراهيم أخو النفس الزكية الذي كثرت ذريته

حتى كَوْنُوا فرعا كبيراً يعرف بني إبراهيم ، دخلوا في قبيلة جهينة - وقد تحدثتُ عن سوقة هذه في كتاب « بلاد ينبع » .

أما الموضع الثاني المعروف باسم سوقة فيقع في أسفل وادي حَوْرَة الشامية . وسوقة هذا الموضع كانت عينا لعبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب . وهي تقع على طريق سوقة الأولى للمتجه منها إلى المدينة . فحورة من أودية الأشعر القبلية التي تجتمع بوادي مَلَلٍ ، ثم بوادي إَضَمٍ حيث تجتمع سيول المدينة .

ويظهر أن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن الذي خرج على المنصور كان يسكن سوقة هذه ، وقد خربت أيضاً بعد هزيمته ومقتله ، ولعلها هي التي ورد فيها الخبر الذي ساقه ابن جرير عن موسى بن عبد الله بن حسن في « تاريخه » - ٦٠٣/٧ : قال : (خرجتُ من منازلنا بسوقة في الليل ، وذلك قبل مخرج محمد بن عبد الله ، فإذا بنسوة كأنما خرجن من ديارنا ، فأخذتني عليهن غيرةٌ ، فإني لأتبعهن انظر أين يُرَدْنَ ، حتى إذا كُنَّ بطرف الحميراء من جانب الفرش ، التفتت إليّ إحداهن ، فقالت :-

سُوقَةُ بَعْدَ سَاكِنِهَا يَبَابُ لَقَدْ أُمْسَتْ أَجَدَّ بِهَا الْخَرَابُ

فعرفتُ أنهن من ساكني الأرض ، فرجعت) . انتهى . فهذه بجهة الفرش بقرب حورة ، وسوقة هذه ليست في متسع من الأرض ، بحيث تنطبق عليها الأقوال الواردة عن بعض المتقدمين ، في ذكر دورها ومنازلها وكثرة نخيلها ، كما يفهم من قول ياقوت عن خروج محمد بن صالح على المتوكل : (فأنفذ إليه أبا الساج في جيش ضخمٍ ، فَظَفَرَ به وبجماعة من أهله ، فأخذهم وقيدهم ، وقتل بعضهم ، وأخرب سوقة وهي منزل بني الحسن ، وكانت من صدقات علي رضي الله عنه ، وعقر بها نخلاً كثيراً وخرب منازلهم) - « معجم البلدان » رسم (سوقة) - .

ويظهر أنه وقع خلط بين الموضعين في كلام بعض المتقدمين . إذن سوقتان هاتان كانتا من منازل بني حسن ، وكلتاها على مقربة من المدينة إلا أن الأخيرة أقرب ،

ولعلها هي التي عناها الأحوص ، فهو لم يذكر أنها بلدة وإنما أضاف إليها نَعْفًا وهو المكان المرتفع مما يدل على أن الاسم كان يطلق على جبل صغير أو هضبة ذي نَعْفٍ ، ولعله الوارد في قول ياقوت : (سويقة جبل بين ينبع والمدينة ، قريب من السَّيَّالَة) ثم شمل اسم عين واقعة بقربه ، وقد درست هذه العين ، ويقال بأن آثارها لا تزال مشاهدة ، وتقع سويقة هذه على يمين المتجه من المدينة إلى مكة حين يقبل على الفُرَيْشِ ، وتبعد نحو خمسين كيلاً من المدينة بقرب خط الطول : ٣٩ / ١٣ ° وخط العرض : ٢٤ / ٣٠ ° .

٤٤ - السَّيْرَانِ : (١٥٩)

أَقُولُ لَعَمْرُؤٍ وَهُوَ يَلْحَى عَلَى الصَّبَا وَنَحْنُ بِأَعْلَى السَّيْرَيْنِ نَسِيرُ
(... السَّيْرَيْنِ : قال ياقوت : بلفظ التشية ، ولا أدري ما حكمه كذا وجدته .
واستشهد بشعر الأحوص) .

السَّيْرَان - كما يفهم من البيت وكما ذكر الصاغانبي وغيره : اسم موضع . وأرى أن الشاعر غَلَّبَ موضعاً يسمى (السَّيْر) بآخر بقربه فثناهما ، وفي جهة المدينة في الطريق إلى بدر موضع ورد في « السيرة النبوية » ١ / ٦٤٣ :-

(ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كتيب بين المَضِيقِ والنازِيةِ يقال له سِر ، فقسم هناك النفل) - في خبر قفوله من بدر إلى المدينة - وقد اختلف المتقدمون في ضبط اسم الموضع ، هل هو بالموحدة أو بالثناة التحتية ، وهل الحرف الثاني مشدد مكسور أم مخفف مفتوح ، فذكر نَصْرٌ في كتابه أنه بفتح السين المهملة والباء بالموحدة المشددة المكسورة ، ثم راء (سِر) . أما الحازمي فذكر أنه بفتح السين المهملة بعدها ياء تحتها نقطتان مشددة مكسورة - (سِير) وأضاف : (وقد يخالف في لفظه) . وأورد الفيروز آبادي في « المعاني » الاسم في موضعين بالياء بالموحدة والياء المثناة التحتية ، ونقل كلام الحازمي ، وجاء السمهودِيُّ صاحب « وفاء الوفاء » فنسب إلى الحازمي ما ليس في كتابه إذ نقل عنه : (وأما سِيرٌ بفتح الشين المعجمة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة مكسورة فكثير بين

المدينة وبدر ..) إلى آخر الكلام ، وصوب السهمودي : أن الاسم (سِير) كَجَبَل . وحدّد موقعه قائلاً : شِعْبُ سِير هو المنزلة القديمة للحاج إذا رحل من المستعجلة ، ونزل في فركات الخيف ، وهناك بركة قديمة . وهذا الشعب بين جبلين تعرف بجمال المضيق علو الصفراء بينه وبين المستعجلة نحو نصف فرسخ . وذكر أن المستعجلة هي المضيق الذي يُنزلُ منه من النَّازية إلى الصفراء .

لست مطمئناً إلى أن الشاعر قصد هذا الموضع بعينه ، وإنما أردتُ لَفَتَ النظر إلى ماورد عن بعض المتقدمين بوجود موضع يطابق في الصيغة الموضع الوارد في شعر الأحوص ، الْحَقَّةُ الْمُتَقَدِّمُونَ يَبْذَرُونَ تَوَجَّ ، وهو (سِير) على ما أشار إلى ذلك صاحب « التاج » حين قال : (سِير ، كبقم : كتيب بين بدر والمدينة) . ونقل عن شيخه : يزداد على النظائر السابقة في توج وبذر انتهى . وكذا يقال في (سِير) أو (سِير) الذي ثنأه الشاعر .

٤٥ - الشبيكة : (٢٣٧)

أَحْلُ النَّعْفِ مِنْ أَحَدٍ وَأَذْنِي مَسَاكِنَهَا الشُّبَيْكَةُ أَوْ سَمَامُ

(... الشبيكة : منزل من منازل حاج البصرة بينه وبين وجرة أميال) .

اتفق المحققان على هذا ، وأصله في « معجم البلدان » نقلها عن أبي بكر بن موسى ، وهو الحازمي فقد ورد في كتابه « الأماكن » بنصّه ، ويظهر أنّه عَوَّلَ فيه على نصِّ الإسكندريّ فهو في كتابه أيضاً ، ولكنه تحديد غير دقيق ، فالمسافة بين الشبيكة ووجرة تبلغ عشرات الأميال ، إذ بين الموضعين مرحلة ، كما فصل هذا صاحب كتاب « المناسك » - ٦٠١ - إذ قال : ومرّان دون الشبيكة بثلاثة أميال ، وكان المنزل الأول فحوّل إلى الشبيكة ، وبالشبيكة آبار طيبة قرية الماء . وعلى أحد وعشرين ميلاً من الشبيكة موضع يقال له بُسَيَّان فيه بركة وآبار ، وعن يساره جبال يقال لها التُّفَرَاوَات ، ومن الشبيكة إلى وجرة أربعون ميلاً . انتهى .

وهذا الكلام مطابق للواقع ، فمرّان داخل في حرة كُشْب ، وكُشْب هذا يقع

على حَدِّ صَحْرَاءِ رُكْبَةِ الْعَرِيضَةِ مِنَ الشَّرْقِ ، وَوَجْرَةً عَلَى حَدِّهَا الْغَرْبِيِّ ، وَرُكْبَةً يَزِيدُ عَرْضُهَا عَلَى أَرْبَعِينَ مِثْلًا ، وَمَرَّانُ وَبُسَيَّانُ وَالتَّفَرَّائَاتُ لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً ، الْأَخِيرَانِ فِي وَسْطِ رُكْبَةٍ ، أَمَّا الشُّبَيْكَةُ فَقَدْ تَغَيَّرَ اسْمُهَا ، فَعُرِفَتْ بِاسْمِ الْجَفْرِ - بِالْجِيمِ وَالْفَاءِ وَالرَّاءِ - وَالْجَفْرُ لُغَةً : الْبُئْرُ الَّتِي لَمْ تُطَوَّ . أَمَّا الشُّبَيْكَةُ ، فَهِيَ الْآبَارُ الَّتِي يُفْضِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَالْعَامَّةُ كَثِيرًا مَا تُغَيِّرُ اسْمَ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا تَدْرِكُ مَعْنَاهُ إِلَى اسْمٍ تَفْهَمُهُ . وَمَوْضِعُ الشُّبَيْكَةِ - عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ بِقَرَبِ خَطِ الطُّولِ : ٣٠ / ٤١ ° وَبِقَرَبِ خَطِّ الْعَرْضِ : ٣٢ / ٢٢ ° .

وَوَجْرَةٌ قَدْ تَغَيَّرَ اسْمُهَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَشْهَرِ مَنَازِلِ طَرِيقِ الْحَجِّ الْبَصْرِيِّ وَمِنْ سَلَكِ هَذَا الطَّرِيقِ ، وَمِنْهَا كَانَ يُحْرِمُ بَعْضُ الْحَجَّاجِ ، وَلِهَذَا اهْتَمَّ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ - كَرُبَيْدَةَ وَغَيْرَهَا - بِعُمُرَانِ الْمَوْضِعِ ، بِإِنْشَاءِ الْبَرْكِ الَّتِي تَجْتَمِعُ فِيهَا مَيَاهُ الْأَمْطَارِ ، وَبِنَاءِ بَعْضِ الْقُصُورِ ، وَلَكِنْ الْخَرَابُ لِإِهْمَالِ سُلُوكِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ حِينَ اخْتَلَتْ نِظَامُ الْأَمْنِ بِضَعْفِ الْخِلَافَةِ - قَدْ أَتَى عَلَى مَا عُمِّرَ ، فَلَمْ يَبْقَ سِوَى أَطْلَالِهِ الَّتِي تَعْرِفُ الْآنَ بِاسْمِ (بَرَكَةِ زَيْبِدَةَ) وَ (الْبَرَكَةِ) وَ (الْخَرَابِ) .

وَتَقَعُ وَجْرَةٌ فِي الطَّرَفِ الْغَرْبِيِّ مِنْ صَحْرَاءِ رُكْبَةٍ ، شَرْقَ مِيقَاتِ ذَاتِ عِزْقٍ (الضَّرْبِيَّةِ) غَيْرِ بَعِيدَةٍ ، بِقَرَبِ خَطِ الطُّولِ : ٤٥ / ٣٩ ° وَخَطِ الْعَرْضِ : ١٢ / ٢٢ ° . حَيْثُ تَقَعُ الْبَرَكَةُ وَالْخَرَابُ الْمَعْرُوفَتَانِ الْآنَ .

٤٦ - الشَّظَاةُ : (٩١)

فَقَالَتْ تَشْكِي غُرْبَةَ الدَّارِ بَعْدَمَا أَتَى دُونَهَا مِنْ بَطْنِ عَكْوَةَ مِثْبُ .
 قَالَ الْمُحَقِّقُ : (وَقَالَ الْبَكْرِيُّ : يَرُودُ : أَتَى دُونَهَا بَطْنُ الشَّظَاةِ فَمِثْبُ) .
 وَقَالَ - ٢٥٤ - نَقْلًا عَنْ « وَفَاءِ الْوَفَاءِ » ١١٢٧ - (إِضْمُ وَإِجْبَالُ تَهَامَةٍ ، وَهُوَ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ الْمَدِينَةُ ، وَيُسَمَّى مِنْ عِنْدِ الْمَدِينَةِ الْقَنَاةَ ، وَمِنْ أَعْلَى مِنْهَا عِنْدَ السُّدِّ يُسَمَّى الشَّظَاةَ ، وَمِنْ عِنْدِ الشَّظَاةِ إِلَى أَسْفَلٍ يُسَمَّى إِضْمًا إِلَى الْبَحْرِ) .
 وَهَذَا نَقْلُهُ يَاقُوتٌ مَنَسُوبًا إِلَى الْبَسِيدِ عَلِيِّ بْنِ وَهَّاسٍ شَيْخِ الزَّمْخَشَرِيِّ ، وَلَكِنْ

يفهم منه أن اسم الشظاة يشمل قناة ، مع أنه في أول الكلام فَرَّقَ بينهما . ويظهر أن في العبارة حَلَلًا ، وأن صواب كلمة (الشظاة) الأخيرة (المدينة) ، يتضح هذا مما أورده السمهودي في « وفاء الوفاء » - ١١٢٧ - ونصه :

وفي « قاموس المجد » : إضم اسم جبل ، والوادي الذي فيه المدينة النبوية عند المدينة يسمى قناة ، ومن أعلى منها عند السُّدِّ الشظاة ، ثم ما كان أسفل من ذلك يسمى إضمًا . وفي « وفاء الوفاء » أيضا - ١٢٤٣ : الشظاة بالفتح اسم لوادي قناة . تقدم في إضم عن « القاموس » أنه اسم مايلي السُّدِّ من الوادي انتهى .

زاد هذا إيضاحا بقوله في « خلاصة الوفاء » : الشظاة - كَقَطَاةٍ - : وادي قناة أو مما يلي السُّدِّ منه . قال عباس بن مرداس :

وإنك عَمْرِي هَلْ أُرِيكَ ظُعَائِنَا سَلَكَنَ عَلَى رُكْنِ الشَّظَاةِ قَتِيَابًا

وهذا البيت يدل على أن اسم الشظاة يطلق على ما يُؤَالِي المَدِينَةَ من وادي قناة لأن ابن مرداس قاله من قصيدة قالها في بني النَّضِيرِ حِينَ أُجْلُوا مِنَ المَدِينَةِ إِلَى خَيْبَر ، أوردها ابن هشام في السيرة ٢/ ٢٠١ فوصف الظُعائن حين جزعن الوادي بَيْنَ الشَّظَاةِ يَسَارًا وَتِيَابَ الجبل الواقع يمينا عن طريق المتجه إلى خيبر . وكثيرًا ما يُسَمَّى كل ثني من أثناء الوادي باسم يخصه ، وقد يشمل الأثناء كلها اسم عام .

والسُّدُّ لا يزال معروفًا في مجرى وادي قناة على نحو ١٥ كيلا من المدينة في شرقها ، وجبل تِيَابَ شرقه يشاهد رأي العين ويسمى الآن (تيم) وتعريف قناة في نَصِّ ياقوت أراه خطأ ، إذ (ال) لا تدخل على الأعلام إلا سماعًا .

٤٧ - الظهران : (٢٤٦)

سَلِمْتَ بِذِكْرَاهَا وَمَا حُكِّمَ ذِكْرُهَا بِقَارَعَةِ الظَّهْرَانِ إِلَّا لَتَسْقَمَا

(في المخطوط : فارعة . وقارعة المكان : ساحته . الظهران : واد قريب من مكة - ياقوت) .

وما أُضِيفُ هُنَا؛ أَنَّ الظَّهْرَانَ - مَرَّ الظَّهْرَانَ من أعظم الأودية الواقعة بقرب مكة، وقد اتَّصل به عمراتها فشمَلَتْ ثَنِيًّا من أَثْنَائِهِ ، وعرف هذا الوادي في العصور الأخيرة باسم وادي فاطمة ، وفيه عيون كثيرة وقرى إلا أن مياه العيون نَضَبَتْ في السنين الأخيرة ، وتمتد فروع الوادي من سلسلة جبال الحجاز الواقعة شرق مكة ، وأشهر تلك الفروع النَّحْلَتَانِ وادي نخلة اليمانية صوب الغرب شمال مكة ، حيث تقع بلدتا حَذَّة وبَحْرَة ، ويستمر حتى يصب في البحر جنوب مدينة جُدَّة بنحو خمسة وثلاثين كيلاً ويقع حوضُ وادي مَرَّ الظَّهْرَانَ على خط الطول : $٣٩/٤٠^\circ$ وخط العرض : $٣٠/٢١^\circ$. أما فروعه فيمتد من قرب درجة العرض : $٤١/٤٥^\circ$ والطول : $٣٧/٢١^\circ$ ومصبه بساحل البحر عند خط الطول : $١٠/٣٩^\circ$ و $٢٠/٢١^\circ$ عرضاً - في موضع فيه قرية على الساحل تدعى الخمرة . وعما فيه من القرى والعيون يحسن الرجوع إلى مجلة العرب .

٤٨ - عَثْرُ : (١٦٥)

الْمَثُ بَعَثْرٍ مِنْ قُبَاءٍ تَزُورُنَا وَأَنْتَى قُبَاءٌ لِلْمُزَاوِرِ مِنْ عَثْرٍ

(عثر . موضع تلقاء مكة - هكذا قال البكري واستشهد بالبيت ، وقال ياقوت : بلد باليمن ..) .

١ - الذي في « معجم ما استعجم » (ص ٩٢١) عَثْرُ - بِإِسْكَانِ ثَانِيهِ - موضع تلقاء قباء ، قال الأحوص : ثم أورد البيت .

٢ - يطلق اسم عَثْرٍ قديمًا على مدينة ، ثم شمل ناحية كبيرة كما قال المقدسي في « أحسن التقاسيم » (٨٥) : ناحية عثر ناحية جلييلة عليها سلطان يرأسه ، ومدنها نفيسة ، وعَثْرُ مدينة كبيرة مذكورة لأنها قصبة الناحية . وذكر عمارة اليمني في كتاب « المفيد » - ٦٥ ، ٧٧ - تحقيق القاضي الأكواع أن عَثْرُ مَقَرُّ مُلْكٍ قَدِيمٍ ، وقال : ومن امتنع من عُمَالِ أَبِي الْجَيْشِ بن زياد سليمان بن طَرْفٍ ، صاحب عَثْرٍ ، هو من ملوك تهامة ، وعملهُ مسيرة سبعة أيام في عرض يومين ، وهو من الشرجة إلى حَلِيٍّ ، ومبلغ ارتفاعه في السنة خمس مئة ألف دينار عثرية . انتهى .

ووصف ابن أنس العذري مدينة عثر في أول القرن الخامس الهجري ، بأنها كثيرة الخير ولها رساتيق « العرب » س ١٢ ص ٣٢٦ - وقال الهمداني في « صفة جزيرة العرب » - ص ٧٦ - طبع دار اليمامة : عثر سوق عظيم شأنها .

ومما تقدم يتضح أهمية عثر . أما تحديد موقعها فقد ذكره من تحدث عن طريق حجاج اليمن بأنه واقع في تهامة ، والمخلاف الذي أطلق عليه اسم عثر حدده عمارة ، من الشرجة إلى حلي ، والشرجة درست وموقعها بقرب قرية المُوسَم ، وحُلِّي مدينة ساحلية معروفة .

ويفهم من تحديد المتقدمين لموقع عثر بأنها تقع جنوب ميناء جازان بنحو خمسة وثلاثين كيلاً .

وقال الأستاذ العقيلي في « المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » .
إن موقعها معروف عند أهل تلك الجهة ، فيما يعرف بقوز الجعافرة ، حيث توجد أطلال تلك المدينة التاريخية . أي (بقرب خط الطول : $٤٢/٣٠^{\circ}$ ، وخط العرض $١٧/١٠^{\circ}$ على ساحل البحر الأحمر) .

٤٩ - العَرَجُ : (٢٣٤)

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرَجِ مِنْهَا مَنَازِلُ وَبِالْحَيْفِ مِنْ أَدْنَى مَنَازِلِهَا رَسْمُ
(وفي « معجم البلدان » و « وفاء الوفاء » : تشوقني بالعرج منها منازل
وبالخبث ... والعرج قرية جامعة في واد بنواحي الطائف إليها ينسب العرجي
الشاعر ، وأيضاً : عقبة بين مكة والمدينة) .

١ - اسم العَرَج يطلق على مواضع أشهرها واد يقطعه الطريق بين مكة والمدينة
سيأتي تحديد موقعه ، فهو الوارد في شعر الأحوص ، والموضع الثاني نثني من أثناء وادي
الطائف الذي أعلاه وَجْ ، ثم بعد مجاوزته للمدينة وضواحيها يطلق عليه اسم

العُرج ، ولا يزال فيه سكان وزراعة في أماكن متفرقة (يقع بقرب خط الطول : $٤٠/٣٥^\circ$ وبين خطي العرض : $٢١/١٥^\circ$ و $٢١/٣٠^\circ$) وأسفل الوادي يدعى الأخيضر ، يجتمع بوادي شَرْبٍ ، ويفضي إلى موقع عكاظ قديماً حيث يتَّصل بصحراء ركبة التي يطل على شرقها جبل حضن .

٢ - مادامت صاحبة شاعرنا زُبَيْرِيَّةً من آل الزُّبَيْرِ المدنيين - فلا صلة لها بعُرج الطائف ، هي إلى العُرج الواقع بقرب المدينة أقرب ، ولا تتجاوز المسافة بين أعلى فروع هذا الوادي وبين المدينة ستين ميلاً - بسير السيارة تقارب مئة كيل - والعُرج هذا معدود من الفُرع إحدى ضواحي المدينة المشهورة وللزبيريين في الفُرع عُيُونٌ ، وقد استقر فيه كثير من مشاهيرهم ، منهم عروة بن الزبير الذي توفي ودفن - انظر « معجم ما استعجم » رسم الفُرع - والعُرج هذا هو الذي ورد في « صحيح البخاري » الباب ١٧٦ من كتاب الجهاد - عن يعقوب بن محمد الزهري المتوفى ٢١٣ أنه أول تهامة ، وهو وادٍ متعرج أعلى فروعه شَرَفُ الأثاية (الشُّفِيَّةُ الآن) ويخترق السلسلة الجبلية نحو الغرب بميل نحو الجنوب حتى ينتهي إلى الحبت السهل الساحلي جنوب ميناء الراس (الجار قديماً) وشمال (حَسْنَا) بين بَدْرٍ شمالاً وميناء مستورة جنوباً فيما كان يعرف قديماً باسم (غيقة) - أي فيما بين خطي الطول : $٤٠/٣٨^\circ$ و $٣٩/٨^\circ$ وخطي العرض : $٢٣/٢٠^\circ$ و $٢٣/١٥^\circ$.

وقد فرَّق الحافظ ابن حَجَرٍ في « فتح الباري » ١٢١٧ ج ٦ / ١٧٠ - بين العُرج ههنا فذكره بإسكان الراء ، والعُرج الذي بقُرب الطائف بفتحها . أمّا في عهدنا فتتطق ساكنة ، مع قلة من يعرف الأول بخلاف الثاني . والعين والقرية الجامعة اللتان ورد ذكرهما في كتب المتقدمين درستا ، ولا أثر لهما ولا أستبعد أن يكونا في عرج الطائف ، فهو الذي كان ولا يزال مأهولاً ومزروعاً كما سيأتي في كلام الفيروز آبادي . وتحسن الإشارة هنا إلى أن الاتفاق في أسماء المواضع بسبب الخلط في تحديدها والغلط في النسبة إليها ، ومن ذلك ما يتعلق بالموضوعين المذكورين مما ورد في كتب المتقدمين .

١ - قول صاحب « معجم البلدان » عن عُرج الطائف : قرية جامعة . وهي

أول تهامة وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا . وهذا ينطبق على العرج الواقع بين مكة والمدينة وكذا لإيراده قولِي تَبُعْ وَكَثِيرٌ ، فهما ينطبقان على هذا العرج أيضا - وليس عرج في بلاد هذيل ، بل في بلاد هوازن في وسط بلاد بني نَضْرٍ منهم .

٢ - وفي « لسان العرب » : والعَرْجُ قرية جامعة من عمل القُرْع ، وقيل : هو موضع بين مكة والمدينة ، وقيل : هو على أربعة أميال من المدينة ، ينسب إليه العرجي الشاعر .

والخطأ هنا في تحديد المسافة بينه وبين المدينة بأربعة أميال ، ولعل الأصل (أربع ليال) فحرف ، ثم نسبة الشاعر العرجي إليه ، والمقصود بالتعريف العرج الذي بين المدينتين الكریمتين ، وليس الشاعر العرجي منسوباً إليه بل إلى عرج الطائف .

٣ - ويأتي الفيروزآبادي صاحب « القاموس المحيط » فيقول : والعَرْجُ - بالفتح - بلد باليمن ، وواد بالحجاز ذو نخيل ، وموضع ببلاد هذيل ، ومنزل بطريق مكة ، منه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الشاعر . ويكرر شارحه قول صاحب « اللسان » على ما فيه ، ولكن صاحب « القاموس » يستدرك في كتابه « المغامم المطابة في معالم طابة » فيقول ما ملخصه :

العرج اسم لموضع بين الحرمين على ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة ، مسيرة يومين وبعض الثالث ، وقيل : العرج عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج .. والعَرْجُ أيضا بلد باليمن قريب من المَهْجَم ، والعرج أيضا قرية جامعة في واد من أودية الطائف ، وإليها ينسب العرجي الشاعر .. وقد عرفت هذه القرية ومكانها في مسيري إلى جبل إبراهيم ، وهي على ثلاثة أميال من الطائف للراكب المُجَدِّ . انتهى .

والمسافة أطول مما حدد إذا كان قصده مدينة الطائف التي فيها الجامع الواقع فيه قبر ابن عباس - أي قاعدة المنطقة - أما إذا أراد المنطقة نفسها فالعرج داخل فيها .

٥٠ - عَزَّوَرُ : (١٤٢)

أَلَا طَرَقْتَنَا بِالْمَوْقِرِ شَعْفَرُ وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهَا قَدِيدٌ وَعَزَّوَرُ

(.. قَدِيدٌ : موضع قرب مكة . وَعَزُورٌ هِيَ ثَنِيَّةُ الْمَدِينَتَيْنِ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ) .

١ - هذا القول أورده ياقوت في « معجم البلدان » وأورد شاهداً عليه من قول ابن هرمة :

وَلَمْ يَنْسَ أَطْعَاءًا عَرْضَنَ عَشِيَّةً طَوَّالِعَ مِنْ هَرَشَى قَوَاصِدَ عَزُورًا
ولكن الشاهد يفهم منه قرب عَزُورَ من هَرَشَا ، مما يدل على أنها ليست الثنية التي تفضي إلى بطحاء مكة ، كما أورده ياقوت عن (أبي نصر) : (عزور ثنية الجحفة عليها الطريق بين مكة والمدينة) وصواب (أبي نصر) : (نصر) فقد قال نصر ابن عبد الرحمن الإسكندري في كتابه في (باب غرور وعزور) .. وأما بفتح العين المهملة وسكون الزاي : ثنية الجُحفة عليها الطريق بين مكة والمدينة ، وجبل عن يَمَنَةِ طريق الحاج إلى معدن بني سُليْمَ بينهما عشرة أميال .

وقال الحازمي في كتاب « الأماكن » (باب عزور وغرور) .. أما الأول بفتح العين وسكون الزاي وفتح الواو - ثَنِيَّةُ الجحفة عليها الطريق بين مكة والمدينة ، قال أمية :

إِنَّ التَّكْرُمَ وَالنَّدَى مِنْ عَامِرٍ جَدَّاكَ مَا سِلَكْتَ لِحَجٍّ عَزُورُ
والجحفة هي التي بقرب هرشا الواردة في شعر ابن هرمة .

وفي كتاب « الجيم » - ٩٤ / ١ :

لَمَّا بَلَّغْنَا الْبَيْضَ مِنْ تَمَنِّيٍّ وَعَزُورٍ كَالرُّجُلِ الْجَلْحَنِ
وَأَعْرَضْتُ دَوَّةً كَالْمِجَنِّ

وهذا يدل على قرب عزور من تَمَنِّيٍّ ومن البيضر ومن دَوَّةً ، وَتَمَنِّيٍّ في سفح هرشا كما في « المناسل » - ٤٥٥ - وكذا الْبَيْضُ ، وَهَرَشَا لاتزال معروفة بقرب رابع القريب من الجحفة ، ودَوَّةُ ذكر ياقوت في « معجم البلدان » أنه موضع من وراء الجحفة بستة أميال .

وفي « معجم ما استعجم » - رسم الجحفة - : وفي أول الْجُحْفَةِ مسجد النبي ﷺ يقال له : عَزُور .

وأورد البكري أيضا في رسم المُشَلَّل لِمْزَرِدٍ :
تَدْبُ مع الرُّكْبَانِ لَا يَسْبِقُونَهَا وَحَلَّتْ بِجَنَّتِي عَزُورٌ فَالْمُشَلَّلُ
ونقل عن يعقوب : عَزُورٌ وادٍ قريب من المدينة .

٢ - من النصوص المتقدمة يفهم أن ثنية الجحفة تدعى عَزُورٌ ، وهذه الثنية في أول الجحفة حيث مسجد النبي ﷺ في ذلك الموضع ، والجحفة لا يزال موقعها معروفا ، وقبل أن يصلها المتجه من المدينة إلى مكة يمرُّ بِكُراعِ حَرَّةٍ متمد ، يسير الطريق القديم شرقه ، وقبل أن يَصِلَ إلى الجُحفة بنحو عشرة أكيال يجزَع طرف الكراع من تلك الحرة التي تدعى الْعَزُورِيَّةَ ، وفيها ثنية تفضي إلى الجحفة في الشمال من الجحفة بقربها (بقرب خط الطول : ٣٩/٠٥ ° وخط العرض : ٢٢/٤٥ °) .
ولاشك أن تلك الثنية هي ثنية عَزُورٍ ، لأنَّ النصوص المتقدمة تنطبق عليها .
٣ - ثنية الْمَدَنِيِّينَ هي التي عَرَّفَهَا الْأَزْرَقِيُّ في «أخبار مكة» ٢٨٦/٢ بقوله : مقابرُ أَهْلِ مكة بأَصْلِ ثنية المدنيين ، وهي التي كان ابن الزبير مصلوباً عليها ، وكان أول من سهلها معاوية . إلى آخر ما قال . وقال محقق الكتاب الأستاذ رشدي ملحس : وتسمى أيضا كَدَاءَ ، وهي العقبة الصغرى التي بأعلى مكة ، يُهْبَطُ منها إلى مقبرة مكة والأبطح ، وذكر ياقوت أنها تسمى عَزُورٌ ، ويطلق عليها أهل مكة الْحُجُونُ . انتهى .

وهذه الثنية تسمى أيضا : ثنية المقبرة ، وثنية المعلاة وهي معروفة وتتوسط عمران مكة الآن ، وكان طريق القادم من المدينة يدخل منها إلى مكة .
٤ - قد يطلق اسم عَزُورٍ على غير الموضع الذي بقرب الجحفة ، وسبق تعريفه ولكنني لم أرَ فيما اطلعت عليه من سمي ثنية المدنيين بثنية عزور غير ياقوت .

٥١ - العقيق : (١٣٤)

يَوْمِي وَيَوْمُكَ بِالْعَقِيقِ إِذِ الْهَوَى مَنَا جَمِيعُ الشَّمْلِ لَمْ يَتَبَدَّدِ

(العقيق بالمدينة ، وبها عقيق آخر ، العقيق الأكبر فيه بئر عُرْوَة التي مر ذكرها
ق : ١ هامش : ٣ - والعقيق الأصغر فيه بئر رومة التي اشتراها عثمان - رضي
الله عنه - وسيدكرهما الأحوص معاً في ق ٩٣ بيت ٢) .

العقيقان : (١٨٤)

أَصَاحَ أَلَمْ تَحْزُنْكَ رَيْحُ مَرِيضَةٍ وَبَرَقَ ثَلَالًا بِالْعَقِيقَيْنِ لَامِعُ

١ - تعريف العقيقين بكون أحدهما فيه بئر عروة والآخر فيه بئر رومة تعريف
لا يقوم على أساس ، فالآبار قد يغور مأوها ، ويدرس موقعها ، بل إن بعض تلك
الآبار حدث لها هذا ، فقد جاء في كتاب « المغامم المطابة » - ٤٤ - عن بئر عروة
مانصه :

سألت عنها أهل المدينة فلم يُعَيِّنُوها ، وإنما ذكروا لي بئرا عند قصر عروة رجماً
بالغيب ورمياً للكلام على عواهنه .. إلى آخر ما ذكر .

وجاء السهمودي في « وفاء الوفاء » - ١١٣٩ - فقال : كانت شهيرة ثم دثرت
حتى قال المجد : إنه لم يجد من يعرفها .

٢ - ويحسن أن يقال في تعريف العقيق في المدينة : هما عقيقان ، العقيق الكبير
مبدأه من حَضِير على مسافة تقرب من يوم من المدينة قَبْلِيَّهَا وينحدر إلى بئر المحرم
(ذي الحُلَيْفَةِ) .

والعقيق الثاني وهو الذي ورد فيه الحديث إنه وإذ مبارك هو الذي يَمْتَدُّ من بطن
ذي الحُلَيْفَةِ إلى مجتمع الأسيال قبلي الجرف ، وانظر لتفصيل ماتقدم كتاب « وفاء
الوفاء » للسهمودي .

٥٢ - عكوة : (٩١)

فَقَالَتْ تَشْكِي غُرْبَةَ الدَّارِ بَعْدَمَا أَتَى دُونَهَا مِنْ بَطْنِ عَكْوَةِ مِثْبُ :

(عكوة : مثناها عكوتان اسم جبلين منيعين مشرفين على زبيد باليمن . ميثب :
ماء بنجد لعقيل ثم المنتفق ، وقال الأصمعي : هو ماء لعبادة بالحجاز ، وقال غيره :

مَيْتُبُ واد من أودية الأعراض التي تسيل من الحجاز إلى نجد) .

- ١ - تعريف عكوة منقول من « معجم البلدان » لياقوت ، وبعده : من إحداهما عمارة بن أبي الحسن الشاعر ، من موضع يقال له : الزرائب . إلى آخر ما ذكر .
- ٢ - حقق الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في بحث نشرته مجلة « العرب » س ٣ ص ٤٢٧ أن جبلي العكوتين يقعان في المخلاف السليماني ، الذي قاعدته جازان ، ويتعدان عن هذه القاعدة نحو خمسين كيلاً في الجهة الشرقية الشمالية وعن قرية جُجَيْرَة بنحو سبعة أكيال ، وأورد شواهد تاريخية تدل على انطباق هذا التحديد على الواقع ، وهما على هذا التحديد بعيدتان عن مدينة زَبِيد واقعتان شمالها ، ولا يشرفان عليها . وفي إحدى العكوتين آثار عمران قديمة .

٥٣ - غُلَيْبُ : (٩٢)

وَقَدْ شَاقَهَا مِنْ نَظْرَةٍ طَرَحَتْ بِهَا وَمِنْ دُونِهَا بَرَكُ الْغِمَادِ فَعُلَيْبُ
قال : (طَرَحَ - بتشديد الراء ، واطَّرَحَهُ - بتشديد الطاء - وطرحه كَمَنَعَ رماه وأبعده . وبرك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال ممالي البر ، وفي حديث الهجرة : لو أمرنا أن نبلغ معك بها برك الغماد . وغلَيْبُ : موضع بتهامة) .

- ١ - ما أكثر المواضع في تهامة وما أوسعها .
- ٢ - للمتقدمين تحديدات واسعة لهذا الموضع لوقوعه على طريق الحج اليماني لاداعي للتوسع في إيرادها .

٣ - غُلَيْبُ لا يزال معروفاً بهذا الاسم ، وهو وادٍ طويل ، يخترق تهامة من شمال بلدة الْحَجْرَة (حَجْرَة دَوْس) غير بعيد عنها بقرب خط العرض : ٢٠/٣٥ وخط الطول : ٤٠/٥٨ ° ويمتدُّ مُتَّجِهاً صوب الغرب ، متعرجاً ، حتى يصب في البحر بقرب درجة العرض : ٢٠/٣٥ ° ودرجة الطول : ٤٠/٣٥ ° . ويعرف أسفل الوادي باسم الشَّاقَّةِ اليمانية ، وهو واقع جنوب وادي حَلِيَّة الذي يعرف الآن باسم الشَّاقَّةِ الشَّامِيَّةِ ، ويقع جنوب وادي غُلَيْبٍ وادي دَوْقَة .

٥٤ - عَيْرَان : (١٠٩)

أَقَوْتُ رُوَاوَةً مِنْ أَسْمَاءَ فَالْسِّنْدُ فَالْسَّهْبُ فَالْقَاعُ مِنْ عَيْرَيْنِ فَالْجُمْدُ
(... عَيْرَان : جَبَلَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا عَيْرٌ الْوَارِدُ وَالْآخَرُ عَيْرٌ الصَّادِرُ ، وهما
مِثْقَارَانِ . قَالَ عَرَامٌ : هُمَا عَنْ يَمِينِكَ بَيْطُنُ الْعَقِيقِ وَأَنْتِ تُرِيدُ مَكَّةَ) .

هذا التعريف لياقوت ، ولكن هنا إشكال في قول عرام عَنْ عَيْرَيْنِ أَنَّهُمَا عَنْ يَمِينِكَ
بَيْطُنُ الْعَقِيقِ وَأَنْتِ تُرِيدُ مَكَّةَ وهذا القول في رسالته « أسماء جبال تهامة وسكانها » -
٤٢٥ « نودار المخطوطات » - ونصه :

ويحيط بالمدينة من الجبال جبلان أحمران من عَنْ يَمِينِكَ وَأَنْتِ بَيْطُنُ الْعَقِيقِ تُرِيدُ
مَكَّةَ ، وَمِنْ عَنْ يَسَارِكَ شُورَانُ ، وَهُوَ جَبَلٌ يَطُلُّ عَلَى السُّدِّ كَبِيرٌ مُرْتَفِعٌ . انْتَهَى .
ووجه الإشكال في كلام عرام هو أن المتجه إلى مكة من المدينة يَدْعُ جَبَلٌ عَيْرٌ
عَلَى يَسَارِهِ لَا عَلَى يَمِينِهِ ، وَلَوْ قِيلَ بِأَنَّ صَحَّةَ الْعِبَارَةِ : (وَأَنْتِ بَيْطُنُ الْعَقِيقِ تُرِيدُ
الْمَدِينَةَ) لَصَحَّ ، وَلَكِنْ لَا يَقَعُ جَبَلُ شُورَانَ عَلَى يَسَارِكَ كَمَا ذَكَرَ بَلْ عَلَى يَمِينِكَ أَيْضًا
لأنه خلف عَيْرٍ ، شَرْقُهُ .

وقد أوضح السمهودي وغيره أن جبل عَيْرٍ فِي قِبَلَةِ الْمَدِينَةِ ، وَفِي شَرْقِ الْعَقِيقِ ،
وَأَنَّ فَوْقَهُ جَبَلَا آخَرَانِ ، يُسَمَّى بِاسْمِهِ يُقَالُ لَهُ عَيْرٌ الصَّادِرُ ، وَلِلْأَوَّلِ عَيْرٌ الْوَارِدُ - « وفاء
الوفاء » ١٢٦٩ .

وعير جبل لا يزال معروفًا يشرف على المدينة ، ويمتد طرفه حتى يبلغ العقيق ،
بقرب ذي الحليفة (آبار علي) على بعد نحو اثني عشر كيلًا من المدينة .

٥٥ - عَيْنَبُ : (٢٦٧)

أَلَا أَيُّهَا الرَّبُّعُ الْمُجِيلُ بَعَيْنَبُ سَقَّتَكَ الْعَوَادِي مِنْ مَرَاكِ وَمَعْرَبِ
قَالَ أَسْتَاذُنَا السَّامِرِيُّ - ٤٣ - : (فِي « مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ » : عَيْنَبُ اسْمُ أَرْضٍ مِنْ
بِلَادِ الشَّحْرِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَالْيَمَنِ ، وَفِي « مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ » : عَيْنَبُ مَوْضِعٌ فِي
الْحِجَازِ) .

- ١ - من المستبعد أن يقصد الشاعر الأحوص المدني موضعاً بعيداً عن بلاده .
 ٢ - هناك اختلاف في ضبط الاسم هل هو (عنب) بنون بعدها باءان موحدتان، أو (عنب) بياء مثناة بعد العين وبعدها نون فباء ، وقد أشار إلى هذا الاختلاف البكري في « معجم ما استعجم » في رسم الاسمين .
 ٣ - يظهر لي أن صواب الاسم (عنب) بعد النون باءان موحدتان ، وأنه لا عبرة بما ورد في كتاب « جمهرة اللغة » - ٣٦٨ الطبعة الثانية - من أن عنب موضع وأنه تصحف عليه ، فعنب من أمثلة سيبويه على ما ذكر ياقوت في رسمه في « معجم البلدان » .

وجاء في كتاب « شرح أشعار الهذليين » - ٩٣٧ - في قصيدة لأبي صخر الهذلي :

قُضَاعِيَّةٌ أَذْنَى دِيَارٍ تَجَلُّهَا قَنَاةٌ وَأَذْنَى مِنْ قَنَاةِ الْمُحَصَّبِ
وَمِنْ دُونِهَا قَاعُ النَّقِيعِ فَاسْقِفْ فَبَطْنُ الْعَقِيقِ فَالْجُنَيْبِ فَعَنْبِ

ويؤيد هذا أن البكري قال : رأيت بخط ابن الأعرابي بعنب ، بضم العين وتقديم النون على الباء . وابن الأعرابي هو الذي روى شعر الأحوص ورآه البكري بخطه ، كما في مواضع من كتابه « معجم ما استعجم » .

وعلى هذا فينبغي أن يكون (عنب) هذا بقرب النقيع وأسقِف والعقيق ، وكلها في ضواحي المدينة ، والجنيب أو الخبيث الذي قال عنه البكري في رسمه : على يريدين من المدينة . وأكثر تلك المواضع مما ورد ذكره في الأحوص .

٥٦ - الغديران : (٢٧٥)

سيأتي شاهده في (المداخن) .

فقد وصف الشاعر دار حبيبته بأنها بلقع بأجزاء الغديران ، والأجزاء جمع جَزَع : منقطع الوادي ومُنْعَطَفُهُ ، وكثيراً ما توجد الغدران في أجزاء الأودية ، وتكثر في وادي النقيع عند اتصاله بوادي العقيق ، لانحدار السيل من مكان مرتفع

في أرض صلبة ، يحفرها فيجتمع فيها الماء ، ويبقى مدة طويلة . ومن تلك الغدران غديرُ مُزَج ، الذي ذكره الشاعر وسيأتي . وقد يكون أراد غيره من الأغدره الكثيرة في المواطن التي كان يألفها حول المدينة إن صحت نسبة الشعر إليه .

٥٧ - غزال : (١٣٤)

وَبِالنَّعْفِ مِنْ فَيْفَا غَزَالٍ ذَكَرْتُهَا فَطَالَ نَهَارِي وَاقِفًا وَتَلَدُّدِي

(النعف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل في الوادي ومثله الخيف وفيفا غزال : أصله بالمد . والفيفاء الصحراء الملساء ، وقد أضيف إلى عدة مواضع . منها فيفاء الخبر وهو بالعقيق . وفيفاء رشاد . وفيفاء غزال بمكة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح) .

١ - الفيفاء : كل أرض واسعة ، والتعريف منقول عن « معجم البلدان » ، ولكن القول بأن (فيفاء غزال بمكة) غريب ، وإن قال به ياقوت ، فمواضع مكة قد حددها الجنيون بتاريخها كالأزرق والفاكهى وغيرهما ، ولم أر من عدَّ فيفاء غزال في مكة سوى ياقوت . وأغرب في استدلاله بقول كثير :

أُنَادِيكَ مَا حَجَّ الْحَجِيجُ وَكَبُرَتْ بِفَيْفَا غَزَالٍ رُقْنَةُ وَأَهْلَتْ

ولعله فهم من التكبير والإهلال بالحج أو العمرة وقوع المكان بمكة ، والأمران يقعان من الحاج أو المعتمر عند ميقات الإحرام الخارج عن مكة .

٢ - أقرب إلى الصواب قول البكري في « معجم ما استعجم » : غزال ثنية بين الجُحْفَةِ وَعُسْفَانَ . وأورد شاهداً من شعر كثير ، وفي رسم فيف أشار إلى أن الأحوص قصد ذلك الموضع . ومعروف أن الجُحْفَةَ من مواقيت الإحرام ، وأن عُسْفَانَ قبل مكة للقادم من المدينة .

٣ - بل لقد أوضح موقع (غزال) هذا كثيراً حين وصف رحلة أحبابه في الاتجاه من الجنوب إلى الشمال ، فبعد أن ذكر (فَيْدَةَ) الواقعة جنوب عسفان قال « ديوانه » - ٣٩٥ :-

قَلَنْ عُسْفَانَ ثُمَّ رُحْنَ سِرَاعًا طَالِعَاتٍ عَشِيَّةً مِنْ غَزَالٍ
قَارِضَاتٍ الْكَدِيدِ مُجْتَرَعَاتٍ كُلُّ وَادِي الْجُحُوفِ بِالْأَثْقَالِ
قَصْدَ لِفْتٍ ، وَهْنٌ مُتَسَقَاتٍ كَالْعَدُولِيِّ لِاحِقَاتِ التَّوَالِي

ثم ذكر دَوَّةَ وَسْرِيرِ الْبُضَيْعِ وَمَذْرَجَ الْعُرْجِ ومواضع أخرى بقرب المدينة .
ووصف كثير لموقع غَزَالٍ لا يدع مجالاً للشك في كونها واقعة بين عُسْفَانَ وبين
(لِفْتٍ) ، وعسفان بلدة معروفة ، وَلِفْتُ ثَنِيَّةٌ تَخْتَرُقُ حَرَّةً واقعة شمال وادي
خَلِيس .

٤ - ونجد للبكري نصاً صريحاً في تحديد موقع غزال حيث قال : « معجم
ماستعجم » ٩٥٦ : غزال ثَنِيَّةٌ عسفان تلقاها قبله بِأَرْجَحَ من ميل . انتهى . وهذه
الثنية معروفة ، وكانت تسلك في العهود القديمة للمتجه إلى عسفان من الشمال .
أما الآن فقد انحرف عنها الطريق ، تقع ثنية غزال بقرب خط الطول : ٣٩ / ٥ °
وخط العرض : ٢٢ / ٤٥ ° ، وهي تبعد عن مكة نحو تسعين كيلاً على وجه التقريب .

٥٨ - الْغَمْرُ : (١٤١)

عَفَا السَّفْعُ فَالْزَيَّانُ مِنْ أُمِّ مَعْمَرٍ فَأَكْنُافُ قُرْحٍ فَالْجُمَانِ ، فَالْغَمْرُ
قال المحققان (... الغمر : بجاء تُوَزِ شرقُهُ جبل يقال له : الغمر (النسر) ،
وتوز من منازل طريق مكة من البصرة معدود في أعمال اليمامة) .

وورد اسم (ذي الغمر) فيما نسب للأحوص من الشعر ، ولكن المحقق الدكتور
عادل رجع نسبته لابن الدمينية (٢٧٧) وأشار الدكتور السامرائي إلى ذلك وإلى
الجنون ، وأغرب في النقل عن « معجم البلدان » أن ذا الغمر بئر قديمة بمكة ، إذ
لا صلة لهذه البئر بهذا الشعر المنسوب إلى شعراء بعيدة بلادهم عن مكة .

١ - تعريف الْغَمْرِ حسبما اتفق عليه المحققان نقله صاحب « معجم البلدان » عن
أبي عُبيد السكوني ، وأستاذنا السامرائي جعل كلمة (النسر) مكان الغمر الثانية ،
ولم أعرف مصدره .

٢ - لوصح البيت للأحوص ، وانطبق مأورده المحققان الكريمان على المواضع المذكورة وأنها التي أراد الشاعر لجاز القول بأنه يأتي بكلام بعيد عن الحقيقة ، إذ كيف يُعقل استطاعة محبوبته الحلول في هذه الأمكنة المتباعدة بين شرق الجزيرة (السفح) وغربها (الريان) وشمالها (قُرح والغمر) في عهد ماكان يسوغ لقبيلة أن تخلط أخرى في منازلها التي تخصصها . على أن البكري في « معجم مااستعجم » - ١٠٦٢ ذكر أنها (مواضع متدانية) . وهذا لا يتفق مع ما عرّف به المحققان الأماكن المذكورة .

٣ - العَمْرُ يسمى به مواضع من أشهرها :

جبل في حِمَى قَيْدَ ، وهو الواقع شرق تُوْزَ ، الذي لا يزال معروفاً باسم (التُوْزِي) في الشمال الشرقي من بلدة سَمِيرَاء بنحو ثلاثين كيلاً ، وغرب بلدة قَيْد بنحو خمسين كيلاً (بقرب خط العرض ٣٥/٢٦° ، وخط الطول ٥٠/٤١°) . ومنهل ورد ذكره في « السيرة النبوية » في خبر سرية عُكَّاشَة بن مِحْصَن إلى بني أسد ، كان في بلادهم يقع غرب الجبل المذكور بمسافة بعيدة . وواد بين الشام وتيماء من روافد وادي تَيَّان ، فيه منهل يدعى الغمارية معمور ومأهول .

ووادٍ في أعلى وادي نخلة الشامية التي هي من أودية مكة ويعرف بغمر ذي كندة . كل هذه المواضع المتقدمة وردت في الأخبار والأشعار ، وليس بينها ماهو قريب من المدينة بلدة الشاعر الأحوص ، ولا مايقرب من المواضع التي كرر ذكرها في شعره .

٤ - والذي أراه أن هذا البيت ليس للأحوص الذي شحن شعره بأسماء مواضع بقرب المدينة ، أو في النواحي التي سافر إليها كاليمن والشام .

٥٩ - الفتح : (١٤٦)

أَلَمْ تَعْجَبًا لِلْفَتْحِ أَصْبَحَ مَائِهِ وَلَا يَلْوَى الْأَرْضَى مِنَ الْحَيِّ وَابِرُ

(الفتح : لاريب أنه مكان ، واجتهدت فلم أعر عليه في المعاجم . فلعله محرف . ولوى الأرطى : قال ياقوت : هو في الأصل منقطع الرملة يقال : قد ألويتم فانزلوا . إذا بلغوا منقطع الرمل ، وهو أيضا موضع بعينه قد أكثر الشعراء من ذكره . وخلطت بين اللوى والرمل فعز الفصل بينهما ، وهو واد من أودية بني سليم .. لوى الأرطى في شعر الأحوص بن محمد . ولم يحدده . ويقال : مبالدار وابر ، أي أحد) . وقال الدكتور السامرائي - ٨٠ - : الفتح لم أهتد إلى معرفته . وأضيف إلى رأي المحققين الكريمين عن (الفتح) أن قبل البيت بيتا يفهم منه أن الشعر ليس للأحوص وهو :

تُخْبِرُ - وَالرَّحْمَنِ - أَنْ لَسْتُ زَائِرًا دِيَارَ الْمَلَا مَا لَا يَمُ الْعَظَمَ جَابِرُ

ونقل المحقق : (الملا : موضع من أرض كلب ، والملا أيضا لبني أسد) وقال الدكتور السامرائي : الملا مابين نقعاء ، وهي قرية لبني مالك بن ثمامة بن عمرو بن جندب من ضواحي الرمل . انتهى وصواب (نقعاء) : (بقعاء) وسيأتي عند الكلام على الملا زيادة إيضاح عنه . وأيا كان الموضعان فلا صلة لهما بالموضع التي يتكرر ذكرها في شعره من مواضع بلاده أو التي يتطرقها في رحلاته إلى الشام أو اليمن .

٦٠ - فُلَجْ : (٢٣٦)

أَنْ نَادَى هَدِيْلًا ذَاتَ فُلَجْ مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي فَنَنِ حَمَامٍ ؟

(فُلَجْ : واد بين البصرة وحمى ضَرِيَّة ، في طريق مكة ، وهو من منازل بني العنبر ابن عمرو بن تميم) ونحو هذا التعريف لفُلَجْ أورد أستاذنا الدكتور السامرائي محيلاً إلى « معجم البلدان » .

١ - لم يوضح المحققان الكريمان موقع (ذَاتَ فُلَجْ) المنصوبة من الإعراب ، فالمنادي الحمام ، والمنادى الهديل على ما فسر الدكتور كمال - ١٧١ - : (والهديل تزعم الأعراب أنه فرخ كان زمن نوح (ع.م) فمات عطشاً فيقولون إنه ليس من

حمامة إلا وهي تبكي عليه) . قد تكون (ذات فَلَج) . منصوبة بنزع الخافض كما في قول مزاحم العقيلي :

وَقَالُوا تَعْرِفُهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِثِّي وَمَا كُلُّ مَنْ وَافَى مِثِّي أَنَا عَارِفٌ

وعلى هذا تكون رواية (بَطْنُ فَلَج) التي أشار إليها المحققان أصح ، إذ الموضع يسمى فَلَجًا ، وَبَطْنُ فَلَج ، فهو وادٍ عظيم ، ذُو بَطْن ، وَقَدْ كَوَّنَ فَلَجًا ، أي شقًا واسعًا طويلاً يمتد شرق الجزيرة إلى الخليج العربي .

٢ - المسافة بين البصرة وحمى ضَرِيَّة تبلغ نحو (٤٠٠) ميل كما حددها المتقدمون وتعريف المواضع بسكانها أصبح لا يفيد في هذا العصر الذي انتقلت فيه القبائل القديمة من مساكنها ، بل جهلت أكثر تلك القبائل ، كبنو يربوع - وأدنى فلج من البصرة لا يزيد على ٩٠ ميلًا ، ولكن أعلى الوادي يمتد حتى الدهناء ، وكان يقطعها حتى تبلغ فروعه وسط حَرَّة خَيْبَر في شرقي الحجاز ، ولا يزال أثر مجرى الوادي يُبْذَرُ أثناء مواقع قليلة الرمال من الدهناء ، ومن خرافات العامة أن جبل سنام الواقع بقرب البصرة في أسفل الوادي كان قد انجزع من حَرَّة خَيْبَر شرق المدينة ، وسار مخترقًا الجزيرة حتى استقر في مكانه ، وَشَقَّ بَمَجْرَاهِ وادي فَلَج ، ويقولون بأنه يشبه تلك الحَرَّة في طبيعة تكوينه ، وما ينبت فيه من أشجار ونبات .

٣ - وقع في كلام بعض المتقدمين خلط بين (فَلَج) بفتح اللام و (فَلَج) بإسكانها ، والأول قديم أكثر مضافًا (فَلَجُ الْأَفْلَاج) ويراد به منطقة واسعة في جنوب تَجْدِذَاتُ أَفْلَاج - أنهار - كثيرة ، تعرف الآن باسم الأفلاج ، والثاني يراد به هذا الوادي الذي أصبح الآن يعرف باسم الباطن ، والباطن يقصد به الوادي العظيم ، كما يقال باطن الرياض هو واديها الذي كان يعرف باسم العرض .

٤ - أنشئ في الباطن (فَلَج) في القرن الماضي هُجْرًا اسْتَقَرَّ بها بعض أهل البادية ، منها (الْحَفَر) بفتح الفاء الذي كان يعرف قديمًا بِحَفَرِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ الذي تولى إمارة البصرة في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٧ من الهجرة ، ومنذ نحو عشر سنوات عُمِرَتِ الْحَفَرُ حتى أَصْبَحَتْ مدينة كثيرة السكان ، حديثة

العمران ، تُضَاهِي بذلك كبريات المدن في المملكة .

٥ - فَصَّلْتُ الكلام عن (فَلَجٌ .) في قسم المنطقة الشرقية من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » - ١٣١٥ إلى ١٣٣٠ - ومما قلت : من شرق الدهناء يَتَّضِح مجرى وادي فَلَجٍ منحدرًا نحو الشرق ، من فَوْق منهل الثمامي (المجازة قديما) مارًا بأمِّ العُشْر ومواقع أخرى أشهرها مدينة الحفر ، ثم يستمرُّ مُشْرَقًا بِجِيل نحو الشمال إلى قرب الخليج حيث يَخْتَفِي في السهول هناك . وهذا معنى قول صاحب « النقائض » - ٤٨٥ - : فَلَجٌ لِبَلْعَتَيْرٍ وهو ما بين الرُّحَيْل إلى طرف الدهناء وهو المجازة . انتهى والرحيل يبعد عن البصرة نحو ٦٠ كيلًا (فَلَجٌ بين خطي الطول : $٤٦/٥٥^{\circ}$ و $٤٧/٣٠^{\circ}$ وخطي العرض : $٢٧/٣٠^{\circ}$ و $٣٠/٣٠^{\circ}$) .

(يتبع)

نصير الدين الطوسي أهم شخصية
علمية في شرقي العراق خلال القرن
السابع الهجري ..

والدراسة التي نعرضها هنا خطوة
على طريق فهم هذه الشخصية ، التي
لاتزال محتاجة إلى الكثير من الجهود
للإفادة مما قدمته للعلم .

هكذا يقول د. يوسف زيدان ، الذي
يتتبع في هذا البحث دراسة السيد عباس
سليمان بالعرض والتحليل والنقد ، ويشير
الكثير من الأسئلة التي تفتقر إلى
الإجابة ، كما يصحح عددًا من المقولات
التي لم تستند على أسس قوية .

« المجلة »

النصير الطوسي

وكتابه « التجريد »*

(الباحث : عباس سليمان)

عرض ونقد وتحليل : د. يوسف زيدان**

* رسالة دكتوراه نوقشت في أواخر عام ١٩٩٠ في قسم الفلسفة بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، وحصل
صاحبها على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى .

** باحث مصري متفرغ .

يعد نصير الدين الطوسي [محمد بن محمد بن الحسن] من أشهر رجال العلم العربي في القرن السابع الهجري ، وله أيضاً مكانته المتميزة كأحد كبار الفلاسفة والمفكرين الدينيين في زمانه .

وُلد الرجل في جُمادى الأولى سنة ٥٩٧ هجرية = فبراير ١٢٠١ ميلادية ، وعاش حياة حافلة بالإنتاج العلمي والتقلبات السياسية والدينية . وتوفي وهو في الخامسة والسبعين ، وقت غروب الشمس ، يوم الإثنين ، ثامن عشر ذي الحجة سنة ٦٧٢ هجرية ، الموافق ٢٦ يونيو ١٢٧٤ ميلادية .

* * *

فيما عدا الدراستين اللتين قدمهما عبد الأمير الأعسم^(١) وعارف تامر^(٢) ، لم يهتم الباحثون العرب العصريون بالطوسي ، على الرغم من أن الأقلام الاستشراقية توقفت عنده^(٣) ، والمصادر التاريخية الإسلامية حفلت بترجماته ، والمكتبات الخطية مليئة بنسخ مؤلفاته .

من هنا تأتي أهمية رسالة الدكتوراه التي قدمها الباحث عباس سليمان بعنوان « نصير الدين الطوسي أول كاتب لقلعة الموت ، دراسة وتحقيق لمخطوط : تجريد العقائد » . هذه الرسالة نوقشت أواخر ١٩٩٠ بكلية الآداب - قسم الفلسفة - جامعة الإسكندرية ، ونال صاحبها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى .

بدأ الباحث رسالته ببيان أهمية دراسة وتحقيق تراث نصير الدين الطوسي ، وهي أهمية ليست في حاجة لبيان ! فالرجل وتراثه كانا حقاً في حاجة لدراسة وتحقيق ، إذ هو أهم شخصية علمية في شرق العراق خلال القرن السابع الهجري ، وكان من المؤسف أن تنأى عنه الدراسات الأكاديمية في معاهدنا العلمية حتى الآن .. بل إننا

(١) د/ عبد الأمير الأعسم : « الفيلسوف نصير الدين الطوسي .. » وقد طُبِعَ هذا الكتاب مرتين ، الثانية منها صدرت عن دار الأندلس ببيروت ، عام ١٩٨٠ .

(٢) عارف تامر : نصير الدين الطوسي في مرابع ابن سينا ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٣ .

(٣) غالباً ماتت اهتمامات الباحثين في التراث العربي كصدى لاهتمام المستشرقين به ! وبخصوص الاهتمامات الاستشراقية بالطوسي ، يمكن مراجعة مقالة شتروتمان عنه بدائرة المعارف الإسلامية ، وكذلك مقالة بلوشيه بدائرة المعارف الكبرى .. ومن البحوث الخاصة بالطوسي ، ما كتبه G.M. Wickens في مقدمة تحقيقه لمخطوطة « The Nasiran Ethics » أو « أخلاق ناصري » التي نشرها بلندن ١٩٦٤ .

سنرى في آخر هذا المقال ، أن الطوسي لا يزال في حاجة لدراسة وتحقيق .
تنقسم الرسالة إلى جزأين : الأول يضم دراسة عن الطوسي وأعماله وعقائده ،
والآخر يشتمل على تحقيق مخطوطة « تجريد العقائد » وهي من مؤلفات الطوسي
المعروفة ..

يستند عباس سليمان إلى حشد كبير من المصادر والمراجع التاريخية ، ليقدم
لوحات متتالية عن حياة نصير الدين الطوسي ، لكنه يغفل عن أوسع ترجمة تاريخية
للطوسي ، وهي الترجمة الواردة في [أعيان الشيعة] لبهاء الدين العاملي . ومع ذلك
فقد استطاع أن يقدم معلومات طيبة عن الطوسي ، ويتعرض لأهم وقائع حياته ..
تلك الوقائع التي من أهمها « علاقة الطوسي بالمغول ، وموقفه من سقوط بغداد » ،
فالمعروف أنه انضم إلى حاشية قائد المغول [هولاكو] بعد سقوط قلعة « الموت »
التي كانت معقل الإسماعيلية من الشيعة^(١) ، وأعلن بشكل رسمي أنه شيعي « اثني
عشرى » واستطاع آنذاك إقناع هولاكو بأنها عقيدة لا تثير الغضب - فقد كان
هولاكو غاضباً على الإسماعيلية - وبأنه على علم بالفلك والتنجيم يتيح له التنبؤ بما
سيقع لهولاكو في المستقبل !.

وبهذا ، صار الطوسي مستشاراً لهولاكو وكاتباً لمراسلاته ، وهو الذي كان من
قبل كاتب قلعة الموت التي هدمها المغول .. ثم يهون الطوسي على هولاكو دخول
بغداد ، ويشجعه على ذلك ، حتى كان ما كان من قتل وتشريد وفظائع وهتك
أعراض . يقول الباحث :

« ويستمر الطوسي بعد ذلك في الجانب المغولي ، مضمراً في نفسه محاولة إنقاذ
التراث الإسلامي الذي ضاع بسقوط بغداد ، ومحاولاً إقناع هولاكو بالإصلاح ..
وقد تمّ للطوسي الإصلاح الأكبر حينما أقنع هولاكو ببناء مرصد مراغة ، واجتهد
كثيراً في جمع الكتب^(٢) . لكن الباحث يعود فيقول : « وأقام الطوسي ببغداد
وتصفح أحوال الأوقاف ، وأشرف على أحوال الفقهاء والمدرسين والصوفية ،

(١) ظلت هذه القلعة تناوى الخلافة العباسية ببغداد ، وتشق عصا الطاعة للخلفاء الذين عجزوا عن تدميرها
لبسالة سكانها من الإسماعيلية وشدة بأسهم في الحرب .. وظلت القلعة معقلاً للشيعة الإسماعيلية حتى قضى
عليها المغول عند زحفهم على الممالك الإسلامية .

(٢) عباس سليمان : نصير الدين الطوسي ، الجزء الأول ، ص ٣٤ .

واستمر الحال على هذا الوضع إلى أن يئس الطوسي من عجزه عن إنقاذ بغداد ، إلى أن مات في سنة ٦٧٢ هجرية^(١) .

اضطراب علمي :

وبمقارنة هاتين الفقرتين يبدو لنا اضطراب الباحث اضطراباً علمياً بين محاولته الدفاع عن الطوسي ، ومانقره الحقائق التاريخية .. هو يريد أن يعتذر للطوسي بأنه « أضمر إنقاذ التراث » لكنه لا ينكر أن الطوسي ساهم في تدمير هذا التراث بمعاونته المغول على دخول بغداد ، ويصرّح بأن الطوسي « يأس من عجزه عن إنقاذ بغداد » . وأعتقد أن هذه القضية كانت بحاجة إلى وقفة أطول من الباحث ، كي يغوص في تحليل شخصية الطوسي من الناحية النفسية والسياسية .. وإنني لأتساءل : هل كان الطوسي مؤمناً حقاً بعقيدة معينة ؟ وكيف ينتقل بهذا اليسر من اعتناق المذهب الإسماعيلي إلى إعلان المذهب الاثنى عشري ، وكلاهما من مذاهب الشيعة ؟ وكيف يتعاون مع أعداء الدين الإسلامي ؟ هل بمنطق العداء للخلافة السنية في بغداد ، أم رغبة في الوصول إلى مكانة سياسية مرموقة لدى أيّ فريق ؟ وهل كان يُحیی بالفعل التراث حين شيد مرصد مراغة ، أم أنه كان مدفوعاً بروح البحث العلمي المجرد ؟ وكيف كان هذا الرجل ينظر للمغول ؛ مجرد غزاة ، أم قوة بلا عقل تحتاج للترشيد والتوجيه .

كل هذه الأسئلة الكثيرة ، بحاجة إلى إجابة عميقة تستند إلى حقيقة موقف هذا العالم الفيلسوف . والثابت واليقيني أن عملية الحفاظ على تراث العرب بعد سقوط بغداد ، يعود الفضل فيها لعلماء مصر والشام من أمثال ابن النفيس والسيوطي وغيرهما من العلماء الذين أعادوا تدوين التراث العربي في القرن السابع الهجري ، مع تزويده بما حصر له من شروح . ولا أعتقد أن الطوسي يشار إليهم هذا الفضل ! بل هو - فحسب - يسعى ببناء « مرصد مراغة » إلى أن يصل إلى مجد علمي شخصي .. ولم يكن الهدف من المرصد ، يزيد في تفكير هولاء ، عن اكتشاف المستقبل بقراءة الطالع واستطلاع النجوم . ولقد استغل الطوسي هذا اللون في التفكير ، فشجّع هولاء على بناء المرصد ، وكان الأمر مقضياً .

وينقلنا الباحث إلى لوحة أخرى من حياة الطوسي ، عنوانها (المؤثرات الفكرية على

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥ .

شخصية الطوسي) ومع ما في العنوان من استخدام غير دقيق لحرف الجر - كان الواجب أن يقول « في » بدلاً من « على » - إلا أن ما يهنا هنا هو مضمون ماتحت العنوان . خصص باحثنا هذا الفصل لتناول أساتذة الطوسي الذين تلقى على أيديهم ، وتلاميذه الذين تلقوا عنه .. وهو أمر لا يسوغ العنوان ، إذ إن (المؤثرات) لفظة واسعة تشمل المعاصرين للطوسي ، وتشمل أيضاً حوادث الزمان ووقائع حياة الرجل وتقلباته ، إلى جانب ما لا حصر له من الأفكار التي تعرض لها الطوسي . كل هذه مؤثرات ، لكن الباحث اكتفى بالحديث عن معاصري الطوسي ، فكان عليه أن يجعل الفصل بعنوان (أساتذة الطوسي وتلاميذه) .

خطأ تاريخي :

ويقع الباحث في خطأ تاريخي فاحش ، حين يعدد أساتذة الطوسي فيذكر منهم (فريد الدين داماد النيسابوري) ويقول إنه (فريد الدين العطار) ثم يترجم للعطار على أنه أستاذ الطوسي ..

والحقيقة أن فريد الدين العطار ليس هو فريد الدين داماد النيسابوري ، وكان على الباحث أن يتحقق من ذلك في الصفحات الخمس التي تحدث فيها عن العطار على أنه فريد الدين داماد أستاذ الطوسي ، خاصة أن المعروف عن العطار أنه : « فريد الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم بن أبي يعقوب إسحق ، الصوفي ، الشاعر ، صاحب منطق الطير ، المتوفى ٦٢٧ هجرية^(١) .. ولم ترد لفظة « داماد » في اسمه ولقبه إطلاقاً . ثم أين هي صوفية الطوسي التي من المفترض أنه تأثر بالعطار ..

وثمة ملاحظة هامشية ، هي أن الباحث يورد عبارة مجلوبة من أحد المصادر الشيعية المعاصرة ، تقول : وأبى العطار طوال حياته أن يلوّث موهبته الشعرية بإنشاد المدائح^(٢) ! وهي عبارة تشير ضمناً إلى أن العطار لم يمدح النبي - ﷺ - شعراً ،

(١) بخصوص الشاعر الصوفي فريد الدين العطار . يمكن الرجوع لبحث د. عبد الوهاب عزام : التصوف وفريد الدين العطار .. وهناك ترجمة وافية له في « نفحات الأنس » لعبد الرحمن جامي .

(٢) عباس سليمان : نصير الدين الطوسي ، ص ٥٢ .. والباحث يعتمد هنا على « تاريخ الأدب الفارسي » تأليف : رضا زاده شفق ، ترجمة : محمد موسى هنداوي .

إذ إن لفظة « إنشاد المدائح » على إطلاقها ، تعني « المدائح النبوية » ، وهو معنى اكتسبته اللفظة مع طول الاستعمال .. وهناك العديد من المدائح النبوية وذُكر شمائل الرسول ماثلة في طيّات « منطق الطير » وغيرها من أعمال العطار ! وحقيقة أمر هذه العبارة ، هي أن العطار لم يمدح أحدًا من ملوك زمانه أو كبار رجال الحكم . يقول العطار :

* شكرًا لله ، فلم ألبأ إلى قصر ، ولم أكن ذليلاً لكل حقير .
* ولم أطعم خبز ظالمٍ مطلقاً ، ولم أختم كتاباً بذكر أحدهم مطلقاً^(١) .
هذا هو المراد من عبارة العطار ، ولو دقق في الأمر ، لكان بمقدوره أن يوضح المراد من كلمة « المدائح » أو يستبدلها بلفظ « مدح الحكام » حتى تتخذ الكلمات دلالتها المحددة في السياق .

وأهم ما يقدمه عباس سليمان في الباب الأول من رسالته ، هو ذلك الحصر الممتع لمؤلفات الطوسي والنسخ المخطوطة لكل مؤلف منها . ولا شك في أنه اجتهد كثيراً في جمع مادة هذا الفصل ، وكان بإمكانه أن يتجنب مشقة التنقيب ، لولا أنه - فيما يبدو - أراد أن يقدم قائمة وافية بأعمال الطوسي .. ومن تلك القائمة نكتفي هنا بالإشارة إلى أهم مؤلفات الطوسي مثل :

* شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا .

* مصارع المصارع .. وهو ردُّ على كتاب « مصارعة الفلاسفة » للشهرستاني .
* تحرير المجسطي لبطلميوس .
* تحرير كتاب ظاهرات الفلك لأقليدس .
* الأزياج الفلكية (الشاهي - الإيلخاني - الخاقاني) .

(١) فريد الدين العطار : منطق الطير ، دراسة وترجمة د/ بديع جمعة ، بيروت - دار الأندلس - ص ٣٧ .

* تحرير أصول الهندسة لأقليدس .

* تحرير كتاب المناظر لأقليدس .

ثم يتوجّه الباحث نحو الإسهام الحقيقي لنصير الدين الطوسي ، وهو إسهامه في ميدان العلوم الطبيعية ، فيعقد باباً بعنوان « إسهام الطوسي في تقدم العلوم في القرن السابع الهجري » ، ويجعل من فصول الباب إطلاقات متنوعة على جهود الطوسي : في الرياضيات وتناوله للمصادرة الخامسة^(١) ، وفي الفلك وانتقاده لكتاب المجسطي مقترحاً نظاماً جديداً للكون أبسط من نظام بطليموس ، وفي الموسيقى وربطه الدقيق بين الأنغام والتناسب الرياضي .. وتلك هي - في اعتقادي - القيمة الحقيقية للطوسي في تراث الإسلام ؛ وسوف نعود لهذه النقطة بعد .

العقيدة الإسماعيلية :

بعد ذلك تتعرض الرسالة للجانب العقائدي عند الطوسي ، فيحدثنا الباحث عن عقائد الإسماعيلية وفلسفتها ، هذه العقائد وتلك الفلسفة التي اعتنقها الطوسي في طور الأول من حياته .. ولنوجز ذلك الجزء من الرسالة في هذه الفقرات :

« في عهد جعفر الصادق ، تولى عهد الإمامة ابنه إسماعيل ، وذلك بموافقة ورضى والده . لكن جعفر الصادق حينما سمع بأن فريقاً من الفرس وعلى رأسهم « أبي الخطاب الأسدي » كانوا في صحبة إسماعيل ، وأنه تأثر بمقالتهم في « تأليه الأئمة » أعلن سحب موافقته على أن يكون ابنه إسماعيل هو الإمام « السابع » من بعده ، وعيّن « موسى الكاظم » بدلاً منه .. وتمسك الفرس بإمامة إسماعيل وصارت لهم دعوة تُعرف بالإسماعيلية أو السبعية - نسبة إلى الإمام السابع إسماعيل ، تمييزاً عن الاثنى عشرية التي تكمل سلسلة الأئمة إلى الإمام الثاني عشر .

(١) تقول هذه المصادرة - التي وضعها أقليدس في كتابه الأصول - مانصه : « إذا قطع مستقيمين آخرين ، وكان مجموع الزاويتين الداخليتين في نفس الجانب أقل من زاويتين قائمتين ، فإن الخطين المستقيمين إذا مدا إلى مالا نهاية ، سوف يلتقيان في الاتجاه المقابل للزاويتين الأقل من قائمتين » .

وقد ظلت هذه المصادرة تشغل بال الرياضيين زمناً طويلاً قبل الوصول إلى حلّها ، وكانت وراء ظهور ما يُعرف بالهندسات اللاإقليدية التي وضعها ريمان ولو بتشفسكي وغيرهما اعتقاداً على مصادرات أخرى وتصورات مخالفة لتصور أقليدس عن طبيعة استواء السطح .

وأخذت الدولة العباسية تطارد محمد بن إسماعيل ، إمام الفرقة ، ففر هارباً إلى خوزستان ثم إلى الديلم ثم إلى السلمية بالقرب من حمص ، وهنا بدأ دور « الستر » بالنسبة للأئمة الإسماعيليين ، أي اختفاء الأئمة وحكمهم للعالم كله دون أن يراهم أحد ..

واستمر الحال على ذلك حتى قامت الدولة الفاطمية بمصر ، والتحمت الدعاوى الباطنية بالعقيدة الإسماعيلية في شكل حكم رسمي لمصر ، فقد أعلن « أبو عبيد الله المهدي » في المغرب قيام الدولة الفاطمية المهدية ، مدعياً أنه أحد أئمتهم ، وحينما تولى معد بن تميم (المعز لدين الله الفاطمي) الحكم في المغرب ، أرسل « جوهر الصقلي » إلى مصر وانتزعها من العباسيين ، وأنشأ مدينة القاهرة والجامع الأزهر ؛ وبذلك استقرت الدعوة الإسماعيلية في مصر .. » .

انتهى كلام الباحث ، ملخصاً ، وهو كما نرى سرداً تاريخياً للتطور السياسي لفرقة الإسماعيلية ، لكن المزعج في الأمر ، أن الباحث يعقب سرده التاريخي بفقرة مشتبكة تقول :

« ويمكن القول إن حركة الخطابية والباركية التي تفرعت منها حركة القرامطة ، قد تداخلت مع الإسماعيلية ودعاتها ومؤسسيها ، وبذلك التحمت الدعوة الباطنية كلها بالعقيدة الإسماعيلية ، وكان من أثر هذا كله أن ظهرت هرطقة جديدة ودعوة أفرزتها الإسماعيلية من جديد ، وهي دعوة الدروز التي ابتدعت فكرة تأليه الحاكم بأمر الله . هكذا تجتمع المتناثرات في فقرة الباحث ، فيجمع بين الخطابية والباركية والقرامطة والإسماعيلية والباطنية والدروز . وتأليه الحاكم بأمر الله ، كل هذه المذاهب والأفكار يجمعها الباحث في فقرة واحدة ، ثم يصفها أخيراً بالهرطقة - وهي لفظة شاعت في العصور الوسطى المسيحية أيام محاكم التفتيش .. ولاشك أن الفقرة تحتاج لفك اشتباك ومزيد من التحليل والترقب في إصدار الأحكام ، وخاصة أن الفقرة ترد في بحث أكاديمي متخصص .

ويفصلُ الباحث أهم الأفكار الإسماعيلية (الإمامة - التأويل الباطني - المثل والمثول - نظرية الدور - نظرية العقول العشرة) ليجعل من ذلك توطئةً للكلام عن تطور الدعوة الإسماعيلية في إيران ، وفي قلعة « الموت » بالذات .. وهذه القلعة تاريخٌ مثير ، نتوقف عنده قليلاً ، معتمدين على العرض الطيب الذي يقدمه الباحث : « ظل الحسن بن الصباح يدعو للمذهب الإسماعيلي في كل بلد ينزل به ، فاستجاب له عدد كبير من الناس ، ثم استقر ابن الصباح ببلاد فارس وأراد تأسيس دولة إسماعيلية تكون مركزاً للدعوة بدلاً من مصر ، فهداه تفكيره لقلعة ألموت لما تتمتع به هذه القلعة من المناعة . وألموت ، آلة أموت ، كلمة تعني : عُش العقاب .. فقد كان لطائر العقاب عُشاً بها ، وهي تقع على بعد ستة فراسخ من قزوین . ونجح الحسن بن الصباح في تحويل جنود القلعة إلى المذهب الإسماعيلي ، فحملوه إلى القلعة في احتفال سنة ٤٨٣ هجرية ، ثم دفع ثلاثة آلاف دينار لحاكم القلعة ليسلمها له ، ولم يكن أمام الحاكم إلا أن يقبل ، لأن الجنود صاروا طوع إرادة الحسن بن الصباح .. ومن اللحظة الأولى ، بدأ ابن الصباح في تأليف جيش قوي ومنظم من الإسماعيلية ، بسط سلطانه على ماحول القلعة من بلدان . ونادى الحسن الصباح بعقيدة التعليم التي تعني أن يكون للناس في كل عصر إمام يتلقون عنه المعرفة ، إذ إن المعرفة بالله لو كانت ممكنة بالعقل ، لكان كل العقلاء مؤمنين ، ولما اختلف أهل العقل على شيء .. ووضع ابن الصباح دستوراً لأتباعه يقوم على الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يتردد في تطبيق أحكام الشرع حتى إنه أمر بقتل ابنه محمد لاتهامه بشرب الخمر ، لأن شرع فرقة الإسماعيلية يتشدد في تحريم الخمر ، وأمر أيضاً بقتل ابنه الأكبر حسين ، لأنه اشترك مع آخرين في قتل شيخ مشايخ قهستان . وهكذا لم يجد الحسن بن الصباح وريثاً من عقبه يخلفه في حكم الإسماعيلية ويتولى من بعده شؤون القلعة ، فاستدعى بزرگ أميد الذي تولى الإمامة سنة ٥١٨ واستمر في انتهاج نفس المنهج الصباحي طوال أربعة عشر عاماً هي فترة حكمه ،

وتولى بعده ابنه محمد بن بزرك أميد .. وقد سار الابن على نفس المنهج أيضاً ، ووجه عناية خاصة للفرقة الفدائية التي كانت تحتل المكانة الأولى في الجيش الإسماعيلي . ثم تولى الحسن بن محمد بن بزرك أميد الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٧ ، لكنه ظل ينسخ الرسوم الشرعية والقواعد الإسلامية التي التزم بها الإسماعيلية طوال فترة ولاية أسلافه ، وبلغ به الأمر أنه جعل قِبلة الصلاة في الوجهة المغايرة لقبلة أهل الإسلام ، وأسقط عن أتباعه فروض الدين وألزمهم بأن يقرنوا اسمه بعبارة : على ذكره السلام .. ثم جاء بعده ابنه محمد بن الحسن الذي كان أكثر غلوًا من أبيه وكان يدعي الفلسفة والحكمة .

واعتمد الحال بولاية جلال الدين الحسن بن محمد ، سنة ٦٠٧ هجرية ، فقد أعاد للفرقة الإسماعيلية أحكام الدين الإسلامي وأمر ببناء المساجد وإقامة الصلاة ، وارتبط بعلاقات سياسية طيبة مع حكام العالم الإسلامي بما فيهم الخليفة العباسي ببغداد .. وفي عهده عادت ثقة المسلمين في عقيدة الإسماعيلية ، وابتعدت فرقته عن الإباحية والإلحاد اللذين ظهرا إبان حكم أبيه وجده .

لكن الانتكاس جاء مع ولاية ابنه علاء الدين سنة ٦١٨ ، فقد عادت إلى الإسماعيلية نزعات الإلحاد والإباحية ، وظلت توفد الفدائيين إلى الأمراء والملوك لاغتيالهم .. وقد أمر علاء الدين بتأسيس مكتبة إسماعيلية ضخمة ، أحضر لها المخطوطات القيمة من مختلف الأقاليم ، ووجه عناية خاصة لدور العلم فازدهرت العلوم الفلسفية والفقهية ، وكان نصير الدين الطوسي من الذين ساعدوا على هذا الازدهار ، ولذلك يعدُّ أول كاتب لقلعة الموت .

بدأت علاقة الطوسي بالقلعة سنة ٦٢٥ هجرية ، حين نزل ضيقاً على الوزير ناصر الدين عبد الرحيم محتشم ، فمكث هناك ثمانية وعشرين عاماً هي أخصب فترات حياته العلمية ، ففي « الموت » كتب الطوسي ووضع المؤلفات في العقيدة والفلسفة والرياضة والفلك . وفي هذه المرحلة من حياته انتسب للمذهب الإسماعيلي ، الذي تبرأ منه

بعد خروجه من القلعة معلناً انتسابه للمذهب الاثنى عشري .. وهناك من الباحثين مَنْ يؤكد إسماعيلية الطوسي منذ صغره ، وهناك مَنْ يقول إنه أُجبر على العيش في القلعة بالقوة .

ويعرض عباس سليمان لرأى الفريقين في إسماعيلية الطوسي ، فترى في الفريق المؤكد إسماعيليته كلاً من : عبد الأمير الأعسم - مصطفى جواد - كامل الشيبى - عباس عزاوى - عارف تامر .. وفي الفريق القائل بأن الطوسي كان مرغماً على هذه العقيدة نجد : محمد حسن آل ياسين - عبد الله نعمة الله - قدرى طوقان .

ويختم الباحث هذه النقطة بقوله : « وهكذا اختلف المؤرخون حول إسماعيلية الطوسي واثنى عشرية ، وعلى الرغم من أننا أشرنا إلى كلا الفريقين ، فإننا لانتحيز إلى واحدٍ منهم (هكذا في النص ، والصواب : منهما) وعلى هذا يجب أن نوضح الاتجاه الذي نميل إليه في معالجة هذه المشكلة ، وهو أننا نميل إلى اعتبار الطوسي فيلسوفاً من الطراز الأول ، وأنه كان ينتمي إلى الشيعة سواء الإسماعيلية أو الاثنى عشرية .. وبذلك فإن الطوسي يعتبر في نظرنا فيلسوفاً فحسب ، تأثر بالعقيدة الإسماعيلية في فترة من فترات تطوره الثقافي . أما اثنى عشرية الطوسي ، فإننا نرى أن إعلانه بذلك كان بتأثير من المغول ، حيث وجد الطوسي المخرج الذي يخرج من هذه الأزمة بإعلانه هذا . وحتى حينما انضم الطوسي إلى هذا المذهب ، وجدناه فيلسوفاً يعالج المسائل العقائدية من منطلق فلسفي » .

رجل علم :

هذا هو رأي عباس سليمان ، بنصه ، ولنا عليه الملاحظة التالية : لم يوضح لنا الباحث ما يقصده بكلمة « فيلسوف » فنحن نعرف أن الفلسفة نوع من التفكير الذي يعتمد على العقل ، ولا يبدأ من أي اعتقادات مسبقة . وبهذا المعنى ، فإن كان الطوسي فيلسوفاً ، فهو ليس إسماعيلياً ولا اثنى عشرياً ، فكلا الفرقتين تقول بعصمة الإمام وضرورة اتباع أقواله ، والفلسفة لاتعترف بعصمة إمام ولا تقرر اتباع أقوال معينة مهما كان مصدرها ، بل هي تقوم على التأمل العقلي المجرد .. وإذا كان الباحث

يقصد بلفظ « فيلسوف » أن الطوسي كان متحرراً في تفكيره . وليس غمطياً ، فهذا أيضاً لا يستقيم ! لأن الطوسي في قلعة الموت كان « ملتزماً » بعقائد الإسماعيلية ، وهو بعد سقوط القلعة « مؤمناً » بعقائد الاثني عشرية ، ولا يتفق الالتزام ولا الإيمان مع التحرر في التفكير الذي ربما يكون الباحث قد قصده . فما هو الحل إذن ؟ يبدو أن الطوسي كان أولاً وأخيراً رجل علم ، ونحن نقصد بالعلم هنا : العلم الطبيعي والرياضي .. لكنه كان يعيش في منطقة ازدحام عقائدي وتوتر سياسي ، فكان عليه أن يسلك بين ذلك سبيلاً يمكنه من البحث العلمي ، وما يريده الطوسي يتطلب الاستقرار ، فليستقر مرة في كنف قلعة الموت ، ومرة في كنف المغول ! هو لا يهتم في أي جانب سيكون اليوم وإلى أي جانب سيميل غداً ، كل ما يهتم هو الاستمرار في البحث العلمي . ولهذا ، استطاع الطوسي وهو مستقر في قلعة « الموت » أن يضع مجموعة من المؤلفات تزيد على الثلاثين ، ثلثاها أو أكثر علمية ، وبضعة منها عقائدية تدر في أعين مراقبيه الرماد . ولنتأمل في قائمة مؤلفات الطوسي التي وضعها في قلعة الموت طيلة الأعوام الثمانية والعشرين :

- ١ - أخلاق محتشمي .
- ٢ - أخلاق ناصري .
- ٣ - شرح الإشارات .
- ٤ - أساس الاقتباس .
- ٥ - مطلوب المؤمنين .
- ٦ - روضة التسليم .
- ٧ - روضة القلوب .
- ٨ - رسالة في التولي والتبري .
- ٩ - أوصاف الأشراف .
- ١٠ - تحرير المجسطي (في علم الفلك) .

- ١١- تحرير أصول الهندسة لأقليدس .
- ١٢- تحرير أكر مانالاوس .
- ١٣- تحرير كتاب ثاوذوسيوس في الأيام والليالي .
- ١٤- تحرير كتاب أرسطرخس في جرمي النيرين ومابعدهما .
- ١٥- تحرير كتاب اسقلاوس في المطالع .
- ١٦- تحرير كتاب الطلوع والغروب لأوطولوقس .
- ١٧- تحرير كتاب المساكن لثاوذوسيوس .
- ١٨- تحرير كتاب الأكر لثاوذوسيوس .
- ١٩- تحرير كتاب معرفة الأشكال البسيطة والكرية لبني موسى بن شاكر .
- ٢٠- تحرير كتاب المعطيات في الهندسة لأقليدس .
- ٢١- تحرير كتاب المأخوذات في الهندسة لأرشميدس .
- ٢٢- تحرير كتاب الكرة والأسطوانة لأرشميدس .
- ٢٣- تحرير كتاب الكرة المتحركة لأوطولوقس .
- ٢٤- شرح كتاب الثمرة في أحكام النجوم لبطلميوس .
- ٢٥- كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة (= علم الفلك) .
- ٢٦- التذكرة النصيرية في الهيئة .
- ٢٧- زبدة الإدراك في هيئة الأفلاك .
- ٢٨- الرسالة المعينية في علم الهيئة .
- ٢٩- رسالة حل مالا يُحل .
- ٣٠- بيست باب در معرفة اسطرلاب .
- ٣١- تقويم علاني .

وإذا عرفنا أن هذه القائمة مرتبة - بشكل تقريبي - طبقاً لتاريخ تأليف كل عمل منها ، أدركنا أن الطوسي كان في أول نزوله القلعة يستميل حكامها بتأليف ذات

طابع عقائدي . ولما اطمأن هناك ، راح يصنّف ويؤلّف في علوم الهندسة والفلك .
مرصد مراغه :

وعندما استقر المقام بالطوسي جوار « هولاكو » ووجد المال والسلطة والإمكانات المتاحة ، حقق عملاً علمياً تطبيقياً لم يكن يتيسر له وهو مع الإسماعيليين ، وذلك هو : بناء مرصد مراغة .. ذلك المرصد الذي اندفع عباس سليمان واصفاً إياه بقوله « هو أهم حدث في القرن السابع ، ذلك المرصد الذي حفظ لنا التراث الإسلامي وأنقذ كثيراً من العلماء والفلاسفة والفقهاء .. »^(١) . وهي بدون شك عبارة حماسية جارفة ، وإلا فقد شهد القرن السابع الهجري أحداثاً أعظم ؛ وإذا كان المرصد قد أسهم في تطوير البحث الفلكي ، فلا يعني هذا أنه « حفظ لنا التراث الإسلامي » فهذا التراث - كما ذكرنا من قبل - حفظته القاهرة .

وأخيراً ، فمن المؤكد أن الطوسي جمع في المرصد علماء الفلك ، ولكن السؤال : كيف أنقذ هذا المرصد الفلاسفة والفقهاء ؟ وماذا كانوا يفعلون فيه ؟!

لقد استفاد الطوسي من صحبته للمغول استفادةً علمية تطبيقية لم تكن متاحة له إذا صحب غيرهم ، وما عليه بعد ذلك إن أعلن عن اثني عشريته أو كان إسماعيلياً أو حتى مغولياً .. فقد تم له المراد ، بقطع النظر عن مسألة الاعتقاد ؛ تلك المسألة التي أرى - من جانبي - أنها لم تكن الشاغل الأكبر لهذا العالم الفذ .

ولنعد إلى سيرة الطوسي كما يقدمها لنا عباس سليمان في رسالته ، فنقرأ عنده العبارة التالية : « يتضح لنا أن الطوسي استطاع أن يثري المكتبة الإسماعيلية في قلعة الموت .. ففي عهد الإمام علاء الدين بن جلال الدين ، استطاع أن يؤلف ويحرر مالا حصر له من المؤلفات القيمة التي تتناول مختلف العلوم والفنون ، وخاصة : الفلسفة

(١) عباس سليمان : نصير الدين ، الجزء الأول ، ص ١٥٥ .

والرياضيات والفلك . ومن ثمَّ ازدهرت العلوم الإسماعيلية (!) مرةً أخرى على يد نصير الدين الطوسي الذي يستحق في نظرنا أن يطلق عليه : أول كاتب لقلعة الموت » انتهى كلام الباحث بحروفه ..

مبحث جديد :

ثم نأتي للباب الأخير من دراسة عباس سليمان ، وهو أضخم الأبواب حجماً ، إذ يتندى بصفحة ٢٨٦ ويستمر إلى خاتمة الدراسة في صفحة ٤٠٥ ، وقد وضع له باحثنا عنوانين : الأصول الكلامية لفلسفة الإسماعيلية عند الطوسي - تطور علم الكلام إلى الفلسفة ومنهجها .. ولا أدري السر في وضع أكثر من عنوان واحد للباب ، هل تردّد الباحث أمام اختيار أحد العناوين بالذات فوضعهما معاً ؟ أم أنه لم يستطع دمج العناوين في عنوان واحد ، مثل : الفلسفة وعلم الكلام عند الطوسي - الطوسي وتأسيس علم الكلام الفلسفي - حدود الفكر العقائدي لدى الطوسي - دور الطوسي في تطوير الفلسفة وعلم الكلام - تأصيل الطوسي لعقيدة الإسماعيلية .. كل هذه العناوين تنطبق على مراد الباحث من هذا الباب ، فكان من الممكن أن يختار أحدها !

والفصل الأول من الباب بعنوان [تأسيس المنهج الفلسفي لعلم الكلام عند الطوسي] ويهدف عباس سليمان هنا إلى أن يحدد كيفية استفادة الطوسي من الفلسفة ومنهجها العقلي ، في إبداع علم كلام جديد يبحث في العقائد بشكل عقلي متفتح .. ولا شك أنه مبحث جيد وأسلوب جديد في معالجة نصوص الطوسي ، وكان يمكن للباحث أن يضع أيدينا ببسر على هذه النقطة المبتكرة ، لولا أنه أسهب في تفاصيل متعبة لا تثرى بحثه ، وأطال في بيان تفاصيل كان في غنى عنها . فهو مثلاً يبدأ الفصل بعنوان جانبي يقول [المنهج الإسلامي] فإذا به يتحدث عن تطور المنطق عند المسلمين .. مع أن المنهج شيء ، والمنطق شيء آخر ! فالمنهج الإسلامي قد يجمع بين مناهج العلماء التجريبية ، ومسالك الصوفية الإلهامية ، وطرق الفلاسفة العقلية ، استنباطات الفقهاء .. الخ . وما يريده الباحث ، هو بيان « النهج الذي يعتمد

المتكلمون في بحثهم عن الحقيقة « وهو ما ذكره الباحث في صفحة ٢٩٦ ، دون أن يلتفت إلى أن مراد المتكلمين لم يكن « البحث عن الحقيقة » بل كان هدفهم « الدفاع عن الحقائق الإيمانية بالأدلة العقلية » بحسب تعريف ابن خلدون ، أو هو « علم يُقَدَّر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحُجَج ودفع الشُّبه » كما ورد في تعريف الإيجي^(١) .. فالتكلمون إذن لا يسعون للبحث عن الحقيقة ، بل هم يقرُّون حقيقة ما جاء به الإسلام ، ثم يدافعون عن تلك الحقيقة التي آمنوا بها ، ويدفعون عنها شكوك الملاحدة وأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى .

إن باحثنا يرى أن [القياس.الصوري] كان هو المنهج المتبع عند المتكلمين والفلاسفة ، ثم يذهب إلى تفاصيل اشتغال الفارابي بالمنطق وجهود ابن سينا المنطقية ، ويتوقف أيضاً عند الجويني إمام الحرمين ، ليخلص من هذا العرض التاريخي لتقرير القضية التالية :

« إن المنهج الأصولي لا يصبح [يقصد : لم يعد] هو المنهج الذي ينتجه علماء الكلام ، بل تدخل الفلسفة بمنهجها لتعطي علم الكلام « المنهج الفلسفي » ، وهذا يعني أن علم الكلام أصبح أكثر تسامحاً مع مدخل الفلسفة وأكثر تقبلاً لها . وفوق ذلك ، لأن المنطق الجديد المستخدم في علم الكلام هو نفسه منطق أرسطو الذي دُرس ودُفع عنه بواسطة الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا .. ومن ثمة ، تكونت طريقة المتكلمين المتأخرين ، الذين انتبهوا إلى مافي المنهج الأصولي من ضعف وشطط ، فلجأوا ابتداءً من أواسط القرن الخامس الهجري إلى الاستعانة بالمنطق

(١) راجع المزيد عن تعريفات علم الكلام وموضوعه ، في :

— د/ علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، الجزء الأول .

— د/ محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (دار المعرفة الجامعية) ص ٢٤٣ .

— د/ أحمد محمود صبحي : في علم الكلام — المعتزلة (مؤسسة الثقافة الجامعية) ص ٢ .

الأرسطي بحيث تعتبر هذه المرحلة فاصلاً بين عهدين رقيقين ، عهد لم يلجأ فيه المسلمون إلى مزج علومهم بالمنطق والفلسفة اليونانية ، وعهد بدأ فيه المسلمون عملية المزج هذه ، وخاصة في نطاق المنطق .. وهذه الحركة الأخيرة قام بها الغزالي ٥٠٥ هجرية ، إلا أننا نعتبر أن ابن حزم ٤٥٦ هو أول من أدخل المنطق إلى علوم المسلمين^(١) .

ويفرد الباحث قرابة عشر صفحات بعد ذلك لجهود ابن حزم والغزالي في المنطق ، ثم يعود أخيراً للموضوع رسالته ، فيحدثنا - في صفحتين فقط - عن المنهج الفلسفي عند الطوسي ، فيعرض لأقسام المنطق عنده ، ثم يقفز للنتيجة التالية : إن الطوسي قد استخدم المنطق الصوري في كتابه [تجريد العقائد] كأداة ومنهج للبحث والاستدلال ، ومن ثمة ، يعد كتاب الطوسي باستخدامه للمنطق الصوري نموذجاً فريداً في تأسيس علم الكلام الفلسفي في العالم الإسلامي^(٢) .

ومن الواضح أن الباحث قد أطل في تفصيل أمور تخرج عن نطاق بحثه ، وأجهد نفسه كثيراً كي يشرح الجوانب المنطقية عند أعلام الإسلام ، حتى إذا جاء عند النقطة الحاسمة ، أعني ما يخص الطوسي ومنهجه ، كان الإعياء قد أدركه ، فلم يفصل الأمر واكتفى بتقرير النتيجة السابقة ، وهي نتيجة كانت تحتاج إلى تأكيد وبرهنة من الباحث ، اعتماداً على نصوص الطوسي نفسها .. ومع ذلك ، فمأيد كرهنا للباحث ، هو أنه أوضح لنا موضع الطوسي في التطور التاريخي لمنطق أرسطو عند المسلمين .

ويتوقف عباس سليمان بعد ذلك عند [أثر المعتزلة في علم الكلام عند الطوسي] فيذكر أقوالهم في مشكلة الصفات الإلهية ، ثم يقارنها بما ذهب إليه الطوسي ، موضحاً تأثيره بالمعتزلة في قولهم : إن الصفات الإلهية هي عين الذات ، ومتابعته لهم أيضاً في

(١) عباس سليمان : نصير الدين الطوسي ، ص ٣٠١ .. ونحن لا نوافق على كلام الباحث في جملة وتفصيله ، لكن بيان هذا الأمر يحتاج لبحث مفرد عن تطور المنطق عن المسلمين .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣١٢ .

قولهم بالحرية الإنسانية ونفي الجبرية ، وقولهم بنفي رؤية الله ، وأخيرًا .. اعتمادهم على منهجه [التأويل العقلي] الذي اعتمد عليه المعتزلة من قبله .

* * *

ويبقى من الجزء الأول قرابة الخمسين صفحة ، هي أهم ما في البحث ، لأن الباحث قد خصصها حقًا لفلسفة الطوسي ، ولم يخرج عن موضوعه كما فعل من قبل . وهو يبدأ الفصل بعبارة مهمة تقول « اقترب علم الكلام عند الطوسي ، بل قد تلاحم ، مع الفلسفة » ثم يؤكد مضمون العبارة من خلال بحثه . للنقاط الآتية :

أ - الألوهية :

يبدأ الطوسي بمناقشة قضية « الوجود » لينتهي - كما انتهى ابن سينا - إلى أن الله « واجب الوجود » وأول صفاته هي [البساطة] بمعنى عدم التركيب ، لأن كل مركب يفتقر إلى أجزائه ، والله غني عن العالمين . وثاني الصفات [التمام] فالله تعالى تام وفوق التمام ، وهو ثالثًا [خير محض] وهو أيضًا [لا مثل له ولا ضد] .

ويعقب الباحث على ذلك بأن الطوسي لم يخرج في تعديده للصفات الإلهية عما يقرره الفارابي وابن سينا والفكر الإسماعيلي .

ثم يتناول أدلة الطوسي على وجود الله ، وهي أيضًا مما لم يأت فيه الطوسي بجديد ، فهو يعتمد على دليل [الواجب والممكن] ودليل [الوجوب الذاتي] وهما دليلان ذكرهما ابن سينا من قبل .

ب - العالم :

يناقش الباحث هذه النقطة تحت عنوان « مشكلة الخلق » فيبرز كلام الطوسي في قدم الله وحدوث العالم ، وهي نتيجة طبيعية لأدلة وجود الله التي قررها الرجل من قبل .

وينفي الطوسي وجود واسطة بين الله والعالم ، ويؤكد أنها غير معقولة كما يؤكد أن الفعل الإلهي في العالم هو فعل حر يخلو من الضرورة ، أي القول بعلّة تدفع الله - سبحانه - لأن يفعل فعلاً معيناً .. وهو تعالى علة كل مايقع من حوادث ومايصدر عنه من أوامر .

ومن الأفكار الجيدة التي يقدمها الطوسي قوله إن للأشياء وجودين : وجودٌ لذاتها وفي ذاتها ، وهذا الوجود يصعب إدراكه من جهتنا ؛ ووجودٌ يتبدى لنا على النحو الذي تستطيعه وسائل إدراكنا .. وكم كنت أتمنى أن يزيدنا الباحث من تفاصيل هذه النظرية ، وأن يرجع لمؤلفات الطوسي العلمية لتأصيل الفكرة والكشف عن جوانبها المختلفة . وخاصةً أنها من الأفكار التي ظهرت بقوة في الفلسفة الحديثة ، وأكدتها البحوث العلمية المعاصرة .

وينفي الطوسي فكرة [الجوهر الفرد] أو مايسمى [الجزء الذي لايتجزأ] ، وهي من الأفكار التي توسع فيها المتكلمون .. فهو يرى أن كل موجود يقبل التقسيم إلى مالا نهاية له من التقسيمات ، فكيف يمكن أن نتوقف عند جوهر فرد لايتجزأ ؟ هذا مايراه الطوسي مخالفاً لطبيعة الأجسام المادية .

وعن مفهوم الزمان يرى الطوسي أنه « مقدار الحركة من حيث التقدم والتأخر العارضين لها باعتبار آخر » فهو يربط بين الزمان والحركة ، ثم يقول بأن « لكل جسم مكاناً طبعياً » والمكان عنده إما مكانٌ ملاقي للمادة ، أو مكانٌ مفارق تحل فيه الأجسام بحركتها . وهو ينفي فكرة [الخلاء] ، ويدلل على ذلك بمقدار سرعة الحركة ، وينتهي إلى أنه لا بد للمكان من شاغل ما .

ج - النفس :

يرى الطوسي أن النفس « كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة » وهو تعريف لا يخرج قيداً ثملاً عن تعريف أرسطو . ويضيف إن النفس « مغايرة لما هي شرط فيه » أي مغايرة للبدن ، فهي تسبق الجسم وتبقى بعد فناءه .

ونأتي لمسألة [التناسخ] وانتقال النفس بعد الموت إلى جسد آخر ، وهي من الأفكار التي اتهم بها الإسماعيلية ظلماً . وهنا نرى الطوسي - كاتب قلعته - ينفي التناسخ نفياً قاطعاً ، لأنه : « لما كانت النفس حادثة ، وعلة حدوثها [الله] قديمة ، فلا بد من حدوث استعداد وقت حدوثها ، ثم يتخصَّص ذلك الوقت بالإيجاد فيه . والاستعداد إنما هو باعتبار القابل [البدن] فإذا حدث الاستعداد ، وجب حدوث النفس المتعلقة به .. فإذا انتقلت إليه نفس أخرى منسلخة عنه [أي عن بدن ميت] لزم اجتماع نفسين لبدن واحد ، وهذا محال ، فلا توجد نفسان لبدن واحد » (١) .

وأخيراً ، يقرر الطوسي خلود النفس ، فهي عنده - وعند سائر المسلمين - لا تقبل الفناء ، لأنها بسيطة في ذاتها ... وهذا البرهان قرره قبل الطوسي معظم الفلاسفة ، ثم أبطل « الآمدي » الاستدلال به !

* * *

بهذا ينتهي عباس سليمان من استعراض الأفكار الأساسية في فكر الطوسي الديني ... وهي أفكار لا تخرج عما قاله الفلاسفة والمتكلمون قبل الطوسي وبعده ! حتى إن القارئ للرسالة يسأل نفسه : أين هي إذن إسماعيلية نصير الدين الطوسي ، أول كاتب لقلعة ألموت معقل الإسماعيلية في فارس ؟ وكيف استساغ مؤرخو السنة اتهام هذه الجماعة في عقيدتها إذا كان كاتبهم يقرر هذه الأفكار التي لا تخرج عن إطار الفكر الإسلامي ؟ وهل هناك مذهب مشهور للإسماعيلية - هو ماحدثنا عنه الطوسي - ومذهب مستور لها ؟ وماهي العناصر الشيعية في فكر هذا الرجل ؟

تساؤلات دون إجابات :

لم يقدم عباس سليمان في بحثه إجابات لهذه التساؤلات المهمة ، ويبدو أن إثبات فكرته عن [علم الكلام الفلسفي] عند الطوسي قد شغلته عن بحث ماسوى ذلك من أفكار .. وهو يخصص الفصل الأخير لبيان طبيعة مايسميه بعلم

(١) الطوسي : تجريد العقائد، ص ١٠٤ .

الكلام الفلسفي ، ذلك اللون من التفكير الذي - بحسب عبارة الباحث - يلتقي فيه كل من الفلسفة وعلم الكلام ، ليكونان معاً أحد العناصر الرئيسية التي شكلت ثقافة مابعد القرن السادس الهجري ..

وهذه الظاهرة الثقافية [علم الكلام الفلسفي] ترجع في نظرة عباس سليمان إلى الأسباب الآتية :

١ - إن الفلسفة وقد واجهت هذا الهجوم التاريخي الشديد - يقصد : على يد الغزالي وابن خلدون وابن تيمية - قد اضطرت إلى الدخول تحت موضوعات علم الكلام والتصوف ، وبذلك تم إشباع الميل الفطري للتفلسف عند المفكرين الإسلاميين ، دون تخصيص بالفلسفة على وجه التحديد .

٢ - ارتباط علم الكلام الفلسفي عند الطوسي باستخدامه للمنطق الصوري كأداة ومنهج للبحث والاستدلال .

٣ - اهتم الطوسي اهتماماً خاصاً بمذهب المعتزلة الكلامي ، الأمر الذي أدى في النهاية إلى موقف الطوسي الفلسفي العام ، ذلك الموقف الذي يهدف إلى مزج الفلسفة بعلم الكلام .

٤ - أثر الاتجاه الإسماعيلي الفلسفي المتمثل في نظرية الفيض في انطباع الموضوعات الكلامية بالطابع الفلسفي عند الطوسي .

٥ - ارتباط علم الكلام الفلسفي عند الطوسي بالأصول الكلامية في فلسفة ابن سينا .

ثم ينتهي إلى التقرير التالي : « وبناء على ذلك ، فإن الطوسي قد استخدم الفلسفة كأداة للتعبير عن مشكلات علم الكلام ، ولهذا فإن التجاء علم الكلام عند الطوسي إلى التفلسف لم يكن غايةً .. بل كان الهدف النهائي عقائدياً بحثاً ، إذ إن الفلسفة وسيلة من وسائل الوصول إلى إثبات العقائد » .

وقد نقلت كلام الباحث بتمام حروفه وبنفس ترتيبه ، لأنني بصدد نقد وتسجيل اعتراضه عليه .. وسوف أتبع نفس الترتيب :

١ - الفلسفة لم تكن وحدها التي هوجمت من الغزالي وابن خلدون وابن تيمية ، فقد هوجم علم الكلام والتصوف أيضاً هجوماً لا يقل ضراوةً . فما معنى هروب الفلسفة ودخولها تحت موضوعات علم الكلام والتصوف ، وكأنهما يحيطان بما يحظى به الفقه - مثلاً - من تقدير عام !

٢ - استخدام الطوسي للمنطق الصوري لا يؤدي إلى ظهور « علم كلام فلسفي » بالضرورة ، فالمنطق الصوري بقوانينه البديهية مستخدم عند الطوسي وعند غيره ممن لم يظهر عندهم علم كلام فلسفي .

٣ - الاهتمام بمذهب المعتزلة الكلامي - وهو مذهب عقلي - لا يؤدي إلى موقف يمزج بين الفلسفة وعلم الكلام . قد يؤدي إلى تعميق نظرية الحرية الإنسانية والمسئولية السياسية للفرد ، وقد يؤدي إلى مخالفة اعتقاد أهل السنة في إمكان رؤية الله وفي مزيد من التنزيه الإلهي وغير ذلك مما يقرره مذهب الاعتزال ، لكن عملية مزج الفلسفة بعلم الكلام ليست نتيجة مباشرة للاهتمام بآراء المعتزلة ، فقد اهتم بها - مثلاً - الزيدية في اليمن ، ولم يظهر عندهم ما يمكن أن نسميه بعلم الكلام الفلسفي .

٤ - الاتجاه الإسماعيلي لم يظهر عند الطوسي الذي قدمه لنا عباس سليمان ، بل إن نظرية الفيض التي ظهرت عند الإسماعيلية ، رفضها الطوسي تمامًا .. وقد نوه الباحث في ص ٣٨١ بذلك قائلاً : « إن إصرار الطوسي على إثبات الاختيار في أفعال الله سبحانه وتعالى ، يعد تصريحاً جلياً برفض نظرية الفيض .. » يضاف لذلك أن تأكيد الطوسي على نفي الوساطة بين الله والعالم ، يعني رفضه لنظرية الفيض التي تقول بتوسط العقول العشرة بين الله والعالم .

٥ - ارتباط الطوسي بالأصول الكلامية في فلسفة ابن سينا لا يؤكد وجود علم

كلام فلسفي عنده ، فالأولى أن يوجد ذلك عند ابن سينا أولاً ثم يظهر عند الطوسي المستفيد منه ..

ونأتى للتقرير الأخير الذي يقدمه الباحث ، لنعترض بشدة على قوله « إن الفلسفة هي وسيلة من وسائل الوصول إلى إثبات العقائد » فالفلسفة منذ نشأتها في بلاد اليونان ، تمثل تمرد العقل الإنساني على العقائد الموروثة .. وعندما ظهرت الفلسفة عند المسلمين ، جاء الغزالي لتكفير الفلاسفة ! فكيف يقال إنها وسيلة من وسائل الوصول إلى إثبات العقائد ؟!

* * *

وينتهى الجزء الأول من الرسالة بخاتمة ، يجمل فيها الباحث تفصيلات بحثه ، ويشير إلى النقاط التي عالجها في المئات الأربع من صفحات دراسته .. وهي معالجة أجهده ، ومن شأنها أن تجهد أي باحث غيره ، نظراً لتفرع موضوعاتها . وقد ظهرت نتيجة الإجهاد الشديد في آخر عبارة من الخاتمة .. فقد تحمس الباحث جداً ، وطاش سهمه ، فإذا به يقول :

« وهكذا أسهم الطوسي إسهاماً عظيماً في تبيان ملامح هذا القرن .. فهو بحق يعتبر : أستاذ البشر ! »
ولن نعلق على هذه العبارة !!

* * *

يخصّص عباس سليمان الجزء الثاني من رسالته ، لتحقيق [تجريد العقائد] فيبدأ الجزء بمقدمة تحتوي تعليله لاختيار هذا النص بالذات ، فيقول :

« يعطينا الكتاب صورة واضحة لما وصل إليه علم الكلام الفلسفي في هذه الحقبة التاريخية المهمة ، وهو لذلك من أدق كتب التراث الإسلامي التي يتجلى فيها النضج الفلسفي الذي وصل إليه علم الكلام في معالجة موضوعاته ، وذلك من حيث المنهج والمفهوم » .

ويذكر الباحث في المقدمة أن : « المنهج العلمي الذي فرضناه على أنفسنا يساعد على تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً ، وهذا المنهج يتحقق من خلال معالجة ثلاث نقاط ، هى :

أولاً : القيمة العلمية لكتاب التجريد .

ثانيا : دراسة بيبليوجرافية لكتاب التجريد .

ثالثاً : منهج التحقيق النقدي لكتاب التجريد » .

وفي معرض حديث الباحث عن القيمة العلمية للكتاب ، يعاوده الحماس فينقل عن عارف تامر قوله « إن كتاب التجريد أنفس ماكتبه الطوسي على الإطلاق » .
وهى قضية لانوافق عليها وسنعود لها !

ويحدد الباحث خصائص [التجريد] في أنه يمثل خروج الطوسي على آراء ابن سينا وتخلصه من أفكاره ، وأنه كتابٌ يمتاز بدقةٍ متناهية في تحديد الألفاظ والمصطلحات الكلامية والفلسفية ، بالإضافة إلى طابع الإيجاز الشديد الذي عرض به الطوسي لموضوعاته ..

ويقع الباحث في تناقض صارخ حين يقول في الصفحة الثامنة مانصه « وفي يقينى أن الطوسي قد تخلص من تأثير ابن سينا وخرج من الإطار العام الذي وضعه » ثم يقول في الصفحة التاسعة « وثمة خاصية يجدر الإشارة إليها هنا ، وهى ذلك الطابع الفلسفي في عرض الموضوعات ، وهى خاصية تميز التجريد ، فالكتاب لا يعطي أية فكرة تدل على ابتعاده عن نهجه السينوى الإسماعيلي الأول » .

ويحدد في معرض تحقيقه عنوان الكتاب ، المراد من كلمة « تجريد » في معناها الشائع والاصطلاحي : ثم يعرض لمقاصد الكتاب ، وهى على الترتيب :

المقصد الأول : في الأمور العامة .

المقصد الثاني : في الجواهر والأعراض .

المقصد الثالث : في إثبات الصانع وصفاته وآثاره .

المقصد الرابع : في النبوة .

المقصد الخامس : في الإمامة .

المقصد السادس : في المعاد والوعد والوعيد .

وعن أثر الكتاب في الفكر الإسلامي ، يقول - معتمدًا على كامل الشيبلي وعبد الأمير الأعسم - : إن منهج الكتاب ، صار منذ أواخر القرن السابع الهجري ، نموذجًا يترسمه المؤلفون في علم الكلام ..

ومن لطائف ما يذكره لنا الباحث ، أن صبيًا هجا الطوسي فقال :

فاق النصير بحسن تجريد له	لكنه فيه أساء الخاتمة
ياخاتمةً بالقبح حُسن كتابه	أو ما خبثت عليك سوء الخاتمة

فقال بعض العلماء :

يامن تردى في الهجاء وقد غدى ^(١)	يهجو فتى رفع الإله دعائمه
هذا الكتاب هو الرحيق ختامه	بُشراك بالفردوس بشر خاتمه
ولحسنه قد أذعنت فضلاؤكم	والمسلمون لفضله متسالمه
فتنافست أشياخكم في فهمه	تُبَّت يداك وماظنتك فاهمه
جزمت عوامله الرفيعة نصيبكم	واجترَّ عامله فكسرَّ جازمه
قاد الكتائب غازيًا بغدادكم	بالمرهقات الحاكيات عزائمه
ضربت كتائبه الطبول وغادرت	مستعصمًا شلوا ^(٢) وهدت عاصمه

(١) هكذا في الأصل ، والأصوب : غدا .

(٢) وضع الباحث فتحين على الألف فصارت « شلوا » وهي غير ذات معنى ! والصواب « شلوا » بمعنى أن كتائب الطوسي أصابت المستعصم بالشلل .

أزعمت أن أبا الحسين وجاحظاً وأبا الهذيل وواصلًا ومكالمه
قد مَيَّزوا أجناسه وفصوله أو أحرزوا منطوقه ومفاهيمه
هيات لا تغشى النعمة بازيا أو تستعير من البزاة القادمة
خذها إليك فما أذاك بمثلها ركب الحجاز لمثل أنفك راغمه

ومع خطورة مضامين هذه المعارضة الشعرية ، فإن الباحث لم يتوقف عندها بالتعليق ، بل اكتفى بنقلها حتى دون ضبط للكلمات - مع أنه بصدد تحقيق تراثي - فبدت بعض الأبيات كأنها مكسورة الوزن .. ولم ينتبه الباحث إلى أنه ينقل النصوص الشعرية من مرجع شيعي هو [ماضي النجف وحاضرها] ولذلك جاء وصف صاحب البيتين بأنه « صبي » يهجو الطوسي ! ولو دقق الباحث قليلاً ، لعرف أن هذا « الصبي » هو أحد علماء السنة الذين يرون في « تجريد العقائد » كتاباً طيباً ، لولا ما فيه من إقرار بعقيدة الإمامة عند الشيعة ، وهو ما جاء بآخر الكتاب .. فانبهرى للرد على البيتين شاعرٌ شيعيٌ يدافع عن تلك العقيدة مؤكداً أنها « مأتى بمثلها ركب الحجاز » وبلغ به الأمر أنه يفاخر بما فعله الطوسي حين دلَّ التثار على بغداد ويجعله « غازياً ببغدادكم » . ولا يقف هذا المدافع عن الطوسي عند ذلك ، بل هو يجعل كبار المتكلمين عاجزين عن تمييز « أجناسه وفصوله » قاصرين عن إحراز « منطوقه ومفاهيمه » كما يجعل المعاصرين من متكلمي السنة « متنافسين في فهمه » .. وكان على باحثنا أن يتوقف قليلاً لبيان هذه المضامين المتعصبة ، ويحللها في ضوء الخلاف بين السنة والشيعة . لكنه آثر المرور بسلام ، دون التزام بمؤونة التحليل .

وفي بداية « الدراسة البيبلوجرافية » يركب عباس سليمان فرسه الجامح ، فيقول في السطر الأول :

« يمكننا القول ، ونحن مطمئنون ، إن التجريد هو أخطر المؤلفات الكلامية في القرن

السابع الهجري»^(١). ثم يضيف لذلك تقريره التالي : « إن التجريد علامة بارزة من علامات الفكر الإسلامي » هكذا يفجئنا الباحث بالتقريرات دون أن يوضح لنا ما إذا كان يقصد الجانب الشيعي من الفكر الإسلامي ، أم أنه يرى كتاب التجريد أهم المؤلفات في هذا القرن على الإطلاق .. وإن كان يريد « الإطلاق » فكيف يتناسى مؤلفات متكلمي السنة في هذا القرن .. وكيف يجوز له هذا « الإطلاق » دون مقارنة كتاب التجريد الذي يقع في ثلاثين ورقة مخطوطة ، غيره من المؤلفات الكلامية التي وضعها أعيان القرن السابع في عدة مجلدات !.

شروح التجريد :

ومما يحسب بعد أن ذكرنا ما عليه . ذلك الحصر الجيد الذي قام به لشروح التجريد ومخطوطات كل شرح منها .. فقد عدّد الشروح التالية :

١ - شرح العلامة الحلّي ، المتوفى ٧٢٦ هجرية . بعنوان : كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد .

٢ - شرح أحمد المصري ، المتوفى ٧٥٧ هجرية . بعنوان : المفيد في شرح التجريد (اقتصر الباحث على كلمة : المفيد) .

٣ - شرح شمس الدين الأصبهاني ، المتوفى ٧٤٩ هجرية . بعنوان : تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد (الشرح القديم) .

٤ - شرح علاء الدين القوشجي ، المتوفى ٨٧٩ هجرية . بعنوان : الشرح الجديد .

٥ - شرح ابن كمال باشا ، المتوفى ٩٤٠ هجرية . بعنوان : تجريد التجريد .

٦ - شرح عبد الرزاق اللاهيجي ، المتوفى ١٠٧٢ هجرية . بعنوان : شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام .

(١) عباس سليمان : نصير الدين الطوسي ، الجزء الثاني ، ص ٢٠ .

٧ - شرح محمد العاملي ، المتوفى ١١٤٥ هجرية . بعنوان : شرح التجريد (بالفارسية) .

٨ - شرح جعفر الإستراباذي ، المتوفى ١٢٦٣ هجرية . بعنوان : البراهين الساطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة . •

٩ - شرح محمد التنكابني ، المتوفى ١٣٠٢ هجرية .. بالفارسية .

تلك هي شروح التجريد التي ذكرها الباحث ، وكان الدكتور كامل الشيبلي قد ذكر في كتابه [النزعات الصوفية] ستة شروح أخرى .

أما الحواشي على شروح التجريد ، فتصل لما يقرب من ٢٥ حاشية . وذلك - بالقطع - يدل على مبلغ عناية علماء المسلمين بالكتاب بعد وفاة مؤلفه .

وكنا نتمنى أن يلاحظ الباحث هنا ، أن العديد من تلك الشروح والحواشي وضعها علماء السنة ، مما يعني أن العناية بالكتاب لم تقتصر على علماء الشيعة . ولو كان الباحث في دراسته التي وضعها بالجزء الأول من الرسالة قد لجأ لمقارنة أحد الشروح السنية بواحد من الشروح الشيعية للكتاب ، لكانت هذه المقارنة قد أظهرت له - ولنا - العديد من الجوانب المهمة الناتجة عن قراءتين مختلفتين لنص كلامي واحد .

ويخصص عباس سليمان الباقي من مقدمته التحقيقية لبيان المنهج الذي استخدمه في تحقيق الكتاب ، وهو منهج رصين يعتمد على جمع عدة مخطوطات للكتاب ، والمقارنة بينها ، ووضع الصحيح من الألفاظ في المتن والإشارة للخطأ في الهامش ، وتزويد النص بتعليقات شارحة ومفسرة ، مع تخريج ما يرد في النص المحقق من آيات قرآنية وأحاديث نبوية .

وقد اعتمد الباحث في تحقيقه على المخطوطات الآتية :

- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٠٥ / علم كلام ، طلعت .

- نسخة مكتبة عارف حكمت رقم ٤٨ / توحيد .

- نسخة مكتبة المتحف العراقي رقم ٢٤٢٠ / كلام .

ويقع النص المحقق لكتاب التجريد ، من صفحة ٦١ حتى صفحة ١٦٥ تتلوه
فهارس للآيات القرآنية والأحاديث والأثر والمصطلحات والأعلام والفرق
والبلدان .

وكان جهد الباحث مشكوراً في التحقيق ، فقد قدم نصاً سليماً في معظم
الأحيان ، ويدل على جودة اختياره للكلمات عند مقابله بين الأصول الخطية ..
ومع ذلك ، فقد وقعت بعض الأخطاء المطبعية التي قد لا تخفى على فطنة القارئ ،
لكنها تحتاج إلى تصويب ، وسوف أكتفي - على سبيل المثال - بذكر الأخطاء
المطبعية في ص ٩٥ حيث ورد بهامش الصفحة مايلي :

- كلمة : تأثير الايلين .. والصواب : الإيلين .

- كلمة : يخرج من المأذق .. والصواب : المأزق .

- كلمة : زيتون الأيلي .. والصواب : زينون الإيلي .

ومما يستدعي الانتباه في هوامش التحقيق أن الباحث لا ييخل بمجده في التعريف
بالمصطلحات الواردة بالمتن . وتلك صفة جيدة في المحقق ، لما لها من دور في إعانة
القارئ على فهم النص التراثي . فمن أمثلة هوامش عباس سليمان الشارحة
للمصطلحات ، قوله في ص ٩٨ معلقاً على كلمة (اسطقس) : « كلمة معربة عن
اليونانية stoicheion التي تعني العنصر Elemen Tum المادي على الإطلاق - جمعها :
اسطقسات Elements : وقد وردت في استعمالات أرسطو في حديثه عن أصول
المادة (د/عبد الأمير الأعسم: المصطلح الفلسفي عند العرب ص ٣٨٢) والإسطقسات
هي الأجسام المركبة من العناصر الأربعة : النار والهواء والماء والتراب^(١) ..

(١) وقع الباحث هنا في خطأ معلوماتي ، فالإسطقسات ليست (الأجسام المركبة) من العناصر
الأربعة ، بل هي العناصر الأربعة ذاتها (النار - الهواء - التراب - الماء) التي تؤلف الأجسام .

وإسطقسات عنوان كتاب أقليدس المشهور ، ويسمى أيضاً « الأصول » وقد كان غرض أقليدس في هذا الكتاب بيان أن جميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد ، وهي أبدان الحيوان والنبات والأجسام التي تتولد في بطن الأرض إنما تركيبها من الأركان الأول البعيدة لبدن الإنسان ، وأما الأركان الثواني القريبة التي بها قوام بدن الإنسان وسائر ما له دم من الحيوان ، فهي الأخلاط الأربعة : الدم ، والبلغم ، والمزتين - يعنى الصفراء والسوداء .. (ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د . نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت . ص : ١٣٥ . وقارن : د. مراد وهبة : المعجم الفلسفي ص ٢٨ . وقارن أيضاً :

Goichon, A-M.: Lexique de la Langue Philosophique D,Ibn sina . Paris 1938

. p: 5 - 7)

وعندما يرد في كلام الطوسي تعريف النفس بأنها « كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة » يضع عباس سليمان - ص ١٠٢ - هذا التعليق : « تعريف النفس بأنها كمال أول ، تعريف من وضع أرسطو كان له أثره في فلاسفة الإسلام . ومن الملاحظ أن تعريف النفس بالكمال يدل على معنى النفس (!) كما يتضمن جميع أنواع النفوس من جميع وجوهها ، ولا تشذ النفس المفارقة للمادة عنه . انظر : د. محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي . ص : ١٣٥ - د. محمود قاسم : في النفس والعقل ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٤ ، ص ٦٩ ومابعداها - د. جعفر آل ياسين : فيلسوف عالم ، دار الأندلس ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤ . ص ١٦٩ ومابعداها - د. جميل صليبا : من أفلاطون إلى ابن سينا ، دار الأندلس ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٢ ومابعداها - د. إبراهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه) ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ج ١ ، ص : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ومقدمة كتاب الشفاء ، قسم النفس لابن سينا ، تحقيق : الأب جورج قنواتي ، وسعيد زايد ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٦ ، ٧ - فلوطرخس : في الآراء الطبيعية التي ترضى بها الفلاسفة ، ترجمة قسطنطين لوقا ،

ص : ١٥٧ - ضمن كتاب أرسطو طاليس في النفس ، تحقيق : د. عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات بالكويت ودار القلم ببيروت .

ويوضح لنا الهامشان طريقة عباس سليمان في التعليق على النص المحقق ، وهي بلاشك طريقة لاتدخر جهداً وتسعى للإحاطة بالموضوع ومصادره المختلفة .. ولكن ، هل كان عباس سليمان مضطراً لذلك كله ؟ في الهامش الأول ، كان يمكن له أن يكتفي بالتعريف الموجز للفظ (اسطقس) كما ورد في المعجم الفلسفي ، دون هذه الإطالة . وفي الهامش الآخر ، لا أظن أن تعريف أرسطو للنفس بأنها « كمال أول » يقتضى كل هذه المصادر لإثباته ، فهو تعريف مشهور ومتعارف عليه لدى جميع المشتغلين بالتراث الفلسفي . ثم ماالداعي عند ذكر المصادر بالهامش لكل هذه المعلومات عن المصدر ، فهذه المعلومات موجودة بقائمة المصادر والمراجع بآخر الرسالة ، فكان يمكن أن يقتصر الباحث في الهامش على مجرد الإشارة ، ومن يريد المزيد يمكنه الرجوع لقائمة المصادر .. كان يمكن - إذن - لعباس سليمان أن يضع الهامش الثاني ومصادره على النحو التالي : « النفس كمال أول .. الخ ، تعريف أرسطى مشهور . انظر : تاريخ الفكر ١٣٥ - في النفس والعقل ٦٩ - فيلسوف عالم ١٦٩ - من أفلاطون إلى ابن سينا ١٠٢ - في الفلسفة الإسلامية ٧٥٦ - مقدمة الشفاء ٦ - في الآراء الطبيعية ١٥٧ » .

وهذه الملاحظة (الشكلية) تنسحب على معظم هوامش التحقيق ، وتكفل تخفيض (حجم) النص المحقق إلى النصف تقريباً ، دون المساس بجوهر الموضوع .

موضوعات التجريد :

أما موضوعات كتاب التجريد ، فهي لاتخرج عما تناوله الباحث في دراسته بالجزء الأول من الرسالة ، وقد عرضنا لذلك من قبل .. وتجدر الإشارة - قبل إنهاء الكلام عن النص المحقق - إلى أن الباحث قد أجاد في التعليق على المقصد الخامس من كتاب « تجريد العقائد » وهو مااختص بموضوع « الإمامة » التي ثار

حولها الجدل بين السنة والشيعة ، في هذا الجزء من التحقيق ، نرى الباحث وهو يؤصل القضايا ويحلل الآراء ، دون أن يتعصب لجانب معين .. بل إن سماحة الباحث بلغت حدًا عجيبًا غريبًا ، جعله رغم تعليقاته الكثيرة ، لا يعلق على ترجيح الطوسي للصحابة ! ونأتي لأهم وأخطر ملاحظة .. فنحن نعرف أن الطوسي انتقل من المذهب الإسماعيلي إلى المذهب الاثني عشري بعد سقوط ألمات ، والباحث يقدم لنا الطوسي على أنه « أول كاتب لقلعة ألمات الإسماعيلية » ويصف كتاب التجريد بأنه « يستند إلى الرياضيات .. وهنا نلمس مدى تأثير النزعة الإسماعيلية في الطوسي ، ابتداءً من عنوان الكتاب ، حيث عرف عن الإسماعيلية اهتمامهم بالرياضيات .. (مقدمة التحقيق ص ١٥) » .

ومع ماتقدم ، فالفقرة الأخيرة من « مقصد الإمامة » في كتاب « تجريد العقائد » تنتهي بالعبرة التالية ، ص ١٥٥ : « والنقل المتواتر دلّ على الأحد عشر ، ولوجوب (كذا ، والصواب : على وجوب) العصمة وانتفائها عن غيرهم ، ووجود الكمالات فيهم .. ومحاربوا (كذا ، والصواب : محاربو) عليّ كفره ، ومخالفة (كذا ، والصواب : مخالفة) فسقة » .

هذه العبارة الأخيرة تطيح تمامًا بكل تصورات الباحث عن المرحلة التي يدرسها في حياة الطوسي ، فهي تشير بصراحة إلى عقيدة الاثني عشرية الذين يؤمنون بالأحد عشر إمامًا ظاهرًا وإمامًا مخفي هو المهدي المنتظر ، ونظرًا لاعتقادهم في اثني عشر إمامًا سمو بالاثني عشرية ، أما الإسماعيلية فهم يؤمنون فقط بسبعة أئمة متفق عليهم ، ولهذا يسمون في كتب الأصول بالسبعية .. فقد كان إسماعيل هو الإمام (السابع) كما أشرنا في بداية المقال .

وعلى هذا ، فإن كتاب تجريد العقائد إنما يمثل المرحلة (الاثني عشرية) في حياة الطوسي ، وهي المرحلة التي لم يهتم بها الباحث أساسًا ، وكانت غايته في الدراسة

وفي التحقيق ، تقديم الطوسي في المرحلة (الإسماعيلية) . ومن هنا جاء عنوان بحثه :
نصير الدين الطوسي ، أول كاتب لقلعة الموت : دراسة وتحقيق لمخطوط تجريد
العقائد !

* * *

ولا يسعني في الختام إلا التنويه بجهد عباس سليمان في هذه الرسالة ، دراسةً
وتحقيقاً . لقد بذل المجهود الكبير ، وكان يمكن له بقليل من التوفيق وتدقيق النظر ،
أن يتلافى الملاحظات التي ذكرناها ؛ وأظنه سيفعل ذلك قبل طبع رسالته والخروج
بها على جمهور القراء .

ولي كلمة أود قولها : إن القيمة الحقيقية لنصير الدين الطوسي في نظري تأتي
من كونه عالماً فلكياً رياضياً عظيم الشأن ، ولا تقوم بأي حال على كونه ذلك الرجل
المتقلب بين المذاهب والزعامات السياسية . من هنا ، فإن ما نحتاجه أكثر من
الطوسي ، هو معرفة تراثه العلمي .. كفانا ما كتبه إيفانوف وعارف تامر ومصطفى
غالب عن شيعة الطوسي ، ففي ذلك الكفاية والمزيد ، ومادام عباس سليمان قد
درس الرجل ، واقترب من تراثه المخطوط ، فنحن ننتظر منه في الأيام القادمة عملاً
سوف يظل يذكر له - إذا فعله - وذلك العمل هو : تحقيق مؤلفات الطوسي
العلمية .

* * *

يعدد. صلاح الدين المنجد أحد الأعلام الذين
خدموا بحق تراث هذه الأمة ، في وقت مبكر ،
وشغل منصب مدير معهد المخطوطات العربية لمدة
ست سنوات . وكان حفل التكريم الذي أقيم له في
مدينة جدة بالسعودية اعترافاً بالدور الذي قام به .
حفل التكريم هذا أثمر كتاباً طبع في مكة
المكرمة ، وجمع الكلمات التي قيلت في المحتفى به .
وقد أثار الكتاب لدى الأستاذ عصام محمد
الشنطي خواطر حول الرجل وجهوده ، وآرائه في
قضية تغريب التراث ، فكانت هذه المقالة .

صلاح الدين المنجد ومخطوطات والتغريب

عصام محمد الشنطي*

« المجلة »

* مدير ثانٍ سابق في معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) .

حمل إليّ البريد بأخرة كتاباً ذا سبع وأربعين صفحة من القطع المتوسط ، طبع في مكة المكرمة سنة ١٤١٠ هـ ، يجمع الكلمات التي قيلت في حفل تكريم الدكتور صلاح الدين المنجد ، في مدينة جدة ، برعاية الأستاذ عبد المقصود خوجه . وكان ذلك مساء يوم الاثنين الواقع في ٤ / ٧ / ١٤٠٥ هـ (٢٥ / ٣ / ١٩٨٥ م) .

والأستاذ عبد المقصود رجل فاضل يعنى بالفكر العربي والثقافة العربية . فيعقد يوم الاثنين من كل أسبوع حفلاً يكرم فيه عالماً من العلماء ، أو أديباً من الأدباء ، يلقي فيه المكرّم كلمة عن نشأته وثقافته وعلمه وتجاربه وخبراته وما قدّمه للفكر والثقافة من أعمال . وكذلك تُلقَى كلمات أخرى من علماء أو أصدقاء تُرحّب بالمكرّم ، وتحدث عن جوانب مختلفة من حياته وعلمه وفكره .

وهذا الكتاب الذي بين يديّ محمّدة من محامد الأستاذ عبد المقصود ، راعي هذه الندوات . وقد جاء في الكتاب مذكره المكرّم عن نفسه ، وكلمات من بعض من شارك في هذا الحفل ، تحدّثوا فيه عن جوانب مختلفة عن المكرّم ، أو استفسروا عن مسألة ، أو طلبوا إيضاحاً . وهكذا تشعّب الحديث بطبيعته - والحديث ذو شجون - فاحتوى بالفعل على فوائد جمّة في مجال نشاط المحتفى به .

ولا شك في أن هذا الكتاب قد تضمن فوائد كثيرة عن حياة المنجد ، ونشأته وأسرته وتعليمه وثقافته واهتماماته ونشاطه وتآليفه وتحقيقاته . على أن أخطر ما في الكتاب - في رأيي - أمران . أولهما صلة المنجد بالخطوط العربية والتراث العربي الفكري ، فكان حديثه عن المخطوطات حديث الخالط لها منذ شبابه ، وكشف فيه عن قصة توزّع المخطوطات العربية في أرجاء الدنيا . وثانيهما احتواء الكتاب على ثبّت وإفٍ يحصر تحقيقاته ودراساته وبحوثه ، فنعرف منه خصوبة إنتاجه وتنوّعه . وسنقتصر في حديثنا هذا على

صلة المنجد بالمخطوطات العربية وبالتراث العربي الفكري ، مضربين عن ذكر الجوانب الأخرى .

النشأة وال بدايات :

وفي حديث المنجد عن نشأته عرفنا أنه من مواليد دمشق ، وأنه ترعرع في صباه في كنف والده المشتغل بالعلم . وتلمذ في شبابه إلى الشيخ محمد بهجة البيطار ، والشاعر خليل مَرْدَم . واتصل في عام ١٩٤٠م بعلامة الشام محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي ، ومؤسسه . وهو الذي نصحه بالتوجه إلى تاريخ مدينة دمشق وعلمائها ، وإلى التراث العربي المخطوط ، لأنه مهمل - بقول شيخه طاهر الجزائري له - ويحتاج إلى العناية والإحياء . وأن المكتبة الظاهرية بدمشق تحتوي على سبعة آلاف مخطوطة ، عليه أن يقرأها ليصبح عالم دمشق . فأخذ المنجد يتردد على هذه المكتبة ويطلع على مخطوطاتها . وكان يتعهده بالعون فيها مديرها الأول يوسف العش ، ومن بعده مديرها الثاني عمر رضا كحّالة . ثم صحب في هذه الأثناء الشيخ محمد أحمد دهمان ، فأفاد الكثير من علمه . ولاشك في أن توجيه محمد كرد علي له ، هو الذي فتح أمامه باب تحقيق كتب التراث على مصراعيه . فبفضل تشجيعه حقق المنجد في وقت مبكر المجلدة الأولى من كتاب « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، وأصدره عام ١٩٥١م . وحقق كتاب « رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة » لابن الفراء ، عن نسخة نادرة خصه بها كرد علي ، ونشرته لجنة التأليف والنشر في القاهرة . ونال به جائزة المجمع العلمي العربي بدمشق على أنه أحسن نصّ محقق .

وعرفنا أيضاً أنه تابع مع دراسته للدكتوراه في جامعة السوربون في باريس دروسا في التاريخ ، وعلم المكتبات ، وعلم المخطوط (الباليوغرافيا) ، وتردد على متحف اللوفر لدراسة الفن الإسلامي .

وفي عام ١٩٥٤م أوفدته وزارة المعارف السورية إلى إسبانيا ، ليقوم

بفهرسة المخطوطات العربية فيها . ولم يستطع أن يقوم بمهمته لأن الوزارة - بتغيير الوزير - طلبت منه العودة . ولاشك في أنه أفاد من هذه الرحلة فيما يخصّ المخطوطات العربية على نحو ما .

وعُيّن في عام ١٩٥٥م مديراً لمعهد المخطوطات العربية ، التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة. وقضى في هذا الموقع ست سنوات كانت سنوات خير عميم وثمر وفير في مجال تخصص المعهد . وأتاحت له صحة المعهد زيارة كثير من مكتبات العالم الزاخرة بالمخطوطات العربية ، وانتقاء النفيس منها وتصويره بالميكروفيلم ليُحفظ في المعهد ، فيرجع إليه العلماء والباحثون للتحقيق والدرس .

وكان معهد المخطوطات العربية قد أنشئ عام ١٩٤٧م ، فأتّم المنجد في فترته تنظيمه ، واستكمل أدوات عمله ، وأصبح للمعهد بفضل نشاطه شهرة واسعة في البلاد العربية والإسلامية ودوائر الاستشراق . وفي عهده أصدر المعهد « مجلة معهد المخطوطات العربية » ، وهي أول مجلة أكاديمية جادة في هذا الميدان . وعاصر اهتمام المعهد بتحقيق ونشر « سير أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي ؛ و « شرح كتاب السير الكبير » للسرخسي . (وأصل الكتاب - السير الكبير - محمد بن الحسن الشيباني الفقيه المعروف) ، وكتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري .

الرحلات العلمية :

ومن المدن التي أتيح للمنجد زيارتها في هذه الفترة قاصداً فيها المخطوطات العربية لينينجراد وموسكو وطشقند وبُخارى وسمرقند وطهران ومشهد وباكستان والهند وتونس والمغرب الأقصى والقاتيكان ومكتبة أمبروزيانا في ميلانو . كما أفاد من مكتبات توبنجن وغيرها في ألمانيا . واطلع على المخطوطات العربية في جامعة برنستون وغيرها من مكتبات الجامعات الأمريكية ، والمتاحف والمكتبات الخاصة .

وقدّرت الجامعات اللغوية والجمعيات العلمية في أنحاء شتى فضل المنجد على التراث العربي الفكري ، فانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والمجمع العلمي العراقي في بغداد ، والهيئة الاستشارية لجمعية المعارف العثمانية في حيدر أباد الدكن ، والمجمع العلمي الهندي ، والجمعية الدولية للدراسات الشرقية .

ودعته جامعات كثيرة ليحاضر فيها ، فكان أستاذاً زائراً في جامعة برنستون بالولايات المتحدة ، وأستاذاً محاضراً في جامعة فرانكفورت بألمانيا ، وكلية المعقول والمنقول بجامعة طهران ، وجامعة الملك سعود في الرياض ، وجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، والجامعة الأمريكية في بيروت .

وشارك في خمسة وعشرين مؤتمراً دولياً للدراسات العربية والتاريخية والاستشرافية ، عقدت في مدن عربية وإسلامية وأجنبية ، وألقى بحوثاً جادة فيها .

وحين ترك المنجد معهد المخطوطات العربية بالقاهرة عام ١٩٦١ م ، لم يترك عنايته بالتراث العربي ، وظلّ قريباً منه غارقاً فيه ، على نحو ما كان قبل صلته بالمعهد . فأنشأ في بيروت داراً للنشر ، واهتم من خلال أعماله في هذه الدار بتحقيق المخطوطات ونشر الدراسات حولها .

١٥٠ مؤلفاً :

وبلغت آثار المنجد مئة وخمسين كتاباً في مجالات شتى . وإنّ نظرة عجلية إلى الثبّت الذي تحتم به الكتاب الذي بين أيدينا ، والمتضمن إنتاج المنجد المتنوع ، لتوضح أن الثبّت عامر باهتمامه بالمخطوطات العربية . فله تحقيقات نصوص تراثية في التاريخ والجغرافية والأدب واللغة والفقه والفتاوى ، وعن تاريخ دمشق وعلمائها وآثارها وخططها . وتحقيقات ودراسات عن الخط العربي والخطاطين والنسّاحين ، وفهارس مخطوطات عربية في عدد من المكتبات

الشهيرة ، ومعاجم للمخطوطات المطبوعة . وقواعد تحقيق النصوص ، وقواعد فهرسة المخطوطات العربية وتصنيفها ، وتحقيقات ودراسات سياسية ؛ ودراسات عن المستشرقين ممن لهم إسهامات في الدراسات العربية . أما مؤلفاته التاريخية والأدبية ، ودراساته الإسلامية ، وكتب الرجال والتراجم والطبقات وغيرها فإن كثيراً منها متعلق بالتراث العربي ، أو تحوم حوله . هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات نشرتها مجلات وصحف عربية وأوروبية .

واستطاع أن يضع كتاباً في قواعد تحقيق المخطوطات العربية لينهج المحققون نهجاً علمياً في تحقيق النصوص . وأقر مؤتمر المجامع العلمية المنعقد في دمشق عام ١٩٥٦م هذه القواعد منهجاً للتحقيق الصحيح .

وكذلك وضع كتاباً قيماً في قواعد فهرسة المخطوطات العربية وتصنيفها ، يُعدّ رائداً في بابهِ . استعرض فيه اهتمام العرب قديماً بالمكتبات ، وفهرسة الكتب وتطورها في أزمان مختلفة ، وشرح طرقها المتعددة عند العرب والأوروبيين ، وكشف عن صناعة الفهرسة ، وفتن منهجها ، والأسلوب الذي ينبغي اتباعه في فهرسة المخطوطات العربية . وبهذا شجّع الشباب العرب على تعلّم هذا الفن الصعب الذي يحتاج إلى صبر وأناة ، وإلى خبرة طويلة ودُرْبة ماهرة ، وإلى اطلاع واسع على العلوم العربية الإسلامية المختلفة ، وحسن استخدام المصادر والمراجع . وتعود أهمية الفهرسة وتوجيه الشباب إليها إلى أن كثيراً من المكتبات العامة والخاصة المحتوية على مخطوطات عربية ، غير مفهرسة ؛ ولم يُكشَف عن وجودها وتوصيف نُسخها إلا القليل منها ، وهذه من كبرى المشكلات التي تواجه المخطوطات العربية .

* * *

على أن أخطر ما في حديث المنجد في هذه الندوة ، هي مسألة تسرّب التراث العربي المخطوط إلى أوروبا وأمريكا . فما من متحف أو مكتبة عامة في أوروبا تخلو من المخطوطات العربية ؛ النادر منها والنفيس . وقسم من هذه المخطوطات انتقل غصباً كما فعل الفرنسيون في شمال إفريقية ، وفي سوريا ولبنان ؛ والإنجليز في مصر وبلاد

الشرق الأقصى ، والروس في بلاد إيران وتركيا . وأضيف هنا عمّا ذكره المنجد ما نقله الإيطاليون من مخطوطات ليبيا ، فقد رأيت بعضها - وخاصة في الحديث النبوي - قد جلبها بعض القواد العسكريين الإيطاليين إلى مكتبة أمبروزيانا في ميلانو ، أثناء زيارتي للمكتبة في شهر أكتوبر / نوفمبر من عام ١٩٨٩م ، وإقامتي فيها أربعة وعشرين يومًا للاطلاع على مخطوطاتها العربية البالغة ٢١٣٦ مخطوطة ، والاتقاء منها وتصويره لصالح معهد المخطوطات العربية .

وقسم من هذه المخطوطات انتقل إلى أوروبا عن طريق التجار الذين باعوها بأثمان زهيدة . وذكر المنجد قصة ذلك التاجر الإيطالي في صنعاء الذي كان يبيع الناس الأقمشة والمواد الغذائية ويطلب مقابلها مخطوطات ، فاستطاع أن يجمع ما يقرب من ستة آلاف مخطوطة حملها معه هدية إلى مكتبة القاتيكان ، ومن ثمّ أهدتها هذه المكتبة إلى مكتبة أمبروزيانا .

وذكر كذلك ماصنعه عالم الفلك محمد بن حسن الحلواني (في مصدر آخر اسمه أمين) في المدينة المنورة . وكان هذا جماعًا للمخطوطات ، وحمل عام ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) كلّ ما لديه من مخطوطات إلى أمستردام في هولندا ، وباعها إلى مؤسسة بريل Brill في مدينة ليدن بهولندا ، وهي بدورها باعت قسمًا منها - فيما بعد - إلى مكتبة برلين ، وقسمًا آخر إلى جامعة ييل Yale في الولايات المتحدة .

حركة انتقال المخطوطات :

وكشف المنجد عن حركة المخطوطات العربية من بغداد ودمشق والقاهرة إلى أوروبا . وذكر أسماء بعض التجار الذين كانوا يجمعون المخطوطات من دور الأسر العلمية في هذه العواصم بعد وفاة أصحابها . من هؤلاء نعمان الأعظمي في بغداد ؛ والأستاذ أحمد عبّيد والشيخ حمدي السفرجلاني ، في دمشق ؛ وأمين الخانجي في القاهرة ، وكل هؤلاء كانوا من العارفين بالمخطوطات الجماعين لها .

ويحضرني هنا من الدلائل على حركة البيع هذه أن العلامة محمود محمد شاكر كان قد نسخ وهو شاب كتاب « طبقات فحول الشعراء » لمحمد بن سلام الجُمحي عن مخطوطة كانت في صندوق لدى أمين الخانجي . وأصدر الطبعة الأولى منه عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) عن هذه النسخة ناقصاً . وتقدمت السنون وطفق المحقق يفتش عن المخطوطة التي اختفت من عند الخانجي - وكان قد توفي - ليرجع إليها ويتم نسخها قبل إصدار طبعة الكتاب الثانية ، إلى أن وجدها قد قُرت في مكتبة شستر بتي في مدينة دبلن بإيرلندا . فأخرج طبعته الثانية عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) بعد أن اطلع على مصوِّرة منها (انظر السُّفر الأول من الكتاب ، ص ٩ - ١١ من المقدمة) .

ومثل هذا تماماً كتاب البَيَزَة لمؤلفه بازيار العزيز بالله الفاطمي الذي نشره محمد كرد علي في عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) عن صورة شمسية كان قد صورها المجمع العلمي العربي بدمشق من نسخة وحيدة وُجدت في بيت من بيوتات دمشق ، وبيعت - كما ذكر كرد علي - لأحد علماء المشرقيات . واتضح بعد صدور فهرس مكتبة شستر بتي أن النسخة تلك هي من مقتنياتها برقم ٣٨٣١ . ونعلم أن هذه النسخة كان يملكها عام ١٣٠٨ هـ الحاج محمد بن أحمد المغربي ، ثم انتقلت إلى علي بن عمر المهايني ، ومن ثمَّ اشتراها شستر بتي عام ١٩١٣ م . (انظر ص ١٢ - ١٣ من مقدمة الكتاب) .

وبالمناسبة فإنَّ اهتمام شستر بتي بالإيرلندي هذا بجمع المخطوطات العربية يعود إلى أوائل هذا القرن عندما ذهب إلى أكثر من بلد عربي وجمع مخطوطات نفيسة لا تقدر بثمن . فقد رحل مع زوجته إلى مصر واستقر في القاهرة سنوات عديدة . وكان يقضي يومه في أسواقها وأحيائها ، وأقام صداقات مع عدد من المكتبيين ، وكان له وهو في أوروبا وكلاء في المشرق لجمع المخطوطات العربية . واستطاع شستر بتي آخر الأمر أن يحصل على ٣٦٥٠ مخطوطة عربية ، وعلى نسخ فريدة من القرآن الكريم بعضها بخط ابن البواب ، الخطاط

المشهور المتوفى في أوائل القرن الخامس الهجري . هذا غير ما جمعه من المخطوطات الفارسية والتركية والمغولية والهندية ، أودعها جميعاً مكتبته التي سُميت باسمه .

ومن أشهر الذين كانوا يهتمون بشراء المخطوطات العربية في أوروبا في تلك الفترة مستشرق يهودي مغربي اسمه (أ. س. يهودا) ، كان يعيش في إنجلترا ، وكان يشتري من البلاد العربية أنفس المخطوطات ، واستطاع أن يجمع قدرًا كبيرًا منها . ولما توفي انتقل قسم منها بالشراء إلى مكتبة شستر بتي . وقسم ثانٍ اشترته جامعة برنستون وعدده خمسة آلاف مخطوطة ، كلها مما اشترى من دمشق . وقسم ثالث ، في العلوم الطبية لمؤلفين عرب ، اشترته وزارة الدفاع الأمريكية وخصته بمستشفى كليفلاند المشهور بالولايات المتحدة .

أما ر . جاريت R.Garett الأمريكي الذي كان رئيس مجلس إدارة جامعة برنستون ، فقد ذهب في أواخر القرن الميلادي الماضي إلى منطقة حوران في سورية للتنقيب عن الآثار ، فعاد ومعه عشرة آلاف مخطوطة أهداها كلها إلى جامعة برنستون ، وعُرفت في الجامعة بمجموعة جاريت .

حلقات أخرى :

وواضح أن هذه المعلومات التي يذكرها المنجد عن تغريب المخطوطات العربية ، على قيمتها البالغة ، لم تأخذ طابع الاستقصاء . فقصة التغريب هذه طويلة ، وحلقاتها متعددة ومتشابكة . ومن هذه الحلقات ، مما لم يذكره المنجد في الندوة ، مكتبة السلطان المراكشي مولاي زيدان السعدي الذي أراد صاحبها نقلها عام ١٦١٢م إلى أغادير على باخرة فرنسية ، فاعترضتها ثلاث بواخر إسبانية صادرت المكتبة ، واستقرت آخر الأمر في مكتبة الإسكوريال الملكية الملحقة بدير الإسكوريال الذي يبعد عن مدريد خمسين كيلو مترًا . وقد شكلت مكتبة السلطان المراكشي المنهوبة ، وغالبها مخطوطات عربية ، قسمًا واضحًا في مكتبة الإسكوريال ، التي تحتوي الآن على ١٨٧٠ مخطوطة عربية .

وكذلك الرحالة إدوارد جلازر Glazer اليهودي النمساوي ، وهو شيكوسلوفاكي الأصل ، الذي تزياً بزّي فقيه عربي ونظم أربع رحلات إلى اليمن ما بين سنتي ١٨٨١ - ١٨٩٢ م ، وكانت حصيلته منها ٤٩٦ مخطوطة غير مئات النقوش . باع ٢٥٠ مخطوطة منها للمتحف البريطاني في لندن ، و ٢٤٦ مخطوطة للمكتبة الملكية ببرلين .

وإن نسيت فلا أنسى الكونت كارلو تيودور لندبيرج ، وهو من السويد ، وقد تسمى بعمر السويدي ، وأتقن العربية ، وطاف في لبنان وسوريا وفلسطين . واستقر في مصر عدة سنوات ، وجمع منها مخطوطات كثيرة . ثم زار عدن عام ١٨٩٥ م . وكان له في البلاد العربية عملاء عرب وأوروبيون لجمع المخطوطات . وكان يوجههم إلى الاهتمام بمخطوطات التاريخ والأدب (وخاصة الشعر) واللغة والرحلات . واستطاع بعد كل هذه الجهود أن يحصل على أكثر من ألفي مخطوطة ، منها قدر كبير من اليمن . وما زالت المكتبات الأوروبية والأمريكية عامرة بمجموعات منها . وقد أفاد هذا المستشرق مما جمع من مخطوطات فأصدر نصوصاً ودواوين محققة ، ودراسات وبحوثاً أدبية ولغوية .

والمستشرق الإيطالي المعروف جريفييني الذي عُين مديراً للمكتبة الملكية في مصر خلال الأعوام ١٩٢٠ - ١٩٢٥ م ، اهتم هو الآخر بجمع المخطوطات العربية من مصر وغيرها من بلاد العرب . وبلغ مجموع ما رآه منها أكثر من ١٢٢١ مخطوطة . وهو الذي أقنع كابروتي التاجر الإيطالي ببيع مخطوطاته التي جلبها من اليمن وعددها ١٦١٠ مخطوطة إلى مكتبة أمبروزيانا . ولا زالت هذه المكتبة تحتفظ بهذه المجموعة التي قام جريفييني نفسه بفهرستها . ومن الطريف أنني حين زرت هذه المكتبة في شهر أكتوبر / نوفمبر من عام ١٩٨٩ م واطلعتُ على مخطوطاتها لتصوير ما اختاره منها لصالح معهد المخطوطات العربية ، على نحو ما ذكرتُ قبل قليل ، وجدتُ بطاقة صغيرة باسم جريفييني

في داخل مخطوطة تعود إلى أيام أن كان مديرًا للمكتبة الملكية في مصر ، وقد كتب عليها بالعربية بحروف المطبعة : الدكتور غريفي ، مدير مكتبة الديوان العالي - سراي عابدين ، تليفون ١٣٤٤ .

وقصة ذلك الراعي الفلسطيني الذي عثر في ربيع عام ١٩٤٧م ، في كهف من كهوف خربة قمران القريبة من مدينة أريحا في غور فلسطين ، على وعاء من الفخار فيه لفائف مخطوطات من جلود الماعز . وسرعان ما انتهت هذه اللقائف القيمة إلى أحد رهبان الأديرة بمدينة القدس ، فباع بعضها إلى الجامعة العبرية الواقعة على جبل الطور بالمدينة ، وبعضها الآخر هربها عبر سورية ولبنان إلى الولايات المتحدة الأمريكية . (انظر من ١٨ - ٢١ من كتاب ثقافتنا في خمسين عامًا ، نشر دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٧٢م) .

وحين دخلت أمريكا حلبة التنافس على مخطوطات اليمن وآثارها ونقوشها منذ سنة ١٩٤٧م ، نظمت مؤسسة أمريكية سنة (١٩٥٠ - ١٩٥٢) حملتين علميتين برئاسة وندل فيليس الذي تسمى بحسين بن علي بلحارثي ، وطوّف في اليمن ، ثم عاد محملاً بالمخطوطات والنقوش والآثار .

ولما زرت عام ١٩٧٧م مكتبة الماتيندران (دار المخطوطات) في يريقان عاصمة جمهورية أرمينيا السوفيتية ، وجدت فيها المجموعة الكاملة من مخطوطات مكتبة فروج سلاطيان الأرمني الذي كان يعيش في بيروت وقد جمع هذه المخطوطات العربية ، وأهداها إلى تلك المكتبة . وقد شكلت هذه الهدية نصيباً كبيراً من مخطوطات الماتيندران التي تحتوي - وقت زيارتي إليها - على تسع مئة مخطوطة عربية . وكان المنجد قد فهرس هذه المخطوطات وهي في بيروت في حوزة فروج سلاطيان ، وأصدر لها فهرساً مطبوعاً وجدته في المكتبة المذكورة يستخدمونه للكشف عن هذه المخطوطات وهي في غربتها .

ومازال يعيش بيننا أحد المشاهير من متعقي مخطوطات اليمن ، وهو البروفسور ر . ب سارجنت R. B. Serjeant المستشرق الإنجليزي ، والذي تعود صلته

باليمن منذ سنة ١٩٤٠م . وتكررت منذ ذلك التاريخ زياراته إليها والإقامة في مناطقها المختلفة ، بصفة باحث أو موظف أو مستشار في بعثة أثرية . وهمّه الأول التفتيش عن المخطوطات العربية النفيسة . وكنت قد قابلته في أحد فنادق مدينة تعز اليمنية في الفترة ما بين ٢٦ / ١٠ إلى ٢ / ١١ من عام ١٩٧٤م . وأعلم جيداً أنه على صلة حميمة بذوي المخطوطات العربية باليمن . وقد انتفع سارجنت في بحوثه المتميزة التي نشرها ، ببعض مخطوطات اليمن النادرة التي حصل عليها ، من مثل تاريخ شنبل المتوفى عام ١٥١٤م ، وهو مؤرخ من مدينة تريم في دواخل حضرموت ؛ وتاريخ محمد بن عمر بافقيه ، المعروف بالطبيب الشَّحْرِي (في أواخر القرن السادس عشر الميلادي) ، وهو من مدينة الشَّحْر على ساحل حضرموت . ولا نعلم عدد المخطوطات التي تمكن سارجنت من ترحيلها من المنطقة إلى بلاده ، ذلك لأنه يغلف حرصه الشديد على اقتناء المخطوطات بكثير من السَّريّة والكتّان . وربما نستطيع ذلك حين تؤول هذه المخطوطات إلى المكتبات العالمية أو المتاحف الأوروبية الشهيرة . (انظر ص ١٠٤ من كتاب مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا ، د. محمود السمرة ، كتاب العربي - الرابع - الكويت ، أكتوبر ١٩٨٤م - وقد صحَّحتُ هنا قوله إن موقع مدينة تريم على ساحل حضرموت ، والصحيح أنها في دواخلها ، وقرية من مدينة سيئون) .

على أن نظرة الإنصاف - بعد هذا الطواف - ترى أن المنجد لم يقصد ، فيما ذكره في هذه الندوة من تغريب التراث ، الاستقصاء ، لأن ندوة مثل هذه لا تحتل إلا ذكر أمثلة مقتضبة عن التغريب ووسائله . وفي يقيني أن جعبة المنجد ملأى بمعلومات قيمة عن هذا الموضوع ، لذا فإننا نتمنى عليه أن يُصدر كتاباً نوه عنه في هذه الندوة - سنشير إليه في ختام هذا الحديث - لعله يستقصي فيه هذا الإشكال العظيم الذي تعرّض له تراثنا المخطوط في القرون الأخيرة .

مقولة تفتقر للصحة :

وتساءل المنجد بعد ذلك أيهما أفضل إبقاء هذا التراث عندنا ، أم بيعه إلى المكتبات والمتاحف في أوروبا وأمريكا ؟ ويجب عن هذا التساؤل بأنّ حسن الأوروبيين والأمريكيين بقيمة التراث - أيّ تراث - نامٍ وقوي ، لذلك فقد حافظوا على المخطوطات العربية التي اقتنوها ، وحفظوها في مكان مناسب بعيداً عن الحرارة العالية والرطوبة والأرضة والسوس ، مع صيانتها المتوالية وتجليدها ، والعناية بتصنيفها وفهرستها ، وطبع هذه الفهارس ونشرها ليطلع عليها الباحثون والدارسون .

والقول الصحيح إن الأجداد حافظوا على هذا التراث المخطوط عشرة قرون . ولم تتعرض هذه المخطوطات للإهمال والتلف إلا في قرون التردّي الأخيرة . وكان بالإمكان بشيء من التوعية والخدمة أن يحافظوا عليها كذلك . وإن ماصنعه الأوروبيون وغيرهم لا يعفيهم من تهمة انتهاز فرصة فقر أهل التراث وجهلهم بقيمته ، فأخذوه منهم بأثمان بخسة سواء بتقديم المال ، أو المواد الغذائية في مواسم القحط والجفاف ، أو السلاح لتحارب القبيلة قبيلة أخرى - لخلاف فيما بينهما . فضلاً عما أخذوه عنوة وغصباً لوهم أصحابه وضعفهم .

على أن الأوروبيين وغيرهم لم يحصلوا على ما حصلوا عليه من مخطوطات إلا بشقّ الأنفس ومختلف الطرق والحيل ، ذلك لأن كثيراً من مقتني هذه المخطوطات لم يفرطوا فيها برغم حاجتهم الملحة إلى ثمنها ، لأنّ لها عندهم نوعاً من التقديس ، وهي في البيت مبعث بركة ، ومجلبة خير . لقد لمسْتُ هذا وشاهدته بنفسي في بعض بيوت مدينة زَبِيد في اليمن من آل الأهدل ، حين زرتها عام ١٩٧٤م . ويُذكر أن بيوت هذه المدينة تكاد لا تخلو من المخطوطات ، فقد كانت في سالف الأزمان مركزاً للعلم .

ولاشك في أنه كان من أهداف الأوروبيين وغيرهم الاستحواذ على المخطوطات لما تنطوي عليه من الفكر العربي الإسلامي ، خاصة ما يتعلق منها

بالحروب والجيوش وأدوات الحرب وصناعة السفن والمراكب الحربية ومراسم الخلافة ومظاهر الحضارة ، الأمر الذي يكشف عن نوايا السيطرة والاستعمار . ويتأكد ذلك حين نعلم أن اهتمام الأجانب بنقل المخطوطات العربية إلى بلادهم ازداد منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي .

هذا بالإضافة إلى ما يحصل عليه الأوروبيون وغيرهم من فوائد مادية . فإن الجامعات العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي أخذت تدفع مبالغ طائلة لقاء الحصول على مصورات مجموعات من المخطوطات في أوروبا وأمريكا ، وهي أضعاف ما دُفع للتجار لقاء شرائها فيما مضى . وأصبحت هذه المكتبات الغربية والمتاحف الأجنبية قبلة الدارسين والباحثين من كل جنس يقضون أشهرًا في تلك الأماكن بغية الاطلاع على بعض مخطوطاتها سواء كان للتحقيق أو للدرس .

ومهما يكن الأمر ، فإن مقولة إن هؤلاء الغرباء حافظوا على هذا التراث المخطوط لا تصدق في الوقت الحاضر . ذلك لأن معهد المخطوطات العربية كان قد توجه بالعناية والرعاية إلى سنّ قانون نموذجي لحماية المخطوطات في الأقطار العربية . وجمع خبراء متخصصين ، ومستشارين قانونيين لوضعه . وعرض المعهد مشروع القانون على الدول العربية لدراسته وإبداء الملاحظات عليه . ثم أعاد صياغته بناء على ماتلقى من ملاحظات ، وطرحه في المؤتمر السادس للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ، الذي انعقد في شهر إبريل من عام ١٩٨٧ ، فأقرّ المؤتمر النصّ النهائي للقانون . وحيثُ وجه المعهد إلى اللجان الوطنية في البلاد العربية قرارَ المؤتمر والنص الكامل للقانون للأخذ به . وسنّت كثير من الدول العربية القوانين التي من شأنها أن تحمي التراث العربي المخطوط من النهب أو التلف . بالإضافة إلى أن الحسّ لدينا بقيمة هذه المخطوطات أصبح فائقًا ، وتعلّمت صيانتها وتجليدها وفهرستها ، وبهذا ينبغي أن نحفظ بها ، ونحافظ عليها ، ولا نفرط فيها .

لقد تفاعل الحاضرون - وهم من ذوي الثقافة والفكر - مع المنجد في حديثه عن تعريب التراث المخطوط ، فأخذ يدلي بعضهم بما يضيفه إلى هذا الموضوع . وهذه فائدة من فوائد الندوات الثقافية . لقد ذكر أحدهم أن مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة كانت تحتوي في عهد الأتراك وأوائل عهد الأشراف على ١٦٥٠٠ مخطوطة ، لم يبقَ منها في الوقت الحاضر سوى خمسة آلاف . ويعود هذا النقص إلى مدير لها سابق هو إبراهيم الخربوطي الذي كان يأخذ من مخطوطاتها ويبيعها في أوروبا ، ولعله - على حدّ قوله - باع بعضها إلى فيليبي . وعبد الله فيليبي هذا هو الرحّالة المشهور الذي زار جدّة وطاف في عسير ونجران وشبوه وتريم وحضرموت والشُّعر ، وعاد منها بالذخائر التي لا تقدّر . وهو الذي وصف وسط الجزيرة العربية وصفاً مفصلاً في كتابه « قلب الجزيرة العربية » الذي أصدره عام ١٩١١ م . ومثل ما حدث لمكتبة عارف حكمت حدث لمكتبة السلطان محمود (المحمودية) بالمدينة المنورة أيضاً .

وإنني أذكرُ حين زرتُ مكتبة عارف حكمت التابعة لوزارة الحج والأوقاف في الفترة ما بين شهري فبراير ومايو من عام ١٩٧٣ م في بعثة معهد المخطوطات العربية للاختيار والتصوير منها ، لاحظت نقصاً واضحاً في مخطوطاتها عمّا هو مرصود في سجلّاتها الأولى ، خاصةً النسخ النفيسة منها . وأذكر أيضاً أن من أساليب العبث في مخطوطاتها غير ما ذكر أن تكون النسخة النفيسة غير موجودة ، ووضع بدلاً منها كراسة حديثة ، وقد كتبت المخطوطة فيها بخط متأخر .

ويقارب هذا الأسلوب ما تلقاه في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة . فهناك بعض المخطوطات إن طلبتها يأتونك بغلاف النسخة الأصلية القديمة

وبداخله صورة منها ، مع أنها صُنِّفت في فهارس الدار المطبوعة على أنها نسخة أصلية . وواضح أن النسخة الأصلية سُطِّي عليها ، ووضع صورة منها في مكانها . (انظر ص ١٢ من كتاب تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة - الحقبة اليمانية - د. محمد عيسى صالحية ، دار الحداثة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥ م) .

وبعد ، فإن المنجد قد ذكر في هذه الندوة معلومة قيمة ، وهي أنه وضع كتاباً بعنوان « ست سنوات في معهد المخطوطات العربية » لم يُطبع بعد . ونرجو أن يهتم واضعه بطبعه ، ويعجّل في نشره ، لما أحسب فيه من فوائد جمة للمعنيين بهذا الميدان ، وليكمل لنا ما ذكره في هذه الندوة من حكاية تشريد المخطوطات العربية وتغريبها .

رحل محمد عبد الهادي أبو ريدة مؤخرًا عن
عالمنا ، بعد أن خلّف تلاميذ ومريدين ، وترك تراثًا
غنيًا ، تنوّع بين البحث والترجمة والتحقيق ،
وانصبَّ كله في خدمة الفلسفة العربية الإسلامية .

أبوريدة* :

جهوده في التراث والفلسفة

وقد رأت « المجلة أن من حق هذا الرجل أن
تُفتح له الصفحات ، فكلفت د. أحمد عبد الحلیم
عطية بإعداد هذا البحث الذي يستعرض جهوده
في الميادين الثلاثة ، ويكشف عن أثر المخطوطات
في إنتاجه ومنهجه .

د. أحمد عبد الحلیم عطية**

وهذه دعوة من « المجلة » لزملائه ومريديه
لإلقاء أضواء أقوى على القضايا المتصلة بالتراث
والمخطوطات في مصنفاته .

« المجلة »

* انتقل أبو ريدة إلى رحمته تعالى في العاشر من نوفمبر ١٩٩١ م. وكان قد قام بزيارة إلى المعهد قبيل وفاته . رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

** أستاذ الفلسفة المساعد في كلية الآداب - جامعة القاهرة . متخصص في فلسفة القيم والأخلاق . له :
الديكارتية في الفكر العربي ، الأصول الاستشراقية في فلسفة د. بدوي ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب .

مقدمة :

كان الكندي أول الفلاسفة العرب الذين رسموا الطريق لمن أتوا بعدهم من الفلاسفة . وكما كان من حسن طالع الفلسفة الإسلامية أن يؤسس لها الفيلسوف العربي المسلم قديماً في القرن الثالث الهجري ، فقد كان صاحب « الكندي » محمد عبد الهادي أبو ريدة من الطليعة الواعية التي أسست الدرس الفلسفي المعاصر في العربية .

لقد جاء إنشاء الجامعة المصرية في بداية هذا القرن ليكون علامة مميزة في الحياة الثقافية المصرية بخاصة ، والعربية بعامة ، فقد كان دورها عظيماً في ترسيخ الثقافة العلمية القائمة على المناهج الحديثة .

في هذه الجامعة تخرج أبو ريدة على أيدي مجموعة من الأساتذة المصريين والأجانب . وكان في مقدمة الأساتذة المصريين آنذاك الشيخ مصطفى عبد الرازق^(١) صاحب المدرسة الفلسفية الحديثة في مصر ، الذي تخرج به جماعة من الأعلام منهم عثمان أمين^(٢) ومحمود الخضيرى وعلي سامي النشار^(٣) وأحمد فؤاد الأهواني وثابت الفندي وتوفيق الطويل ، إلى جانب أبو ريدة الذي احتط منذ البداية خطة واضحة محددة المعالم لدراسة الفلسفة الإسلامية ، والتزم بعمق وجدية بها . في ٢٤ نوفمبر ١٩٠٩ ولد أبو ريدة بمدينة العريش ، وفي عام ١٩٣٤ أنهى دراسته الجامعية بالجامعة المصرية وسافر إلى باريس ودرس بها ، ثم درس بجامعة بازل

(١) ينبغي التأكيد على الصلة القوية بين الشيخ مصطفى عبد الرازق وتلاميذه الذين واصلوا تدعيم الدراسات الإسلامية وفي مقدمتهم محمد عبد الهادي أبو ريدة وعلي سامي النشار راجع :

د. إبراهيم مذكور [مشرفاً] : الكتاب التذكاري عن « الإمام الأكبر مصطفى عبد الرازق مفكراً وأديباً ومصلحاً » ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون - القاهرة ١٩٨٢ .

د. علي عبد الفتاح المغربي : الفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق دار المعارف - القاهرة - ط ٢ - ١٩٨٧ .

(٢) راجع د. إبراهيم بيومي مذكور [مشرفاً] دراسات فلسفية مهداة إلى روح الدكتور عثمان أمين ، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٩ .

(٣) راجع كتاب المشكاة دراسات مهداة إلى روح الدكتور علي سامي النشار دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٥ .

بسويسرا ، وحصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٤٥ ، وعمل أستاذا زائراً بالسوربون عام ١٩٤٨ .

وعين مستشاراً ثقافياً لمصر في مدريد عام ١٩٤٩ ، وكلف بإنشاء المعهد المصري هناك ، وكان أول مدير له حتى عام ١٩٥٣ .

وبالإضافة لعمله بجامعة القاهرة انتدب لإنشاء الجامعة الليبية ورأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ببني غازي ، ثم انتدب ثانية لإنشاء قسم الفلسفة بجامعة الكويت ، وظل يعمل به حتى عام ١٩٨٥ .

ومع عمله أستاذاً بعدد من الجامعات العربية ومستشاراً لعدد من الجامعات الإسلامية ترك لنا حصيلة وافرة من المؤلفات والأبحاث في شتى ميادين الفلسفة والحضارة الإسلامية .

هياً أبو ريدة نفسه بالإعداد المتأني الجاد ، فسعى لامتلاك أدوات البحث العلمي التي يفتقر إليها كثير ممن ساروا في التخصص نفسه ، فأتقن الألمانية والفرنسية والإنجليزية والأسبانية ، ومن اللغات القديمة اللاتينية واليونانية والفارسية ، بالإضافة لطول باعه في العربية ، وراجع كل المصادر الأساسية في لغاتها المختلفة ، واختار جانباً محدداً واضحاً مال إليه وانشغل به ، وكان سبيله لقراءة الفلسفة العربية الإسلامية ، هو الجانب العلمي ، أو ما أطلق عليه القدماء الحكمة الطبيعية منذ أول دراساته عن النظام حتى آخر تحقیقاته عن ابن الهيثم .

كان « أبو ريدة » على وعي بمهمته ورسالته ودوره في بداية نشاطه الفلسفي الذي بدأ منذ تخرجه في قسم الفلسفة بالجامعة المصرية عام ١٩٣٤ ، وهو تقديم « تاريخ واسع شامل للفكر الفلسفي الإسلامي » . ورأى أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا من خلال وسائل ثلاث متاحة أمام الباحث الجاد وهي : الترجمة الأمانة للكتب الأساسية في اللغات المختلفة التي تتناول الفلسفة الإسلامية ، وتحقيق المصادر الأصلية في فروع

الفلسفة وعلم الكلام وتاريخ العلم ، بالإضافة لتقديم دراسات مبتكرة تحيي الجوانب الهامة في هذه الفلسفة ، وهي عنده الجوانب الفلسفية والعلمية التي اهتم بها كثيراً وتابعها طوال حياته ، وفي مقدمتها رسالتاه : « إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية » ١٩٣٨^(١) بجامعة القاهرة ، والغزالي ومعارضته للفلسفة اليونانية Al Ghazali und seine Wiederlegung der griechischen philosophie في جامعة بازل سويسرا عام ١٩٤٥^(٢) .

شغلت الترجمة المرحلة الأولى من حياة أبو ريدة التي بدأت منذ تخرجه واستمرت حوالى اثنتي عشرة سنة .

وإذا عرضنا لترجمات أبو ريدة فسوف نجد أنه اختار بعناية عدة نصوص هامة في تخصصه الدقيق ، تُوَسَّع من فهمنا للفلسفة الإسلامية من جانب وتؤكد على الناحية العلمية من جانب آخر .

ويهمنا أن نشير إلى مسألتين هامتين قبل بيان جهود أبو ريدة في الترجمة ؛ الأولى أن الترجمة كانت بمثابة إعداد وتمهيد وتوفير النصوص الفلسفية اللازمة للتأريخ للفلسفة العربية الإسلامية ، فهي نقطة انطلاق أولى لهدف أعم وأشمل ، وأنها - وتلك المسألة الثانية - جهد فلسفي في الأساس فهي توظيف للأدوات البحثية المختلفة من مراجعة المصادر الفلسفية باللغات المتعددة والاعتماد على المخطوطات الأساسية والاستعانة بها ، وتقديم الترجمة للعربية بدراسة وافية تضع النص المترجم في سياقه بالنسبة لتاريخ الفلسفة الإسلامية ومشكلاتها .

(١) د. محمد عبد الهادي أبو ريدة : إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية : دار النديم للطباعة والنشر ، ط ٢ - القاهرة ١٩٨٩ .

(٢) Al Ghazali und seine Wiederlegung der griechischen philosophie , tahâfût al Falasifah , Madrid (٢) 1952 .

أولاً : ترجمات أبو ريدة الفلسفية :

قدم أبو ريدة ترجمات لخمس كتب أساسية اهتمت بالحضارة والفلسفة الإسلامية لبيان صورة الفلسفة والحضارة الإسلامية ، كما تجلت في كتابات الأوربيين ، بالإضافة إلى ترجمة عدد كبير من المواد الفلسفية في دائرة المعارف الإسلامية .

١ - وجهة الإسلام .. مجموعة مستشرقين :

والعمل الأول الذي قدمه فور تخرجه - هو كتاب « وجهة الإسلام : نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي » كتبه مجموعة من المستشرقين وأشرف عليه هاملتون جب ولويس ماسينيون^(١) .

وهذا الكتاب يعرض تطور الشعوب الإسلامية ، وخطوات هذا التطور وظروفه التاريخية والعوامل التي ساعدت عليه ومسلك المسلمين إزاء المدنية الغربية ومقدار قبولهم أو رفضهم لها ، ووسائلهم في حل مشكلاتهم الحاضرة وما أصابوا من نجاح ثم وجهة الإسلام في جملته ومحاولة التوفيق بين أنظمتها والعصر الحديث .

وترجع أهمية هذا العمل إلى أنه يوجه أكبر العناية إلى تحليل تيارات الفكر الداخلية بين شعوب الإسلام وما يتردد بينها من نزعات ، ويفصل ما يشغل بالهم من الناحية الدينية والاجتماعية^(٢) .

والحقيقة أن هذه النوعية من الكتب تثير الشك والتساؤلات وتطرح العديد من علامات الاستفهام حول السبب في تأليف هذه الكتب (التقارير) والغرض منها ونوعية المتلقي لها في الغرب . وإذا كان أبو ريدة لم يشغل نفسه بالبحث في ذلك فإنه توقف من خلال التعليقات لمناقشة بعض الأفكار التي يعرضها المؤلفون ، وكلها

(١) هـ . جب - ل : ماسينيون : وجهة الإسلام ، المطبعة الإسلامية القاهرة ١٩٣٤ . ترجمة أبو ريدة .

(٢) المرجع السابق ، المقدمة ، ص ٣ .

تتجه نحو تصويب بعض الأفكار الجزئية يقول : « لم أجد في ثنايا الكتاب كثيرًا مما يحتاج إلى التعليق ولم أعلق إلا على بعض الأفكار في اختصار^(١) .

٢ - تاريخ الفلسفة .. لدي بور :

والعمل الثاني هو كتاب دي بور De Boer « تاريخ الفلسفة في الإسلام » الذي بذل فيه الجهد الكبير « ليعطي قارئه فكرة شاملة عن الفلسفة الإسلامية منذ نشأتها ويبين تطورها ومشهوري رجالها ويهديه إلى مسائلها ، فيبيته لدراستها الدراسة الوافية^(٢) .

ويوضح المترجم أهمية دراسة تاريخ الفلسفة ؛ وأنها وإن نهضت في أوروبا في القرن التاسع عشر فهي لاتزال حديثة العهد في مصر .

ويشير إلى قلة الكتب العامة في تاريخ الفلسفة الإسلامية فهناك كتاب « مونك » وكتاب دي بور - الذي يقدم لنا ترجمته ، ثم كتاب كاردي فوا .

إن جهد أبو ريدة في هذا العمل يجعلنا دون أدنى مبالغة ننسب العمل إلى « أبو ريدة - دي بور » معًا !

لقد رغب المؤلف في الإيجاز فلم يذكر المراجع التي رجع إليها ولا المصادر ، حتى إنه كان يترجم النص العربي ولا يدل على مكانه ، فبحث أبو ريدة حتى اهتدى إلى الأصول العربية ، وأضاف كثيرًا من التعليقات بحيث جاءت الترجمة في أكثر من ضعفي حجمها الأصلي مزودة بالإشارات والتنبيهات والتعليقات ، فصل ما هو موجز ، وأضاف معلومات هياتها البحوث الجديدة حتى جاء الكتاب أوفى وأعم نفعًا وبداية

(١) المرجع السابق ص ٤ .

(٢) د. أبو ريدة : مقدمة ترجمته كتاب دي بور . تاريخ الفلسفة في الإسلام . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة [١٩٣٨] ص ٤ .

لجهده في تأريخ أوسع للفكر الإسلامي ، يقول : « لقد أشار على بعض أساتذتي أن أترجم هذا الكتاب ليكون مجملًا شاملًا في تاريخ الفلسفة الإسلامية ... لقد حاولت الاستكمال والاستيفاء بقدر ماتسع بذلك جهدي لأجعل هذا الكتاب ... توطئة لتاريخ أوسع للفكر الإسلامي »^(١) .

٣ - الحضارة الإسلامية لآدم متز :

والكتاب الثالث هو كتاب آدم متز « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع » ويخبرنا أبو ريذة أن الذي حجب إليه القيام بهذا العمل ، أنه ليس في كتب المستشرقين على كثرة تأليفهم إلا كتب قليلة تبحث في تاريخ الحضارة الإسلامية على النحو الذي سلكه آدم متز .

ويحدد أبو ريذة طريقته في العمل لنقل هذا الكتاب إلى العربية وهي التحقيق العلمي للمصادر والأصول التي استقى فيها نصوصه ، يقول : « كان لابد لي من البحث عن هذه المصادر في فهارس المكتبات الأوربية للمطبوعات والمخطوطات ومراجعة ذلك . وقد استطعت أن أحصل على المواضع التي أشار إليها المؤلف في المخطوطات وكذلك مراجعة الأصول العربية وكذلك وسعت بعض النصوص وبينت مناسبتها وذكرت أسماء الأعلام كاملة وعلقت تعليقات قليلة جدًا يتطلبها المقام ، على أنني راجعت كل شيء تقريباً على الأصول التي ذكرها المؤلف مراجعة دقيقة طلباً للدقة والضبط »^(٢) .

٤ - مذهب الذرة عند المسلمين :

كما ترجم كتاب بينس S. Pines « مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود » . الذي ترجمه في أثناء فترة دراسته بباريس وبازل وحالت ظروف الحرب العالمية دون نشره حتى ١٩٤٦ .

(١) الموضوع السابق .

(٢) أبو ريذة : مقدمة ترجمة كتاب آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠ ص ز - ح .

وهو كتاب يسير في الاتجاه العلمي الذي شغل به منذ كان طالباً وظهر في دراسته الأولى عن إبراهيم بن سيار النظام واستمر معه طوال حياته .

قدم للكتاب بدراسة وافية مع ملحق عن مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الأولين في الإسلام^(١) .

ومقدمة ترجمته تظهر بوضوح اهتمامه العلمي المبكر ، فهو يدرس موقف المتكلمين والفلاسفة من الكون على ضوء إنجازات العلم . ويرى أن العلم كان يؤيد متكلمي الإسلام القائلين بالذرة على فلاسفة الإسلام الذين أنكروها ، « لاشك أن متكلمي الإسلام^(٢) . كانوا في كثير من الأحيان أرزن وأقرب إلى روح العلم من فلاسفته » وذلك يتجلى في رفض المتكلمين للعلوم الخادعة . وهم كانوا من وجه ، أقرب إلى روح الفلسفة لتناولهم الأفكار الفلسفية بالنقد وخصوصاً لأبحاثهم في المعرفة الإنسانية ونقدهم لها ... ومهما يكن من شيء فإن القول بالجزء الذي لا يتجزأ كان له شأن كبير في علم الكلام لإثبات بعض العقائد الإيمانية الكبرى مثل : حدوث العالم المفضي إلى إثبات وجود الصانع كما كان أساساً لوجهة نظر في الكون تنبني على القول بالخلق المستمر^(٣) .

وتظهر مقدمة أبو ريدة أهمية الجوهر الفرد في الفلسفة الإسلامية ، وأنه يكشف عن نواح جديدة ويبعث الاهتمام بمشكلات يجب دراستها في الفكر الإسلامي » . وكما أوضحت فإن أبو ريدة حتى في ترجماته يرجع للأصول ، ويعتمد على المصادر المطبوعة والمخطوطة التي يحققها ويشير إليها في كل عمل من أعماله ، وهو يوضح لنا ذلك في مقدمات ترجماته وتعليقاته عليها ، يقول :

(١) أضاف أبو ريدة إلى ترجمته لكتاب بينس ترجمة مقال أوتو بريترل Otto pretzl : مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الأولين في الإسلام . عن مجلة الإسلام المجلد التاسع ١٩٣١ .

(٢) مقدمة أبو ريدة لترجمة كتاب بينس : مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ط .

(٣) الموضوع السابق .

« وكان من حسن حظي أنني عرفت مؤلفه العلامة بينس في باريس فرجعت إليه في إيضاح ما احتجت إلى إيضاحه تحرياً للدقة ، كما أنني استطعت وأنا في باريس مراجعة نصوصه التي لا تحصى في مخطوطاتها الكثيرة التي رجع إليها المؤلف ، ولم يكن هذا عليّ بالأمر اليسير »^(١) ..

ويضيف في الفصل المعنون مصادر فلسفة الرازي وهو يعرض لتحليل بينس للذة والألم عنده واستشهاده ببعض الآيات القرآنية التي تركها المؤلف :

« كان محل هذه الآيات بياضاً في الأصل ؛ وقد عثرت على فصل عنوانه : « في بيان النفس » في آخر مخطوط رقم ٦٩٦ بمكتبة الأسكوريال ، والغالب أنه كتاب الفوز الأصغر لابن مسكويه ، وهو حكاية عند مذاهب الحرانين ، ومنه أكملت هذه الآيات »^(٢) .

٥ - تاريخ الدولة العربية .. لفلهوزن :

وكتاب فلهوزن : « تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية » هو العمل الخامس الذي يقدمه أبو ريدة إلى العربية . وهو كما يتضح من عنوانه في التاريخ العربي يعرض في فصول تسعة لقيام الدولة الإسلامية حتى سقوط دولة بني أمية .

ويخصص أبو ريدة مقدمة للحديث عن المؤلف وأخرى عن الكتاب ، فالرجل عالم بارز في دراسات الكتاب المقدس وباحث محقق في ميدان التاريخ العربي ، وهو مفكر متحرر يعتد بالعقل ويعنى بالنقل . وفي عمله هذا لم يكن متحيزاً أو صاحب أفكار مسبقة مع أو ضد العرب ، فقد جمع بين الجد العلمي والعمق والعدالة ، وجمع بين روح العالم وموضوعيته وروح الفنان وذاتيته^(٣) .

(١) المرجع السابق ، المقدمة ص ط .

(٢) المرجع نفسه ص ٦٣ الهامش .

(٣) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، ١٩٥٨ . والمؤلف معروف في العربية ترجم له د. بدوي كتابه عن الخوارج والشيعة ، القاهرة ١٩٥٩ .

والكتاب يعرض فترة مجد العرب الخالدة وفترة التجربة الكبرى في تاريخهم ، ويوضح كيف قامت دولة العرب على أساس الدين وقوة الإيمان ، والجنس العربي وخصائصه .

ويمكن أن نستنتج خصائص ترجمات أبو ريدة ومنهجه في الترجمة من تلك الإشارات التي يعلن بها في بداية كل نص كيف تعامل معه ، فهو يرى أنه لا بد لمن يريد ترجمة كتاب بلغة أجنبية في موضوع إسلامي أن يكون ملماً بالموضوع عارفاً بالاصطلاحات العربية^(١) ، وأن يراجع كتب التاريخ والتراجم وكل ما رجع إليه المؤلف من مؤلفات المفكرين العرب ، والاستعانة بالاصطلاح العام الذي جرى عليه الإسلاميون . بالإضافة للعودة إلى الأصول والإمام بالمصطلح العلمي العربي ، وعليه أيضاً إدراك أنه مترجم عربي يقدم عملاً للقارئ العربي ، وعليه فمن الممكن أن يتوسع في الموجز ويفصل في المختصر ويحقق الأسماء وتواريخ الميلاد والوفاة لأي ممن تحدث عنهم المؤلف دون تفصيل^(٢) .

وإذا كان أبو ريدة حريصاً على دقة الترجمة ليقدم فكر المؤلف بشكل يكاد يكون حرفياً ، فهو في أحيان أخرى يعطي نفسه حرية أكثر كما في ترجمته لتاريخ الدولة العربية الذي نشر عام ١٩٥٨ (حيث لم يكن بد في بعض الأحيان من ترجمة المعنى ترجمة دقيقة وافية بالغرض دون تعنت في التمسك بالترجمة الحرفية خصوصاً إذا كانت الألفاظ العربية المؤدية للمصطلحات الألمانية لم تتوطن بعد في أذهان غالبية القراء العرب)^(٣) .

إن السمة الأساسية التي نريد أن نستخرجها من عرضنا لإشارات أبو ريدة لطريقته في الترجمة هو التأكيد على أهمية التحقيق والضبط والعودة للأصول العربية وأغلبها

(١) أبو ريدة : مقدمة ترجمته تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ص د .

(٢) أبو ريدة : مقدمة ترجمته الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ص ص .

(٣) أبو ريدة : مقدمة ترجمة تاريخ الدولة العربية .

في هذه الفترة كان مخطوطاً ، أي أن التحقيق والعودة للمخطوطات كانت أيضاً جزءاً من عمله في ترجمة وتقديم النصوص الغربية في الفلسفة إلى العربية .

البحوث

كشف أبو ريذة في بحوثه ميادين بكرة لم يرتدها الباحثون العرب قبله ، وظهر فيها الضبط المنهجي ، الذي تمثل في امتلاك الأدوات البحثية كالتمكن من كثير من اللغات الأوربية والإلمام بالمصطلحات الفلسفية العربية والمعرفة الواسعة بالمصادر والأصول .

١ - النظام وآراؤه الكلامية :

في هذه الفقرة نعرض لأصول البحث العلمي كما ظهرت في أول أبحاثه ، « إبراهيم ابن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية » وهو الذي حصل به على درجة الماجستير .

ولن نتوقف عند الموضوع والمحتوى الذي يعالجه والذي قدمه في باين : الأول : مدخل عن حياة النظام ، ثقافته ، نواحي نشاطه الفكري والاتجاهات الغالبة على تفكيره ومكانته بين مفكري عصره ومميزاته الشخصية ومؤلفاته ، والثاني : آراء النظام سواء في الإلهيات أو الإنسان أو العالم المادي أو المسائل الأخلاقية والسياسية ، فما يهمننا هنا هو التوجه العام المتمثل في مغزى دراسته للنظام والذي يتضح في حديثه عن الاتجاهات الغالبة على تفكيره : النزعة المادية الحسية ، الاتجاه العلمي ، الاتجاه الجدلي ، الاتجاه إلى التعمق (الناحية العقلية المنطقية) .

إن اهتمامه بالنظام جزء من اهتمامه بعلم الكلام الإسلامي الذي شغل به كثيراً ربما بشكل يوازي اهتمامه بالفلسفة أو يزيد ، وهو في هذا يتفق مع علي سامي النشار الذي رأى في هذا العلم الفلسفة الإسلامية الأصيلة ، ومن هنا كان توجيه أبو ريذة جل أبحاثه إلى هذا الميدان ، فعلم الكلام الإسلامي وكبار علمائه ، خصوصاً المتقدمين منهم في حاجة إلى مجهود كبير يوجه إلى دراسة المذاهب الخاصة بكل متكلم وإلى

بيان وجهة النظر الموحدة لفرق المتكلمين ، ولجملة هذه الفرق باعتبارها ممثلة لوجهة نظر تقابل الفلسفة الإسلامية كما يمثلها كبار فلاسفة الإسلام من جهة ، وتكون في ذاتها فلسفة لها خصائصها التي تتميز بها من جهة أخرى^(١) . هذا هو الهدف الذي وجهه من البداية لدراسة النظام وتحقيق كتاب التمهيد للباقلاني وترجمة مذهب الذرة عند المسلمين لسلمون بينس ، فكيف أدى عالمنا هذه المهمة في بحثه : « لقد اعتمدت فيه على ما استطعت الوصول إليه من مراجع مطبوعة أو مخطوطة في مصر وفي بعض بلدان أوروبا ، كما أنني جعلته مستوفياً لأبحاث المستشرقين الأوروبيين في الموضوع »^(٢) . وهذا ما سنحاول إيضاحه .

لقد أراد أبو ريدة ربط آراء النظام بأصولها الأولى الإسلامية « حاولت أن أربط بين أقواله وأفسر بعضها ببعض محافظاً على ما أنا مقتنع به من ضرورة مراعاة التطور الطبيعي للفكر الإسلامي من حيث منشأ المشكلات وما قيل فيها من آراء تحت تأثير الأصول الكبرى للإسلام . ولم أتابع المستشرقين فيما جروا عليه من رد آراء المتكلمين إلى مصادر أجنبية يعينونها مع التعسف والمبالغة في بعض الأحيان »^(٣) .

ويتضح ذلك في مناقشته آراء المستشرق الألماني هورفيتز Horovitz في رده بعض آراء النظام إلى آراء الفلاسفة الرواقين وتأثير الفلسفة اليونانية في تطور علم الكلام الإسلامي .

رجع أبو ريدة إلى المصادر المختلفة في لغاتها الأصلية ، فبالإضافة للأصول العربية ، هناك كتابات كل من : فستنفالد F. Wistenfild^(٤) وماكدونالد Macdonald^(٥)

(١) أبو ريدة : إبراهيم بن سيار النظام . كلمة المؤلف ص. ح .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) المرجع السابق ص. د .

(٤) المرجع نفسه ص ١ .

(٥) المرجع نفسه ص ٥ ، ٨٩ ، ١١٩ ، ١٧١ .

واوليرى Ollary^(١) وكاردي فوا Carrade vau^(٢) والفردفون كريمير Kremer^(٣) وماكس هورتن Max Horten الذي كثيراً ما يعتمد على كتاباته المتعددة^(٤) وبروكلمان Brockelman^(٥) ومارتن شنيدر M. Schreiner^(٦) وهوروفيتز Horovitz^(٧) وبرتزل Pertzl ونيرج Nyberg^(٨) ورينان Renan وفورلارني Frurlani^(٩) وريتير Ritter^(١٠) وغيرهما .

وتأتي المخطوطات لتثمل مصدراً أصيلاً يحرص أبو ريذة على الاعتماد عليه والإشارة له ويبيان مايتعلق به من ذكر المخطوط ورقمه ومكانه ، فهو يذكر في كتابه عن النظام مراجعه في الهوامش والملاحظات ، وفيها تلك المخطوطات التي رجع لها مثل : « عيون التواريخ » لابن شاكر مخطوط رقم ١٥٨٨ بالمكتبة الأهلية بباريس^(١١) ، والبرهان في عقائد أهل الإيمان مخطوط رقم ٣٢١ عقائد بالمكتبة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة^(١٢) ، وعيون أخبار الأعيان فيما مضى في سالف العصور والأزمان لأحمد ابن عبد الله البغدادي مخطوط رقم ٦٦٧٧ بالمكتبة الأهلية بباريس^(١٣) . ويشير إلى

-
- (١) المرجع نفسه ص ٥ ، ١١ . ترجم هذا الكتاب إلى العربية .
 - (٢) المرجع نفسه ص ٥ ، ٦٩ ، ١٧٢ . وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية عادل زعيتر .
 - (٣) انظر ص ٥ ، ص ٨٩ .
 - (٤) راجع صفحات ٥ ، ١٦ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ .
 - (٥) راجع ص ٦ ، ١٧١ .
 - (٦) راجع صفحات ١٣ ، ٥٣ .
 - (٧) على امتداد صفحات الكتاب ٤٧ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٦٨ .
 - (٨) المرجع السابق ص ٥٤ .
 - (٩) المرجع السابق ص ٧٧ .
 - (١٠) المرجع نفسه ص ٧٩ .
 - (١١) المرجع نفسه ص ١ .
 - (١٢) المرجع نفسه ص ٢ ، ٩٠ .
 - (١٣) المرجع السابق ص ٣ ، ١٩٤ .

كتاب الذهبي تاريخ الإسلام وهو يوجد مخطوطاً في بعض مكاتب أوروبا ويعلق عليه : « إن بعض نسخه غير كاملة »^(١) وكتاب أبو المعين النسفي « بحر الكلام » مخطوط رقم ١٥٤ عقائد بالمكتبة التيمورية^(٢) والتبصير في الدين للإسفرائيني مخطوط بمكتبة الأزهر^(٣) وكتاب أبو هلال العسكري « الأوائل » مخطوط رقم ٥٩٨٦ بالمكتبة الأهلية بباريس^(٤) والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار مخطوط رقم 230 Glaser بمكتبة برلين^(٥) والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم مخطوط رقم ١١ أصول بدار الكتب^(٦) وكتاب القاسم بن إبراهيم الحسني ت ٢٤٦ هـ « الرد على الرافضة » مخطوط بمكتبة برلين رقم ١٠١ Glaser^(٧) و « التمهيد » للباقلاني الذي حققه فيما بعد مع الأستاذ محمود الخضيرى - مخطوط رقم ٦٠٩ بالمكتبة الأهلية بباريس^(٨) وكتاب البيهقي « تاريخ حكماء الإسلام » الذي يشير إليه في كثير من أعماله - مخطوط رقم ٣٦٦٦ بدار الكتب المصرية^(٩) والمجموع من المحيط بالتكاليف - مخطوط رقم ٣٥٧ عقائد بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية^(١٠) والصحائف الإلهية للسمرقندي وشرح الصحائف للعلاء الإسفرائيني ، وهما في مخطوط واحد تحت رقم ١٢٤٧ بالمكتبة الأهلية بباريس^(١١) ومفصل المحصل بمكتبة بارس - رقم ١٢٥٤^(١٢) ، والعقائد الماتريدية - مخطوط رقم ١٤٧ عقائد المكتبة التيمورية^(١٣)

(١) راجع ص ٥ .

(٢) راجع ص ٦ ، ١٤٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٧ ، ص ١٣٠ .

(٤) ص ٨ ، ص ٦٧ .

(٥) ص ١٦ ، ١٣٤ ، ١٦٢ .

(٦) ص ١٧ ، ٢١ .

(٧) ص ٢٨ ، ١٥٠ .

(٨) ص ٢٨ ، ص ١٣٥ .

(٩) ص ٧٠ .

(١٠) ص ٨٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١١) ص ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٥٨ ، ١٦٠ .

(١٢) ص ١١٠ ، ص ١٧٤ .

وكتاب فخر الدين الرازي « المباحث المشرقية » مخطوط بمكتبة برلين Or-Ouarta^(١) وشرح الإشارات للطوسي - مخطوط بمكتبة باريس رقم ٢٣٦٦^(٢) والإبانة للأشعري . مخطوط برقم ١٠٧ عقائد بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية^(٣) .

ويرجع أبو ريذة إلى المخطوطات في ترجماته أيضاً ، فهو يستعين في تعليقاته على ترجمته لكتاب دي بور « تاريخ الفلسفة في الإسلام » بعدد كبير من المخطوطات . ففي حديثه عن كتاب التفاحة يجبرنا عن مخطوط له بقوله : « وقد رأيت مختصراً لهذا الكتاب مخطوطاً ضمن مجموعة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وعنوانه « مختصر كتاب التفاحة لسقراط »^(٤) . ويشير أيضاً إلى تاريخ المذاهب الفلسفية لسانتيلا ، وهو مصور بمكتبة الجامعة المصرية^(٥) ، والتبصير في الدين ، وعيون التواريخ لابن شاعر الذي يعتمد عليه أيضاً في كتاب النظام كما أشرنا ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ونزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزوري - مصور بمكتبة الجامعة^(٦) . ويبين أن في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية مخطوطاً رقم ٥٥ يتضمن رسالة للكندي في النفس ضمن مجموعة^(٧) . وفي حديثه يذكر ماشاهده أو عثر عليه من مخطوطات كما في قوله : « وقد عثرت على مخطوط ينسب له (يحيى ابن عدي) وذلك بالمكتبة التيمورية ، تحت رقم ٢٩٠ أخلاق بدار الكتب »^(٨) .

(١) ص ١٢٣ .

(٢) الموضوع السابق .

(٣) ص ٧٠ .

(٤) راجع هوامش وتعليقات أبو ريذة في ترجمته كتاب دي بور « تاريخ الفلسفة في الإسلام » ، ص ١٥٢٩ .

(٥) الموضوع السابق .

(٦) راجع صفحات ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٦٥ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٩ .

(٧) ص ١٢٠ .

(٨) ص ١٥٥ .

٢ - نصوص فلسفية عربية :

وفي كتابه « نصوص فلسفية عربية » ١٩٥٥ يقدم مجموعة من النصوص غرضها تمرين قارئها على الانتقاع بالكتب الفلسفية العربية على نطاق واسع .

وما يهمننا أن نشير إليه في تقديم أبو ريدة لهذه النصوص هو قيامه بإعدادها إعداداً علمياً فيما يشبه التحقيق كما يخبرنا :

« فقد رأيت أن أضبطها وأصلح من أمرها بحيث تكون من غير شك أصح من الأصول التي نقلت عنها »^(١) .

وهو بالإضافة لتقديم النص يشرح الكلمات الصعبة ويلخص الفكرة الإجمالية له . وهذا مايتضح بأجلى صورة في تحقيقاته المعروفة .

التحقيقات

١ - رسائل الكندي الفلسفية :

إن الدراسات عن الكندي لم تنقطع ، وهي في تزايد يوماً بعد يوم ، فمنذ أن عرفت رسائله وأصبحت متوفرة للقارئ والباحث توالى دراسات وكتب عديدة حول الكندي وفلسفته تعتمد على النشرة المحققة الجيدة للرسائل على يد الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة^(٢) .

هكذا كتب الدكتور حسام الألوسي في مقدمة كتابه « فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه » الذي نجد في بدايته إهداء يقول :

إلى الإنسان الذي يقترب اسمه واسم الكندي دوماً ، ويشبهه في طيبة الطوية وحب الإنسانية والسيرة الفلسفية الرحبة الأخ والصديق محمد عبد الهادي أبو ريدة رائد

(١) أبو ريدة : نصوص فلسفية عربية . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، المقدمة .

(٢) د. حسام محيي الدين الألوسي : فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه . دار الطليعة ، بيروت ،

١٩٨٥ ، ص ٧ .

كل دراسة عند الكندي بحق ورمز العالم الفاضل أقدم هذا الكتاب^(١) . حقاً لقد توالى الدراسات عن فيلسوف العرب وتضاربت الآراء حول فلسفته . ويمكن القول : « إن الأحكام المعاصرة على مكانة الكندي الفكرية تختلف بين مرحلتين يفصل بينهما نشرة عبد الهادي أبو ريدة مجموعة أيا صوفيا عن رسائل الكندي »^(٢) . لقد كتب الباحثون عن الكندي ورأيه في العالم بالمقارنة مع أفلاطون وأرسطو^(٣) وحققوا بعض رسائله مثل « في الصناعة الكبرى »^(٤) متلمذين على صاحب الكندي ورائد الدراسات المعاصرة حوله .

وقد يعيد البعض تحقيق بعض رسائل الكندي - لظهور مخطوطات جديدة لها - كما فعل الدكتور عبد الأمير الأعسم في دراسته الهامة « المصطلح الفلسفي عند العرب » - إلا أن ذلك يؤكد فيما يؤكد فضل أبو ريدة : « إن نشرتنا هذه لرسالة الكندي في الحدود والرسوم لا تلغي الجهد البارز الذي بذله الدكتور أبو ريدة في إخراجها أول مرة ، لكنها تصحح القراءات الغامضة في نشرته وتفسح عن كل مسألة استوقفته حيناً في القراءة أو التعليق »^(٥) .

تلك شهادة باحثين محققين في الفلسفة الإسلامية .

بل إنني أزعم أن بعض الانتقادات التي وجهت إلى تحقيقاته - وهي قليلة - تفصح عن تناقض أصحابها . فالدكتور عبد الرحمن بدوي ينتقد في كتابه « رسائل فلسفية » ١٩٧٣ تحقيق أبو ريدة لرسالة الكندي في العقل « تمهيداً لإعادة تحقيقها : » فقد

(١) المرجع السابق ، الإهداء .

(٢) انطون سيف : الكندي ومكانته عند مؤرخي الفلسفة العربية ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٢ .

(٣) عزمي طه السيد أحمد : الكندي ورأيه في العالم المقارنة مع أفلاطون وأرسطو . رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة الكويت ، إشراف أبو ريدة ، ١٩٧٩ .

(٤) الكندي : في الصناعة الكبرى ، تحقيق د. عزمي طه السيد . دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع ، قبرص ، ١٩٨٧ .

(٥) د. عبد الأمير الأعسم : المصطلح الفلسفي عند العرب . دراسة وتحقيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٨ .

تبين بعد الفحص الدقيق أن نشرة هذه الرسائل كلها (رسائل الكندي) حافلة بالأخطاء ولا بد من إعادة تحقيقها كلها من جديد ^(١) . فهي - رسالة العقل - على صغرها تحتل مكانة ممتازة ومن هنا كان الاحتفال بها وكثرة الدراسات التي تناولتها ، كما أن هذه الدراسات اعتمدت على مخطوط واحد هو مخطوط أيا صوفيا ٤٨٣٢ .

ويبدو أن بدوي نفسه - رغم نقده هذا - اعتمد أيضاً في تحقيقه على المخطوط نفسه ، إلا أن ما يهمني هنا هو حكم بدوي على تحقيق أبو ريدة لرسالة العقل الذي يتناقض مع حكم آخر على تحقيق أبو ريدة لهذه الرسائل أصدره بدوي في تحقيقه لكتاب أرسطو في النفس ١٩٥٤ فهو تحقيق ممتاز كما يتضح من قوله « راجع النشرة الممتازة لرسائل الكندي الفلسفية التي قام بها الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة والمقدمة التي صدر بها هذه الرسائل » ^(٢) .

ويأخذ الدكتور الأهواني على محققنا إغفاله نسخة مصورة للمخطوط موجودة بدار الكتب المصرية كانت تغنيه عن تلك المشاق التي يصفها لنا من أجل الحصول على المخطوط ، ويظهر لنا الأهواني أسبقيته في تقديم رسائل الكندي ، فقد نشر له ثلاث رسائل هي : كتاب الكندي في الفلسفة الأولى القاهرة ١٩٤٨ ، رسالة النفس - مجلة الكاتب القاهرية أكتوبر ١٩٤٨ ، رسالة العقل ١٩٤٩ ^(٣) ، بينما نشرة أبو ريدة للرسائل في جزأين عامي ١٩٥٠ - ١٩٥٤ .

والحقيقة أن تحقیقات أبو ريدة لرسائل الكندي سبقت إصدار الأهواني لرسالة الكندي في الفلسفة الأولى - كما يشير هو نفسه . صحيح أن الأهواني نشر تحقيقه

(١) د. عبد الرحمن بدوي : مقدمة تحقيقه : رسائل فلسفية ، الجامعة الليبية ، بنغازي ، ١٩٧٣ ، ص ٩ .

(٢) د. عبد الرحمن بدوي : مقدمة تحقيق كتاب أرسطو في النفس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٦ .

(٣) د. أحمد فؤاد الأهواني : مقدمة تحقيق كتاب الكندي في الفلسفة الأولى ، القاهرة ، ص ٥٧ وما بعدها . وانظر أيضاً كتابه عن « الكندي فيلسوف العرب » ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ص ٧٣ .

١٩٤٨ وأبو ريدة نشر الجزء الأول من رسائل الكندي ١٩٥٠ إلا أن محققنا نشر عدة رسائل للكندي قبل هذا التاريخ بمجلة الأزهر عام ١٩٤٦ هي : رسالة في حدود الأشياء ورسومها « الأزهر مجلد ١٨ عدد صفر ١٣٦٦ هـ . ونشر ثلاث رسائل أخرى هي : في إيضاح تناهي الجرم ، في مائة مالا يمكن أن يكون لا نهاية له وما الذي يقال لا نهاية له ، والثالثة في وحدانية الله وتناهي جرم العالم بمجلة الأزهر المجلد ١٨ ، عدد ربيع الثاني ١٣٦٦ هـ^(١) .

وتدعوننا تلك الشهادات التي توضح ريادة أبو ريدة في دراسة الكندي إلى الوقوف أمام تحقيقه لرسائل الكندي الفلسفية .

يقدم أبو ريدة في الجزء الأول من رسائل الكندي الفلسفية أربع عشرة رسالة فلسفية مع مقدمة وتصدير ، المقدمة عن المخطوط ومنهجه في تحقيق الرسائل ، والتصدير حول فلسفة الكندي^(٢) . وفي الجزء الثاني يقدم الرسائل العلمية للكندي . والكندي هو أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة ، وهو أيضا أول علمائه .

ويحدثنا أبو ريدة عن مؤلفاته في كتابات المسلمين في الشرق ، كما يعرض لهذه المؤلفات في الغرب ، ويشير للترجمات اللاتينية لها ، فأكبر مجموعة من آرائه توجد في رسالة لاتينية تحوي نقداً لآراء الفلاسفة التي نشرها P.Mandunnt في لوفان ١٩١١ ، وفيها آراء كثيرة تنسب للكندي ونجدها بمعناها في رسائله .

ونشر أوتولوت Otto loth رسالته في « ملك العرب وكميته » . ونشر البيهوناجي A- Nagy رسائل ثلاثاً مترجمة إلى اللاتينية هي : رسالة في العقل ، ورسالة في النوم والرؤية ، ورسالة في الجواهر الخمسة في جزء من مجموعة « تاريخ العصور الوسطى » ١٨٩٧ .

(١) د. الأهواني : مقدمة تحقيق رسالة الكندي في الفلسفة الأول ، ص ٥٨ .

(٢) أبو ريدة : مقدمة تحقيق رسائل الكندي الفلسفية .

ونشر ريتير Ritter رسالة « الحيل في دفع الأحران » .
ويشير أبو ريذة إلى تحقيق الدكتور الأهواني لكتاب الكندي في الفلسفة الأولى
« وقد خالفناه في قراءة كثير من المواضع » .

ويعود بالفضل إلى أهله ويذكر جهود المستشرق الألماني ريتير Ritter الذي
اكتشف مجموعة من رسائل فيلسوف العرب بمكتبة أيا صوفيا ضمن مخطوط
٤٨٣٢ . وقد كتب عنها هو بلسنر Plessner في مجلة الأرشيف الشرقي ، المجلد
الرابع ١٩٣٢ .

ويصف أبو ريذة مخطوطة الرسائل، التي تشتمل على قسمين، الثاني يبدأ بترقيم جديد
ويحتوي على رسائل الكندي مع ثبت بأسماء الرسائل الموجودة بعضها رسائل رياضية
ليست للكندي .

أما رسائل الكندي كما يصفها فهي مكتوبة بخط قديم من خط النسخ الكوفي ،
خالية من التنقيط ، ترجع للقرن الخامس الهجري ، وأنها ربما تكون لابن سينا ، لكنها
ليست من خطه .

والرسائل بخط واحد قديم، وأسلوب واحد والروح التي تسري فيها واحدة .
وهي متشابهة في الغالب في الديباجة والخاتمة .

وفي بعضها إشارات للبعض . وقد نجد مسألة أو استدلالاً في إحداها مذكوراً
في الأخرى بنصه تقريباً .

ويستنتج من ذلك أنها مجموعة رسائل بقلم مفكر واحد وإن اختلفت في
موضوعاتها .

وتتطابق أسماء هذه الرسائل مع الأسماء الموجودة في أقدم إحصاء لمؤلفات الكندي .
أما الاصطلاح المستخدم فيها فيبدو أنه من عصر متقدم ، يشبه اصطلاح المتكلمين
الأولين في بعض الأمور .

ويستنتج من أسماء الرسائل وتطابقها مع أسماء مؤلفات الكندي ومن مقارنة محتواها والترجمات اللاتينية للرسائل التطابق التام وأنها تنسب للكندي^(١).

ويقدم أبو ريذة بياناً بأسماء الرسائل وترتيبها كما وردت في المخطوط^(٢) ثم يذكر بعد ذلك المخطوطات الباقية لكتب الكندي الموجودة في غير هذا المخطوط ، وهي : كتاب في كيمياء العطر والتصعيدات ، أيا صوفيا رقم ٣٥٩٤ .

رسالة في علم الكف ذكرها بلسنر ، ومنها نسخة بدار الكتب المصرية .

رسالة في اختيارات الأيام ، مكتبة ليدن تحت رقم ١٩٩ .

رسالة في استخراج الأبعاد بذات الشعبتين ، ليدن رقم ١١٩^(٣) .

وإذا كانت الرسالتان الثالثة والرابعة توجدان في الجزء الثاني من رسائل الكندي العلمية « فهو يعيد ترتيب رسائل مخطوط أيا صوفيا ٤٨٣٢ الذي سيقدم في الجزء الأول ويبدأ بالرسائل ذات الصبغة الفلسفية الخالصة مراعيًا في ترتيبها أهميتها وتقاربها في الموضوع ومكانة كل منها في إعطائنا صورة لمذهب الكندي . ويضيف لهذه المجموعة رسالة النفس ، الموجودة ضمن مجموعة رسائل في الحكمة تحت رقم ٥٥ بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .

إن المشكلة الأساسية في مخطوط الرسائل تكمن في رداءة الخط وقراءة عباراته . « في نص الرسائل أخطاء كثيرة جدًا بعضها في الإملاء وبعضها في النحو »^(٤) ويبدو أنها كانت في الأصل إملاء من ممل لا يدقق في التمسك بقواعد الإعراب ، ثم نسخها ناسخ غير جيد المعرفة لما تحويه . والكلمات تكاد تخلو من النقط والصعوبة هنا في أن الكلمة تقبل أكثر من قراءة .

(١) المرجع السابق ص ل .

(٢) المرجع السابق ص ل ، م ، ن .

(٣) الكندي : رسائل الكندي العلمية ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، الجزء الثاني .

(٤) مقدمة أبو ريذة لرسائل الكندي الفلسفية ، الجزء الأول .

وقد حل المحقق - كما يخبرنا - هذه الصعوبة على وجهين : الأول أنه ترك بعض الكلمات التي تحتل أكثر من قراءة دون ضبط لكي يقرأها القارئ على الوجه الذي يرضيه ، والوجه الآخر هو قيامه بتصحيح بعض الأخطاء من الناحية اللغوية ، وإن كان لا يشير إلى ذلك في الهامش . « أما فيما أشرت إليه فقد حاولت أن أعطي للقارئ مجالاً لقراءة النص من وجهة نظره . وفي بعض الأحيان تعمدت إبقاء الأصل على حاله ، وذلك رغبة في المحافظة عليه وتجنباً للمساس بأسلوب المؤلف »^(١) .

وينصحنا المحقق بأن نضع النص في سياقه التاريخي « علينا أن نتصور أنفسنا في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، فالكندي كان يقوم باستخدام اللغة لأول مرة في تاريخها في التعبير عن المعاني الفلسفية » .

ويحدد جهوده في معالجة النص . ففي حالة النقص فإن عمل المحقق هو إكمال هذا النص اعتماداً على مواضع أخرى من الرسائل . وأحياناً يضيف كلمة أو بضعة كلمات للإيضاح ، ويضعها بين قوسين مضلعين مع استخدام علامات الترقيم نظراً لطول الجمل .

ومن أجل مساعدة القارئ فهو بالإضافة إلى تقسيم النص إلى فقرات ، وشرح الاصطلاحات العامة يقدم مقدمة تحليلية لكل رسالة على حدة توضح موضوع الرسالة .

ويثري د. أبو ريدة تحقيقه بتعليقات ، تظهر معنى كلمة أو توضح قراءاتها المتعددة أو تكشف معنى اصطلاح وتحدد معناه ، ففي كتاب الكندي في الفلسفة الأولى يتناول كلمة (آنية) في هامش طويل يمتد خمس صفحات (٢٦ - ٣٠) ، يعرض معناها عند الجرجاني في التعريفات وأبي البقاء الكفوي في الكليات ، ويناقش وجهة

(١) المرجع السابق ص ص .

نظر عبد الرحمن بدوي ، ويعرض لبحث اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك إنطاكية وسائر المشرق الذي ألقاه في الاحتفال الألفي بالكندي ١٩٦٢ ، وما جاء في كتاب المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ، ومقال هورتن Horten عن معنى الكون من حيث هو اصطلاح فلسفي الذي نشره في مجلة جماعة المستشرقين الألمان ، ويشير إلى ما ذكره كرواس في مقاله عن ابن المقفع في مجلة الدراسات الشرقية Orientalia التي تصدر في روما ، مجلد ١٤ عام ٣٣ - ١٩٣٤ ورأي دي بور De Boer الذي يتابع ديتريشي Dietrich في دائرة المعارف الإسلامية المجلد مادة Annya ، وما أورده الباحث الفرنسية الآنسة جواشون في قاموسها للاصطلاح الفلسفي عند ابن سينا ، باريس ١٩٣٨ ، ويورد قول أرسطو في كتاب الطبيعة ، تحقيق بدوي (ص ٣٣٣) وتعليق بدوي عليه ، وتفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ، وعند الصوفية كما جاء في الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلاني^(١) .

وبالإضافة لهذا التعليق المطول نجد تعليقاته الأخرى على امتداد الرسالة .

ويضيف في الطبعة الثانية من تحقيق رسالة الكندي « في حدود الأشياء ورسومها » إضافات جديدة ، ويشير إلى وجود نسخة ثانية في مكتبة بروسه على الرغم من أنه لم يتمكن من الحصول عليها ، ويتحدث عن مخطوط آخر بالإضافة للمخطوط الأصلي الذي اعتمد عليه : أيا صوفيا ٤٨٣٢ - وهو مخطوط رقم Add 7473 بالمتحف البريطاني ، وبه عدة رسائل من بينها رسالة الكندي « في ملك العرب وكميته » (ورقة ١٧٦ - ١٧٨) وفيه عدد من التعريفات التي يطابق الكثير منها من حيث النص تعريفات الكندي في رسالته ، لكنها ليست بنفس الترتيب ، وتناول الأستاذ S.M. Stern هذه الورقة في بحثه Notes on Al-Kindi's treatise on Definitions JRAS 1959. p.32-43 . وهو يستشعر أن تلك الحدود ليست للكندي لأنها تتردد في رسالة

(١) المرجع السابق ص ٣٠ .

التعريفات من رسائل إخوان الصفا (الرسالة ٤١١ بحسب طبعة القاهرة ١٣٤٧ ج٣) . ويتحدث عن تأثير تعريفات الكندي في الفكر والأدب في العصور الوسطى^(١) . وغير هذين المثالين نجد تعليقات عديدة بامتداد نشرة أبو ريذة للرسائل .

إلا أن ما يهمننا أن نشير إليه هو تلك الظاهرة التي نجدها في عدد من أعماله ، وهي معاودة النظر مع كل طبعة جديدة بناء على النشرات والكتابات التي صدرت حول الموضوع ، وإضافة وتعديل بعض الآراء التي قال بها ، نجد ذلك في رسائل فيلسوفه الأثير لديه « الكندي » حيث يخبرنا بتواضع العالم الحقيقي أنه رغم ظهور دراسات أخرى لفلسفة الكندي لها صبغة أكاديمية فإن دراسة فلسفته وآثاره الموجودة بالعربية أو في ترجماتها اللاتينية لاتزال بعيدة عن الإحاطة والكمال ، وبعض مصنفاته الهامة لايزال مخطوطاً ويخبرنا أنه منشغل في هذه الفترة بإعداد هذه النصوص للنشر ، وأنه بصدد دراسة وافية لفلسفة الكندي وآثاره^(٢) .

٢ - التمهيد للباقلاني^(٣) :

وإذا ما انتقلنا من تحقيقاته الفلسفية إلى تحقيقاته الكلامية فإننا سنجد العمل المشترك الذي قدمه أبو ريذة مع محمود الخضيرى ، وهو « التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » للباقلاني الذي صدر عام ١٩٤٧ .

والكتاب من أجل كتب الكلام الإسلامى خصوصاً ما يتعلق منها بالرد على المخالفين « ونحن ننشره ليكون حلقة في سلسلة الكتب الكبرى التي تبين تطور علم الكلام من جهة وتبرز المسائل الأساسية التي كانت موضع خلاف بين رجاله ومخالفهم من جهة أخرى^(٤) .

(١) المرجع نفسه ص. ١١٠ - ١١٢ .

(٢) المرجع نفسه ، تصدير الطبعة الثانية .

(٣) أبو ريذة ، محمود الخضيرى محققا كتاب الباقلاني « التمهيد » ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٧ . ولا نستطيع أن نحدد - إلا بصعوبة شديدة - جهد كل من المحققين .

(٤) المرجع السابق . المقدمة .

وأبو ريدة من المهتمين بعلم الكلام اهتمامًا خاصًا وكانت رسالته للماجستير - كما قلنا - عن النظام وآرائه الكلامية والفلسفية ففرق المتكلمين تعتبر ممثلة لوجهة نظر تقابل الفلسفة الإسلامية، وتكون فلسفة لها خصائصها المتميزة ، وهي أقرب إلى أن تكون فلسفة الإسلام الأصيلة .

وكتاب الباقلاني « التمهيد » يعبر عن فترة نضج المؤلف : « أما التمهيد الذي بين أيدينا فلا شك أن الباقلاني لم يؤلفه إلا بعد أن كان قد نضج عقله واستحكم في فن الجدل وعرف أصول مذاهب المخالفين ، لأن هذا كله يتجلى في كتابه . ومما يؤيد ذلك أنه يشير فيه إلى بعض كتبه السابقة^(١) . وموضوعه يدور على موضوعات الخلاف بين أهل السنة وبين مخالفهم جميعا إسلاميين وغير إسلاميين .

ويحدثنا المحقق عن نسخ التمهيد المخطوطة . فهناك نسختان أشار إليهما ريتز هما : نسخة أيا صوفيا رقم ٢٢٠١ ويرجع تاريخها إلى عام ٤٧٨ هـ ، ونسخة مكتبة عاطف تحت رقم ٢٢٢٣ ، ويرجع تاريخها إلى عام ٥٥٥ هـ . ويبدو أن المحققين لم يطلعا على هاتين النسختين إذ اعتمدا نسخة ثالثة هي المخطوط رقم ٦٠٩٠ بالمكتبة الأهلية بباريس « اعتمدنا عليه وحده في هذه النشرة نظراً لصعوبة الحصول على غيرها أيام إعدادنا الكتاب للنشر »^(٢) . ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى عام ٤٧٢ هـ ، أي أنها أقدم من النسختين الآخرين .

ويصفها المحققان بأنها تقع في ٩٨ ورقة من مقاس ٢٢ × ١٦ تشمل كل صفحة ٢٣ سطراً . والخط أندلسي واضح يتصف بالجمال .

ويشيران إلى وجود ترجمة للبلاقلاني على صفحة العنوان الملحقة بهذه النشرة . ويوجد على ظهر الورقة الأولى فهرس بما يحويه الكتاب من أبواب لكنه بخط مختلف .

(١) المرجع السابق : ص ٢٨ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٩ .

تلك مشكلة هامة لم يقف أمامها المحققان وسوف نناقشها بعد قليل .
ويناقش المحققان اسم الكتاب « التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » ويرجحان أن هذا العنوان الطويل إضافة من أحد العلماء أو الناسخين ، بالإضافة إلى أننا لا نجد للكتاب هذا الاسم عند أحد من ذكره ، فاسمه التمهيد كما جاء لدى القاضي عياض في ثبت كتب الباقلاني . ومن هنا ففي الاسم زيادة .

ويخبرنا المحققان في المقدمة بطريقة إعدادهما للنص المحقق فقد أثبتنا بين قوسين مضلعين ما يشير إلى ماتحويه أبواب الكتاب ومسائله ، كما وضعنا في أحيان قليلة كلمة أو بضعة كلمات بين قوسين لتوضيح المعنى ، بالإضافة للتعليقات التي زودا بها التحقيق مع ترجمة للباقلاني لم تنشر من قبل جاءت في كتاب « المدارك » للقاضي عياض .

والذي يستوقفنا في تحقيق أبو ريدة وزميله للتمهيد هو تلك الملاحظات والتعليقات التي توضح كثيراً من المسائل ، وأهمها تلك التي توضح وتفسر ما جاء عن النصارى وبيان مواضع الآيات المختلفة وأقوال المسيح كما وردت في الأناجيل^(١) . والتعليق على ما ذكره الباقلاني عن الأريوسية فقد أفاضنا في الحديث عنها بسبب قلة معرفة المسلمين بها إذ لم تظهر عنايتهم بها مع أنها أقرب المذاهب المسيحية إلى التوحيد الإسلامي .
ويوضح تعليق أبو ريدة على الخرقدانية أو خرمدنية مدى إلمام المحقق بالفارسية وإتقانه لها ، فالخرمدنية أو كما يقال الخرمية على سبيل الاختصار اسم فرقة تستمد مقالاتها من أصول إيرانية مما قبل الإسلام .
ويوضح أبو ريدة الآراء المختلفة في اشتقاق هذه الكلمة فيرفض اشتقاق الكلمة

(١) تنسب هذه الملاحظات في الغالب للأستاذ محمود الخضري الذي كان أكثر اهتماماً وتعمقاً في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى .

من خرم اسم بلدة تابعه لأردبيل كما ذهب إلى ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان ومرجليوث في دائرة المعارف الإسلامية .

كما يستبعد الرأي الثاني القائل أنها نسبة إلى خرما اسم زوجة مزدك . ويتفق مع الرأي الثالث القائل بأن الكلمة مركبة من لفظتين فارسيتين : خرم ، وهي صفة معناها فرح ، و « دان » أو « دين » بمعنى الدين .

ويشير إلى حديث البلاقلاني عنهما وأنه ربما يكون مستمداً من كتاب الحسن بن موسى النوبختي « فرق الشيعة » ، ويقدم مراجع لها مثل كتاب السيد غلام حسين صديقي عن الحركات الدينية الإيرانية في القرنين الثاني والثالث .

والقضية الأساسية التي يثيرها تحقيق أبو ريدة / الخضير للتمهيد هو اعتمادهما على نسخة واحدة فقط رغم معرفتهما بوجود نسخ أخرى للكتاب ، مما جعلهما يصدران أحكامهما على أساس محتويات هذه النسخة دونما اعتبار لما جاء في غيرها من نسخ .

ففي تعليقهما على موضوعات الكتاب وأنها جاءت كاملة كما يتضح من خطبة التمهيد التي وجهها القاضي أبو بكر إلى ابن عضد الدولة « وهذا في نظرنا دليل على أن النص كامل لم يقع فيه خروم ولم يمسه شيء من الحذف »^(١). وحين يذكر البلاقلاني أنه سيتكلم عن التعديل والتجوير فالأمر محسوم « فلعل البلاقلاني سها فلم ينجز ما وعد مكتفياً بعبارات متفرقة في هذا الموضوع ذكرها في مناسبات مختلفة في أكثر من فصل من فصول التمهيد »^(٢) .

ويناقش المحقق السبب الثاني الذي يمثل أقوى دليل على عدم اكتمال النص ، وهي مناقشة تحتاج إلى مناقشة ، فهناك فهرست ملحق بالخطوط الباريسي - الذي اعتمد

(١) المرجع السابق ص ٢٦٠ .

(٢) الموضع نفسه .

عليه المحققان - يقع في ظهر الورقة الأولى ، أي قبيل ورقة العنوان ، وهو بخط مخالف وإن كان بمداد شبيه بمداد الكتاب .

وينشر المحققان هذا الفهرست الذي يحتوي على ٦٨ فقرة (أو فصلاً) ، ٢٥ فقرة منها غير موجودة بالخطوط^(١) .

ويعلق المحقق على هذا التباين بين الفهرست وماورد في النص ، فهناك تكرار في موضوع الفقرة ٢٦ ، ٣١ ، كما أنه ذكر التعديل والتجوير - فقرة (٤٣) في ثانيا الفصول المختلفة ، بالإضافة إلى أنه استبعد بعض الفصول التي لم تدخل في كتب الكلام إلا بعد عصر الباقلاني الخاصة بموضوع الأرزاق والأسعار . انظر الفقرتين ٣٨ ، ٣٩^(٢) ، والفقرة ٤٢ المتعلقة باللفظ من تجديدات متكلمي الشيعة .

ويجدان عذراً لنقص الفقرات من ٤٤ حتى ٤٩ التي تدور حول الهدى والضلال ومعنى الدين والإيمان والإسلام بحجة أن المؤلف يميل إلى الاختصار^(٣) ، والفقرتين ٥٠ ، ٥١ في النبوة والإمامة لأنهما تكرار لموضوع ، استوفى المؤلف بحثه في عناوين أخرى مفصلة^(٤) .

ويتوقف المحققان عند الفقرة رقم ٣٠ المتعلقة بالاستواء على العرش المذكورة بالفهرست وغير الواردة بالنص ، فقد اقتبس ابن تيمية هذه الفقرة وعرض لها تلميذه ابن القيم في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية » .

ويستشهد المحققان بعرض ابن القيم ويستنكرانه « نحن نجد عند تأويل هذا معنى

(١) المرجع نفسه ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) ويبدو أن الذي دعا المتكلمين المتأخرين إلى إدخال هذين الموضوعين في علم الكلام هو مشاهداتهم أن كتب الفلسفة كانت تحتوي على أبواب في تدبير المنزل ، وهي تعالج مسائل الكسب والأسعار . ونظراً لأن المتكلمين رغبوا في أن يقوم الكلام مقام الفلسفة أقحموا في كتبهم كل ما اعتاد الفلاسفة أن يعنوا به .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٣ .

(٤) الموضع السابق .

نستشعره فيه بشيء من التجسيم يتعارض مع مذهب الباقلاني واتجاهه في التوحيد»^(١) . ويستتجان عدم صدق نقل ابن تيمية وابن القيم عن الباقلاني .

ونحن هنا أمام مأزق فالقول بصدق نقل ابن تيمية وابن القيم معناه أن النص الذي يقدمه أبو ريذة / الخضيرى ناقص والحل الآخر هو القول بتباين بين كلام الباقلاني وما نقله ابن تيمية وابن القيم ، يقول المحققان : «إننا لانستطيع عند ملاحظة التعارض بين مذهب الباقلاني ومعنى ما ينسب إليه هذان المؤلفان المعروفان بالتحيز إلا الشك في صحة نقلهما»^(٢) .

ومن هنا يصدران هذا الحكم - الذي يحتاج إلى نقض - ونحن نثق على كل حال بنسخة التمهيد التي بين يدينا ثقة أقوى من ثقتنا بنقل ابن تيمية وابن القيم^(٣) .

والحقيقة أنه أمام معرفة المحققين بمخطوطين آخرين لنص التمهيد لم يرجعا إليهما وعدم معرفتهما بمحتواهما فالسؤال المطروح هو هل ما في مخطوط باريس الذي اعتمدا عليه مطابق لما في مخطوطي أيا صوفيا ٢٢٠١ وعاطف رقم ٢٢٢٣ . وإن كان هناك تباين في المحتوى بين المخطوطات الثلاث فأياها أصح ؟.

إن احتمال وجود الفقرات الناقصة في مخطوط باريس في المخطوطين الآخرين مطروح ، ويدعمه الفهرست الملحق المثبت بظهر صفحة العنوان . ويزيد من ترجيح الرأي القائل بنقص مخطوط باريس اعتماد مؤلفين إسلاميين عليه ونقلهم عنه . وعلينا أن نناقش قضية اختلاف تفسير ابن تيمية وابن القيم لأقوال الباقلاني ، فاحتمال النقص أو الحذف جائز لأن الأجزاء الناقصة هي الفقرات من ٢٧ حتى ٥١ ، أي جزء متصل من المخطوط وليس أجزاء منفصلة . إذن فاحتمال فقد أو ضياع هذا الصفحات وارد .

(١) المرجع نفسه ص ٢٦٥ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) الموضع نفسه .

وربما - وهذا هو الاحتمال الثاني ، وهو احتمال ضعيف - يكون فهم الناسخ - وهو كما يخبرنا المحققان من العلماء المحققين لنص الباقلاني - شبيهاً بفهم المحققين ، ولذلك فضل حذف هذه الأجزاء .

وأعتقد أننا لا نستطيع الحسم في هذه المسألة ما لم نقوم بمقارنة بين النسخ المخطوطة الثلاثة لمعرفة هل هناك نقص في مخطوط باريس أم هو كما يزعم المحققان مكتمل ، وماهى حقيقة نقل ابن تيمية وابن القيم عنه ؟ إن احتمال نقلهم عن أحد المخطوطين الآخرين مسألة مطروحة ، والسؤال كيف يثق محقق في مخطوط واحد ويطمئن إليه مع كل هذه المشاكل رغم معرفته بوجود مخطوطات أخرى لم يطلع عليها ؟!

لاشك أن نص الباقلاني لم يحظ بما حظيت به رسائل الكندي الفلسفية من اهتمام على الرغم من الجهد الكبير المبذول في الاستعانة بمراجع أوروبية بلغات مختلفة وفي الرجوع إلى عدد كبير من المخطوطات لتحقيق هذا النص الهام .

وقد نشر الأب رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي نص التمهيد نشرة ثانية اعتماداً على المخطوطات الثلاثة . ويظهر في تحقيق مكارثي أن الأجزاء الناقصة في مخطوط باريس موجودة في مخطوطتي إستانبول ، وتبين أيضاً أن النقص الموجود في مخطوط باريس ليس من المخطوط الأصلي بل وقع بعد كتابة المخطوط الأصلي . والنقص في مخطوط باريس يشمل الصفحات من ٢١٢ - ٣٧٩ من نشرة مكارثي ، إلا أن نشرة مكارثي التي بين أيدينا ليست كاملة فقد أسقط نشر الأبواب المتعلقة بالإمامة^(١) .

٣ - الاستبصار للقراقي وثمرة الحكمة لابن الهيثم :

لم تتوقف صلة أبو ريدة بالمخطوط العربي عند الفلسفة وعلم الكلام فقط ، بل امتدت لتشمل اهتمامه الأثير لديه بالحكمة الطبيعية أو ما نطلق عليه تاريخ العلم العربي . وكما ترك للباحثين في الفلسفة عمله الهام في « رسائل الكندي الفلسفية » و « التمهيد للباقلاني » فقد شغل في نهاية حياته بعمليتين في البصريات ، أحدهما للحسن بن الهيثم والثاني للإمام القرافي (ت ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م) .

(١) مكارثي : محقق كتاب التمهيد للباقلاني ، المكتبة الشرقية - بيروت ١٩٥٧ .

قدم أبو ريدة في الندوة السنوية الثانية للجمعية الفلسفية المصرية (يوليو ١٩٩٠) بحثاً بعنوان « الإمام القرافي و كتابه الاستبصار فيما تدركه الأبصار » عرض فيه للحالة العلمية في مصر وتحدث عن شخصية القرافي و كتابه مع عرض لمقدمته ومحتوياته . والإمام القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م) إمام كبير في علم الفقه والأصول والعلوم العقلية ، وكان من المهتمين بالعلم الطبيعي ، وخاصة البصريات .

وفي كتابه نستطيع أن نجد شهادة على أن واجب عالم الدين في الإسلام أن يشتغل بالعلوم الطبيعية ، وشهادة على أحوال الحياة العلمية بين المسلمين في ذلك العصر . وبعد المقدمة يعرض خطبة الكتاب (مقدمة المؤلف) ويخبرنا أنه قد تم تحقيق كتابه هذا « الاستبصار فيما تدركه الأبصار » من مخطوطات عدة من القاهرة وإستانبول والأسكوريال ، وأنه سينشر في معهد تاريخ العلوم الإسلامية في فرانكفورت في ألمانيا تحت إشراف فؤاد سيزكين .

ويرتبط بهذا العمل ويسبقه تحقيقه « مقالة عن ثمرة الحكمة » للحسن بن الهيثم . وقد طبعه بالقاهرة ١٩٩١ . وكان قد تقدم بهذه الدراسة والتحقيق لتكون ضمن الكتاب التذكاري المهدي إلى الدكتور زكي نجيب محمود الذي أصدرته جامعة الكويت ١٩٨٩ .

ويخبرنا أبو ريدة بتواضع العالم ودقته ونزاهته العلمية أنه لم يجزم في ذلك الوقت بنسبة المقالة إلى ابن الهيثم « لكنني بعد مذكرته تأملت كلام ابن الهيثم وأسلوبه وبعض عباراته في كتابه : « حل شكوك كتاب إقليدس في الأصول » وجدت شبهاً ملحوظاً وازدادت ثقتي بنسبة المقالة إلى ذلك العالم الإسلامي الكبير ابن الهيثم ^(١) . والعمل يتكون من مقدمة (خاصة بالطبعة الثانية) وتصدير والنص المحقق (مقالة في ثمرة الحكمة) والتعليقات والملاحظات .

(١) أبو ريدة : مقدمة تحقيق رسالة ثمرة الحكمة للحسن بن الهيثم . القاهرة ١٩٩١ م .

ويعرض أبو ريدة في تصديره للرسالة لمنهج ابن الهيثم ونقده للمعرفة العلمية .
ويحدد هدفه معطياً كل بيانات المخطوطة التي اعتمد عليها يقول : « إني أردت
أن أقدم رسالة في المنهج اطلعت عليها منذ عام ١٩٦٩ في مكتبة كوبر ولو باستانبول
تحت رقم ١٦٠٤ في مخطوط يرجع تاريخه إلى سنة ٧٥٤هـ كما نجد ذلك على ورقة
١١٣ و . وتشغل الرسالة الورقات ٤١ و - ٥٩ و ، وعلى وجه الورقة الأولى هذا
العنوان كتاب « ثمرة الحكمة لابن الهيثم »^(١) .

ويتضح جهد أبو ريدة في التدقيق في نسبة الرسالة إلى ابن الهيثم ، فبعد تردد في
النشر درس وبحث وحقق النسبة اعتماداً على المقارنة بين مجاءها وأسلوب ابن الهيثم
في مؤلفاته المختلفة .

كما ضبط نص الرسالة وحللها وقسمها إلى أقسام ، وأعطى كل قسم عنواناً يتفق
وما جاء به يقول « نحن نقدم هذه الرسالة بعد أن ضبطنا نصها بقدر الإمكان ووضعنا
عناوين بين مضعين على سبيل الاجتهاد في تقسيمها وبيان ماتضمنته من
عناصر »^(٢) .

إن هذه الرسالة تمثل امتداداً لتحقيقه رسائل الكندي الفلسفية وخاصة الجزء الثاني
الرسائل العلمية .

وتأتي رسالة ابن الهيثم لتوضيح أثر دراسة الرياضيات على دارس الفلسفة .

(١) المصدر السابق ص ١٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣ .

خاتمة

إن أبو ريذة (١٩٠٩ - ١٩٩١) يمثل مرحلة هامة في البحث الفلسفي هي مرحلة الانتقال من الدرس الفلسفي الاستشراقي للفلسفة الإسلامية إلى التأسيس العلمي للدراسات العربية المعاصرة في ميدان البحث الفلسفي .

ويمكن القول دون أدنى مبالغة إن جهود أبو ريذة وجيله - مذكور ، عفيفي ، النشار - تعد في كثير من جوانبها أكثر دقة ومنهجية والتزاماً بأساليب البحث العلمي من جهود كثير من الباحثين في الفلسفة الإسلامية في الجيل الحالي الذين توفرت لهم كافة السبل لتقديم صورة أكثر شمولية للفلسفة العربية الإسلامية ، فقد ترك لنا أبو ريذة حصيلة وافرة من الأعمال في شتى ميادين الفلسفة والحضارة العربية الإسلامية . ويهمننا هنا أن نشير - بالإضافة إلى ماسبق - إلى جهوده في العديد من المؤتمرات العلمية التي شارك فيها مثل :

- « الحضارة الإسلامية ، أسسها ومميزاتها ومكانتها بين الحضارات العالمية » . المؤتمر الثالث للسيرة النبوية ، قطر . نوفمبر ١٩٧٩ .
- « بين الإمبراطور فردريك الثاني وابن سبعين » ندوة الوجود العربي الإسلامي في الثقافة الصقلية ، بالمر . ديسمبر ١٩٨٠ .
- « الإسلام في مواجهة التحديات ماضياً وحاضراً » ملتقى واقع الإسلام وتحديات العصر ، الجامعة التونسية . نوفمبر ١٩٨٤ .
- « توازن حياة الإنسان بين آراء الحكماء وتعاليم الإسلام » . الملتقى الإسلامي المسيحي الرابع ، الجامعة التونسية ، إبريل ١٩٨٦ .

- « الفلسفة ، تحديات منها وإليها » ملتقى الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٨٩ .
 - « العلاقات بين الفكر الفلسفي الإسلامي ، والفكر الفلسفي الأوربي » . المؤتمر الدولي « آفاق العلاقات العربية الأوربية » مدريد . مارس ١٩٩٠ .
 - « خطة مقترحة لتجديد علم الكلام » ، ندوة الجمعية الفلسفية المصرية « نحو علم كلام جديد » ، القاهرة . يونيو ١٩٩٠ .
 - « تجديد الحضارة المعاصرة » . منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، اليوم العالمي للتنمية الثقافية ، باريس مايو ١٩٩١ .
- إن هذا الجهد للدكتور أبو ريدة ، يحدد مكانته في ميدان الدراسات الفلسفية العربية المعاصرة ويضعه في الصف الأول من الرواد المؤسسين بحيث تقرنه دائماً بالكندي ، فكلاهما مؤسس لمرحلة : الأولى في القرن الثالث ، والثانية في القرن العشرين .

قواعد النشر

- * تنشر المجلة المواد المتعلقة بالتعريف بالمخطوطات العربية ، والنصوص المحققة ، والدراسات المباشرة حولها ، والمتابعات النقدية الموضوعية لها .
- * أن لا تكون المادة منشورة في كتاب أو مجلة أو غيرهما من صور النشر .
- * أن تكون أصيلة فكرة وموضوعا ، وتناولا وعرضا ، تضيف جديدا إلى مجال المعرفة التي تنتمي إليها .
- * تستهل المادة بمقدمة في سطور تبين قيمتها العلمية وهدفها . وتقسم إلى فقرات ، يلتزم فيها بعلامات الترقيم التزاما دقيقا ، وتضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأمثال الماثورة والنصوص المنقولة ضبطا كاملا ، وكذلك مايشكل من الكلمات .
- * يلتزم في تحرير الهوامش التركيز الدقيق ، حتى لا يكون هناك فضول كلام ، وترقم هوامش كل صفحة على حدة ، ويراعى توحيد منهج الصياغة .
- * تذييل المادة بخاتمة تبين النتائج ، وفهارس عند الحاجة .
- * في ثبت المصادر والمراجع يكتب اسم المصدر أو المرجع أولا ، فاسم المؤلف ، يليه اسم المحقق أو المراجع أو المترجم في حال وجوده ، ثم اسم البلد التي نشر فيها ، فدار النشر ، وأخيرا تاريخ الصدور .
- * أن لاتزيد المادة عن ٣٥ صفحة كبيرة (١٠ آلاف كلمة). وتدخل في ذلك الهوامش والملاحق والفهارس والمصادر والمراجع والرسوم والأشكال وصور المخطوطات .
- * أن تكون مكتوبة بخط واضح ، أو مرقونة على الآلة الكاتبة ، على أن تكون الكتابة أو الرقن على وجه واحد من الورقة ، وترسل النسخة الأصلية إلى المجلة .

- * يرفق المحقق أو الباحث كتابا مفاده أن مادته غير منشورة في كتاب أو مجلة أخرى ، وأنه لم يرسلها للنشر في مكان آخر .
- * تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات ، هي : تاريخ التسلم وصلاحيّة المادة للنشر دون إجراء تعديلات ، وتنوع مادة العدد ، وأسماء الباحثين ما أمكن .
- * يبلغ أصحاب المواد الواردة خلال شهر من تاريخ تسلمها ، ويفادون بالقرار النهائي بالنشر أو عدمه خلال فترة أقصاها ستة أشهر .
- * تعرض المواد على محكم أو أكثر على نحو سري ، وللمجلة أن تأخذ بالتقرير الوارد إليها ، أو تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر ، أو تتبنى قرارا بالنشر إذا رأت خلاف مارآه المحكم ، وليس عليها أن تبدي أسباب عدم النشر .
- * إذا رأت المجلة أو المحكم إجراء تعديلات أساسية أو تحتاج إلى جهد ووقت على المادة فإنها تقوم بإرسالها إلى صاحبها ، وتنتظر وصولها فإن تأخرت تأجل نشرها .
- * تمنح المجلة مكافأة مادية بعد النشر .